تراث الحلة

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

تُرَاثُ الحِلَّةِ

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (السادسة) / المجلَّدُ (السادس) / العَدَدُ (الثامن عشر)

رمضان ١٤٤٣هـ/نيسان ٢٠٢٢م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة.قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة، العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ٢٠١٤-
مجلَّد : إيضاحيَّات ؛ ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة السادسة، المجلَّد السادس، العدد الثامن عشر (نيسان ٢٠٢٢)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.
النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.
١ . الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ٢ . الحِلَّة (العراق)--الحياة الفكريَّة--دوريَّات. أ. العنوان
LCC : DS79.9.H55 A8374 2022 VOL.6 NO. 18
DDC : 956.747
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْم

[سورة الحجرات، الآية: ١٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٤٦٦٦/٤
Date: التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٢٤

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/ ٧ /٢٠

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت ع/٤٠٠٦/٤ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفره

مهند ابراهيم
٤/ تموز

رئيس التحرير

أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

جامعة الكوفة

مدير التحرير

أ.م.د. أحمد رشيد وهاب الددة

جامعة بابل

هيأة التحرير

أ.د. صباح عطيوي عبُّود، جامعة بابل

أ.د. يوسف كاظم جغيل، جامعة بابل

أ.د. هاشم جعفر حسين، جامعة بابل

أ.د. عاصم حاكم عبَّاس، جامعة القادسيَّة

أ.د. ستار عبد الحسن جبَّار، جامعة القادسيَّة

أ.د. حازم كريم عبَّاس، جامعة الكوفة

أ.د. حسن كاظم أسد، جامعة الكوفة

أ.م.د. حسين عليّ حسين، وزارة التربية

أ.د. سعيد جاسم الزبيديّ، جامعة نزوى، سلطنة عمان

أ.د. عبد القادر ميلود سلّامي، جامعة تلمسان، الجزائر

أ.د. حسام محمد نادي أحمد، جامعة الفيُّوم، مصر

أ.د. كبرى روشنفكر، جامعة طهران (تربيت مدرِّس)، إيران

تراث الحلة

مَجلَّةٌ فَصْليَّةٌ مُحكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (السادسة)/المجَلَّدُ (السادس)/العَدَدُ (الثامن عشر)

رمضان ١٤٤٣هـ/نيسان ٢٠٢٢م

مدقِّق النصِّ العربيّ

أ.م.د. إدريس حمد هادي الموسويّ

جامعة بابل/كليَّة الآداب

مدقِّق النصِّ الإنكليزيّ

م.د. عبَّاس حسن عبيِّس الجبوريّ

المديريَّة العامَّة للتربيَّة في بابل

مسؤول الموقع الإلكترونيّ

حيدر عبد العزيز العتري

التصميم والإخراج الطباعيّ

أحمد عبد العالي عبد خلف الكعبيّ

الإدارة الماليَّة

ليث مهدي محمود العامريّ

الترقيم الدوليّ

ISSN: 2412.9615

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقيَّة

(٢١٥٨) لسنة ٢٠١٦م

العنوان الوقعيّ

شارع الطهمازيَّة- مقابل مشفى الإمام الصادق عليه السلام- محافظة بابل- جمهوريَّة العراق

المراسلات تعنون باسم رئيس التحرير

07827753770

البريد الإلكترونيّ

turathhi@gmail.com

موقعنا على شبكة الانترنيت

http://mk.iq/hillah_heritage/

سياسة النشر في مجلَّة تراث الحِلَّة

مجلَّة (تراث الحِلَّة) مجلة فصليَّة تراثيَّة محكَّمة، تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلِّفين من داخل العراق وخارجه، والتي تكون ضمن محاور الآتية:

١. ما يتعلَّق بالحِلَّة، فهو يبدأ من تمصير الحِلَّة على يد صدقة بن منصور (ت ٥٠١هـ)؛ إذ مصَّرها عام ٤٩٥هـ، الموافق ١١٠١م، وينتهي مُسمَّى التراث عندنا إلى ما قبل خمسين عام- استمرارًا.

٢. يكون البحث المقدَّم للنشر ملتزمًا بمنهجيَّة البحث والنشر العلميّ وأخلاقيَّاته وخطواته المتعارَف عليها عالميًا.

٣. أن لا يكون البحث منشورًا، أو حاصلًا على قبول للنشر، أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أخرى، ويقوم الباحث بتوقيع تعهُّد خاص بذلك.

٤. لا تقوم المجلَّة بنشر البحوث المترجمة إلَّا بتقديم ما يُثبت موافقة الباحث الأصليّ، وجهة النشر، على ترجمة البحث ونشره.

٥. يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبِّر البحوث عن آراء مؤلِّفيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلَّة.

٦. يخضع ترتيب البحوث في المجلَّة لاعتبارات فنيَّة تتعلق بهويَّة المجلَّة ومحاورها.

٧. يبلَّغ الباحثُ بتسلُّم بحثه في مدَّةٍ لا تتجاوز عشرة أيَّام، من تاريخ التسليم.

٨. يبلَّـغ الباحث بالموافقة أو عـدم الموافقة على نشر بحثه في المجلَّة خلال مدَّة لا تتجاوز الشهرين، اعتبارًا من تاريخ تسلُّم المجلَّة البحثَ.

٩. لا تُعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلِّفيها.

١٠. يلتزم الباحـث بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه، ووفـق تقارير هيأة التحرير أو المقيِّمين، وإعادته إلى المجلَّة في غضون أسبوع من تاريخ تسلُّمه التعديلات.

١١. جميع البحوث المقدَّمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلميّ من ذوي الاختصاص.

١٢. تخضع جميع البحوث المقدَّمة للنشر إلى فحص الاستلال الإلكترونيّ.

١٣. تُنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ للبحوث إلى المجلَّة، ووفق صيغـة تعهُّد يقوم المؤلِّـف بتوقيعه، ولا يحقُّ لأيَّة جهة أخرى إعـادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلَّا بموافقة خطيَّة من المؤلِّف ورئيس هيأة تحرير المجلة.

١٤. لا يجوز للباحث سـحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز سـحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر، وبموافقة السيِّد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٥. يُمنح المؤلِّف ثلاثة مستلَّات مجانيَّة مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٦. يجـبُ على الباحث الإفصاح عن الدعم الماليّ أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدَّمة له عند إجراء البحث.

١٧. يجبُ على الباحث إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه وجود خطأ كبير في البحث، أو عدم دقَّة بالمعلومات، وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل الباحثين

١. تستقبل المجلَّة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبيَّنة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدَّم للنشر أصيلًا، ولم يسبق نشره في مجلَّة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي الباحث حقوقًا حصريَّةً للمجلَّة، تتضمَّن النشر والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدَّم للنشر على عشرين صفحة.

٥. تُرسل البحوث إلى المجلَّة عبر بريدها الإلكتروني: (turathhi@gmail.com).

٦. يُطبع البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ(Word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4)، وبهيئة عمودَين منفصلَين، ويكتب متن البحث بنوع خط (Times New Roman) وبحجم ١٤.

٧. يقدَّم ملخَّص للبحث باللغة الإنكليزيَّة، وفي صفحة مستقلَّة، وأن لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث/ الباحثين، وجهات الانتساب.
- البريد الإلكترونيّ للمؤلِّف/ المؤلِّفين.

- الملَّخص.
- الكلمات الدلاليَّة.

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٦ Bold.

١٠. يكتب اسم الباحث/ الباحثين متمركزًا في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ Bold.

١١. تكتب جهات الانتساب للباحثين بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٠ Bold.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط (Times New Roman) وحجم ١٢ Bold/ Italic.

١٣. تكتب الكلمات الدلالية التي لايتجاوز عددها خمس كلمات بنوع خط (Times New Roman) وبحجم ١١ Italic /Justify.

١٤. جهات الانتساب تثبت على النحو الآتي: (القسم، والكلية، والجامعة، والمدينة، والبلد)، وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخَّص البحث، تجنُّب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم الباحث/ الباحثين في متن البحث على الإطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلميَّة المتعارَف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر، ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقَّمة ترقيمًا متسلسلًا.

١٨. يلتزم الباحث بالشروط الفنيَّة المتَّبعة في كتابة البحوث العلميَّة من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، ويجب مراعاة وضع صور المخطوطات لـ(النصوص المحقَّقة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة Harvard Reference Style.

٢٠. جميع الدراسات التي استُشهدَ فيها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبَّت بشكلٍ دقيق في قائمة المصادر، وبالعكس.

٢١. يلتزم الباحث/ الباحثون بيانَ فيما إذا كان البحث المقدَّم للنشر قد تمَّ في ظلِّ وجود أيَّة علاقات شخصيَّة أو مهنيَّة أو ماليَّة يمكن تفسيرها على أنَّها تضارب في المصالح.

دليل المقوِّم العلميّ

إنَّ المهمَّة الرئيسة للمقوِّم العلميّ للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصُّصه العلميّ بعناية فائقة، وتقييمه وفق رؤى ومنظور علميّ أكاديميّ، لا يخضع لأيَّة آراء شخصيَّة، ومن ثمَّ يقوم بتثبيت ملاحظاته البنَّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقويم، يُرجى من المقوِّم التأكُّد فيما إذا كان البحث المرسَل إليه يقع ضمن تخصُّصه العلميّ أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصُّصه العلميّ، فهل يمتلك المقيِّم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إنَّ عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز عشرة أيَّام.

بعد موافقة المقوِّم على إجراء عملية التقويم، وإتمامها في المدَّة المحدَّدة، يُرجى إجراء عملية التقييم وفق المحدِّدات الآتية:

١. هل البحث أصيلٌ ومهم لدرجة يجب نشره في المجلَّة.
٢. فيما إذا كان البحث يتَّفق مع السياسة العامَّة للمجلَّة، وضوابط النشر فيها.
٣. هل فكرة البحث متناوَلة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يُرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.
٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه.
٥. بيان فيما إذا كان ملخَّص البحث يصف وصفًا واضحًا مضمون البحث وفكرته.
٦. هل تصف المقدِّمة في البحث ما يريد الباحث الوصول إليه، وتوضيحه توضيحًا دقيقًا، وهل وضَّح فيها الباحث المشكلة التي قام بدراستها؟.
٧. مناقشة الباحث للنتائج التي توصَّل إليها في بحثه مناقشةً علميَّةً مُقنعةً.

٨. يجب أن تجرى عملية التقويم سرِّيًّا، وعدم اطِّلاع الباحث على أي جانب فيها.

٩. إذا أراد المقوِّم مناقشة البحث مع مقوِّمٍ آخر، فيجب إبلاغ رئيس التحرير بذلك.

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوِّم والباحث فيما يتعلَّق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن تُرسل ملاحظات المقوِّم إلى المؤلِّف من خلال مدير التحرير في المجلَّة.

١١. إذا رأى المقوِّم أنَّ البحث مستلٌّ من دراسات سابقة، وجبَ على المقوِّم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إنَّ ملاحظات المقوِّم العلميَّة وتوصياته سيُعتَمد عليها اعتمادًا رئيسًا في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، ويُرجى من المقوِّم الإشارة بشكلٍ دقيقٍ إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط يمكن أن تقوم به هيأة التحرير، وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهريّ يجب أن يقوم بها الباحث نفسه.

نموذج تعهُّد الملكيَّة الفكريَّة ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلَّة تراث الحِلَّة

أنا/ نحن الموقع/ الموقِّعون في أدناه، نقرُّ بأنَّ البحث الموسوم:

المقدَّم للنشر في مجلَّة تراث الحِلَّة، هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص، وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمَّنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا في مدَّة إنجازه، باستثناء ما تمَّت الإشارة اليه في متن البحث، حيث إنَّ دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم، التي استُخدمت في هذا البحث، قد تمَّت الإشارة إليها في متن البحث، ووضِعت بدقَّة ضمن قائمة المصادر.

وأتعهَّد/ نتعهَّد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلميّ المعتمدة في مجلَّة تراث الحِلَّة، وأنَّ العمل الذي أدَّى إلى إنتاج هذا البحث قد تمَّ وفق أخلاقيَّات البحث العلميّ المعروفة عالميًا، فضلًا عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهَّد/ نتعهد بأنَّ هذا البحث لم يسبق أن نُشِر أو قُدِّم للنشر في مجلَّة أو أيَّة وسيلة نشر أخرى، وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصريَّة الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ لهذا البحث إلى مجلَّة تراث الحِلَّة، أو مَن تخوِّله هذه المجلَّة.

ت	اسم المؤلِّف/ المؤلِّفون	البريد الإلكترونيّ	التوقيع والتاريخ

ملاحظة: يملأ هذا الحقل في حال كون المؤلِّف مخوَّلًا من بقيَّة المؤلِّفين لتوقيع هذا التعهُّد نيابةً عنهم

إنِّي ..... مخوَّل/ مخوَّلة من جميع المؤلِّفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهُّد نيابةً عنهم، وأتعهَّد بصحَّة كافة معلوماتي الشخصيَّة التي وردت في هذا التعهُّد، ولأجله وقَّعت.

التوقيع:.....التأريخ:.....

البريد الالكتروني:.....رقم الهاتف:.....

المحتويات

البحوث		
العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ) والاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ- قراءة في كتابه (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام	أ.د. رحيم جبر الحسناويّ جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة	٢٥
المنهج التفسيريّ للعلَّامة الحِلِّيّ في إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة	الدكتورة بي بي سادات رضي بهابادي جامعة الزَّهراء عليها السلام/ عضو الهيأة العلميَّة لعلوم القرآن والحديث ترجمة: أيُّوب ناصر نعمة مراجعة وتدقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ	٧٣
العلَّامة الحِلِّيّ في فكر المستشرقين دراسة وتحليل	م.م. كريم جهاد الحسَّانيّ جامعة بغداد/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة	١٠٩
الاستفهام الحجاجيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده	أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة	١٤٣

توجيه القرآءات القرآنيَّة عند ابن إدريس الحِلِّيّ (ت ٥٩٨هـ)	م.د. عليّ سعيد جاسم مديريَّة تربية بابل أ.م.د. رياض رحيم ثعبان المنصوريّ جامعة بابل/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة	١٨٣
شعر الخليعيّ في أهل البيت عليهم السلام/ دراسة في الموضوع والفن	أ.د. عدنان كاظم مهدي جامعة الكوفة/ كليَّة الآداب أ.د. صادق فوزي دبَّاس جامعة الكوفة/ كليَّة التربية الأساسيَّة	٢١٣
النَّزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ	الباحث إياد نيسي طالب دكتوراه في فرع اللغة العربيَّة وآدابها بجامعة خليج فارس في بوشهر الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة	٢٤١
الرِّحلة الحسينيَّة تأليف العلَّامة الشيخ محمَّد حسين حمد الجبَّاويّ الحِلِّيّ (١٢٨٥هـ-١٣٥٢هـ)	م.م. مروان نظر عليّ الحِلِّيّ	٢٩٣
نافذة التراث الحِلِّيّ		
الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ) إصدار: مركز تراث الحِلَّة	م.د. محمَّد حليم حسن الكرويّ مركز تراث الحِلَّة	٣٦١

بحـوث العـدد

العلَّامة الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ) والاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ

قراءة في كتابه

(كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)

أ.د. رحيم جبر الحسناويّ

جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Al-Alama Al-Hilli (Jamal Al-Din Al-Hassan Ibn Yusuf (D. 726 A.H) and Protesting the Qur'anic Text

A Study in his book (Kashf Al-Yaqin fi fe'dael Amir Al-Mu'minin PBUH)

Prof. Dr. Rahim Jabr Al-Hasnawi

University of Babylon/College of Education For Human Sciences

ملخَّص البحث

درس هذا البحث احتجاج العلَّامة الحِلِّيّ بالنصِّ القرآنيّ في الرَّدِّ على منكري إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله، مستعينًا على فهم النصِّ القرآنيّ، وإيضاح أبعاده، بالتأويل الوارد على لسان النبيِّ المختار، وأهل بيته الأطهار، وقد تمَّ اختيار كتاب (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)؛ لما انطوى عليه من كثرة الاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ.

كما درس البحث موقف الإماميَّة من النصِّ القرآنيّ، من خلال ما احتجَّ به هذا العالم الكبير من علماء الحِلَّة ومدرستها المجدِّدة، فضلًا عن مفهوم النصِّ القرآنيّ ومحيطه، والأساس الفكريّ والمنهجيّ الذي انطلق منه العلَّامة الحِلِّيّ في دراسة فضائل أمير المؤمنين، مع ذِكر بعض الأمثلة على استشهاده بالنصِّ القرآنيّ ومحيطه، ثمَّ تقديم إحصاء لما احتجَّ به العلَّامة من النصوص القرآنيَّة في كتابه، وبعد ذلك ختم البحث بالخاتمة التي أودعها أهم ما توصَّل إليه البحث، والحمد لله أوَّلًا وآخرًا.

Abstract

This research studies Al-alama Al-Hilli's protest by the Qur'anic text in response to the deniers of the Imamate of the Commander of the Faithful, peace be upon him, after the Messenger, may Allah bless him and his family and grant them peace. Using the understanding of the Qur'anic text and the clarification of its dimensions through the interpretation contained in the tongue of the chosen Prophet and his pure family, the book (Kashf Al-Yaqin fi fe'dael Amir Al-mu'minin) peace be upon him, was chosen because it involved a large number of invoking the Qur'anic text.

The research also studied the position of (Al- Imamiyah) on the Qur'anic text through what this great scholar of Al-Hillah and its reformist school argued, as well as the concept of the Qur'anic text and its surroundings, and the intellectual and methodological basis from which Al-alama Al-Hilli started in studying the virtues of the Commander of the Faithful, with some examples of its documentation in the Qur'anic text. and

its surroundings, then presenting a census of the Qur'anic texts that the scholar argued in his book, and after that he concluded the research with a conclusion.

المقدِّمة

يهدف هذا البحث إلى دراسة احتجاج العلَّامة الحِلِّيّ بالنصِّ القرآنيّ تنزيلًا وتأويلًا في الردِّ على منكري إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وكشف حقيقتها من خلال النصِّ عليها في القرآن، مستعينًا على فهم النصِّ القرآنيّ، وإيضاح أبعاده، بالتأويل الوارد على لسان النبيِّ المختار، وأهل بيته الأطهار.

وتنبع أهميَّة البحث من مكانة العلَّامة الحِلِّيّ العلميَّة، وما قدَّمه للمكتبة الإسلاحخميَّة من عطاء أبدعته عقليَّة موسوعيَّة منفتحة على الآخر، تنشد وحدة الأمَّة الإسلاميَّة، فكان يترفَّع عن مقابلة الإساءة بمثلها، ويصبر على الأذى، ويشهد على ذلك موقفه من إساءة معاصره ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) الذي سمَّاه ابن المدنَّس أو المنجَّس، على حين كان لعلماء يسمُّونه ابن المطهَّر الحِلِّيّ، ويُقال إنَّ ابن تيمية التقاه في الحجِّ واعتذر إليه عمَّا بدر من إساءةٍ إلى مقامه.

وقد اخترت كتابه (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)؛ لما انطوى عليه من كثرة الاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ تنزيلًا وتأويلًا. ويدرس البحث موقف الإماميَّة من النصِّ القرآنيّ، مرسومًا وقراءات، من خلال ما احتجَّ به هذا العالم الكبير من علماء الحِلَّة ومدرستها المجدِّدة.

ويُعنى البحث بمفهوم النصِّ القرآنيّ ومحيطه، والأساس الفكريّ والمنهجيّ الذي انطلق منه العلَّامة الحِلِّيّ في دراسة فضائل أمير المؤمنين، وأذكر بعض الأمثلة على

استشـهاده بالنصِّ القرآنيّ ومحيطه، ثمَّ تقديـم إحصاء لما احتجَّ به العلَّامة من النصوص القرآنيَّـة في كتابه، وبعد ذلك أختم البحث بالخاتمة، أودعها أهم ما توصَّل إليه، والحمد لله أوَّلًا وآخرًا.

مفهوم النصِّ القرآنيّ ومحيطه

القرآن الكريم كتاب الله أنزله على رسوله، من طريق الوحي، على سبيل الهداية والتشريع والإعجاز.

وهو كتابٌ يُتَعَبَّدُ بتلاوته، وكتابُ حياةٍ يتجدَّدُ النَّظَرُ فيه بتجدُّدِ الحياة؛ لالتماس الحلول لما يجدُّ فيها من المعضلات بمقتضى سنن التطوُّر. والوحيُ أوسَعُ من التنزيل، قال تعالى في سورة النجم: ٣-٤: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. فكلُّ ما ينطقُ به النبيّ صلى الله عليه وآله، في شؤون حياة المسلمين وآخرتهم، فهو وحيٌ.

والتنزيلُ أوسع من القرآن، فهو يشملُ ما بين الدفَّتَين والتأويل، والسُّنَّة، وكلُّ ما يحيط بالنصِّ القرآنيّ، والقرآن أوسع من المصحف؛ بدليل تعدُّد المصاحف، فهذا مصحف عليّ عليه السلام، وذاك مصحف عثمان، وغيره مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أُبَي بن كعب، ومصحف المقداد، ومصحف عبد الله بن عبَّاس، وسوى ذلك ممَّا ألَّف فيه العلماء بعنوانات متعدِّدة، ومنها المصاحف[1].

(١) ورد ذِكر المصاحف، لاسيما مصحف عبد الله بن مسعود، في مواضع كثيرة من كتاب الفرَّاء، معاني القرآن، منها مثلًا: ١/ ٩٥، ١/ ١٤٥، ١/ ٢٤٩، ١/ ٣٤٣، ١/ ٤٦٢، ٢/ ٢٣٥، ٢/ ٣١٣، وسواها. وممَّن ألَّفَ بعنوان المصاحف بعده، سواء عقد لذلك بابًا في كتاب، أو خصَّص الكتاب كلُّه لذلك العنوان، القاسم بن سلام، أبو عُبَيْد بن عبد الله الهرويّ (ت ٢٢٤هـ) وكتابه: فضائل القرآن. الحارث المحاسبي، الحارث بن أسد أبو عبد الله (ت ٢٤٣هـ) وكتابه: فهم القرآن. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أبو محمَّد الدينوريّ (ت ٢٧٦ هـ) وكتابه: تأويل مشكل القرآن. ابن الضرِّيس، محمَّد بن أيُّوب بن يحيى بن يسَّار الضرِّيس البجليّ الرازيّ (ت ٢٩٤هـ) وكتابه:=

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الصحابة كانوا يقرؤون القرآن مرسومًا في تلك المصاحف، ومنهم حَفَظَةٌ يَتْلون القرآن من حفظهم، كما يسمعونه من رسول الله ﷺ، وكانوا يتفاوتون في ذلك، فمنهم المُسْتَحفظون الذين استحفظهم النبيّ ﷺ القرآن، وعامَّة التنزيل. وصَدْرُ هؤلاء عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وهو الذي ناجى النبيّ ﷺ، ودفع الصَّدَقَة بعد أن فُرِضَتْ. جاء في تفسير مجاهد في قوله تعالى في سورة المجادلة: ١٢: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال: «نُهوا عن مناجاة النبيّ ﷺ، حتَّى يقدِّموا صَدَقةً، فلم يناجِه أحد إلَّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنَّه قدَّم دينارًا فتصدَّقَ به، وناجى النبيّ ﷺ، فسأله عن عشر خصال، ثمَّ نزلت الرخصة، فقال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ سورة المجادلة: ١٣. يقول: أشقَّ عليكم تقديم الصَّدقة! فَوُضِعَتْ عنهم، وأُمِروا بمناجاته عليه السلام بغير صدقة»[1].

والإمام عليّ عليه السلام وليُّ المؤمنين بنصِّ القرآن، أوضح ذلك المفسِّرون، ومن كَتَبَ في أسباب النزول، قال مقاتل بن سليمان بن شبير الأزديّ البلخيّ، أبو الحسن (ت ١٥٠هـ) في تفسيره: «خرج النبيّ ﷺ إلى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد خرج من المسجد، وهو يحمد الله عزَّ وجلَّ، فدعاه النبيّ ﷺ، فقال: **هل أعطاك أحدٌ شيئًا؟!** قال: نعم يا نبيّ الله، قال: **من أعطاكَ؟!** قال: الرجل القائم أعطاني خاتمه، يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبيّ ﷺ: **على أيِّ حالٍ أعطاكه؟!** قال: أعطاني وهو راكع، فكبَّر النبيّ ﷺ، وقال:

=فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكَّة وما أنزل بالمدينة. الفريابيّ، جعفر بن محمَّد الحسن ابن المستفاض، أبو بكر (ت ٣٠١هـ) وكتابه: فضائل القرآن. النسائي، أحمد بن شُعيب بن عليّ الخراسانيّ، أبو عبد الله (ت ٣٠٣هـ) وكتابه: فضائل القرآن. ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان ابن الأشعث الأزديّ السجستانيّ، أبو بكر (ت ٣١٦هـ) وكتابه: المصاحف. الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) وكتابه: المحكم في نقط المصاحف. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، وكتاب: النَّقْط، وسوى ذلك من المؤلَّفات.

(١) تفسير مجاهد: ١/ ٦٥١.

الحمد لله الذي خصَّ عليًّا بهذه الكرامة، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ – يعني عليّ ابن أبي طالب عليه السلام – فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، يعني شيعة الله ورسوله، والذين آمنوا هم الغالبون، فبدأ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، قبل المسلمين»[1].

والقرآنيَّة تُثبَت بالتواتر، أي: إنَّ النصَّ القرآنيّ أُخِذَ سماعًا من جماعة صادقة، لا يمكن تواطؤها على الكذب، إلى جماعة صادقة أخرى، إلى مصدره الذي أُنْزِلَ عليه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وبقي تُتَلَقَّفُ ألفاظهُ عن حُفَّاظه إلى يومنا هذا، فهو يؤخذ مَتْلُوًّا عن المشايخ بقراءاته المعروفة، مع أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أمر بأن يُكْتَبَ بين يديه في حياته، إذ من المشهور المتواتر والثابت أنَّه اتَّخذ كتابًا للوحي في حياته، وأوصى عليًّا بجمعه في مصحف بعد مماته. وهذا يفسِّر انقطاع أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى كتابة المصحف مدَّة ستَّة أشهر، وهو المعروف بمصحف عليّ، بعد أن انتهى من تغسيل النبيّ صلى الله عليه وآله وتكفينه وتجهيزه ودفنه، وهذا ما ذكره الإمام وأهل البيت والصحابة، فمصحف الإمام عليّ أوَّل المصاحف الجامعة للتنزيل، قرآنًا وتفسيرًا وتأويلًا وسنَّةً، فضلًا عن أسباب النزول ومناسباته، إذ رتَّبه على وفق نزوله، وذكر فيه الناسخ والمنسوخ، واشتُهِرَ عن عبد الله بن مسعود قوله: ما رأيتُ أحدًا أقرأ من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب للقرآن[2].

ولنا أن نعرض لبعض الشواهد على سعة النصِّ القرآنيّ، ودخول مصاحف الصحابة في ما نُسَمِّيه بالمحيط القرآنيّ، ذلك بأنَّ الصحابة كانوا يقرؤون بمصاحفهم

(١) تفسير مقاتل: ١/ ٤٦٨، وينظر: أسباب النزول للواحديّ: ١١٤، طبعة الحلبيّ، ١٩٥٩، ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطيّ: ٩٠-٩١، طبعة الحلبيّ الثانية.

(٢) ينظر: المناقب، لابن شهر آشوب: ٢/ ٥٢، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقانيّ: ٢٥٤، وروي أنَّ ابن سيرين طلب مصحف عليّ؛ لأنَّ فيه الناسخ والمنسوخ، وكتب فيه إلى المدينة، فلم يقدر عليه.

واتَّبَعَهُم الناس على ذلك، ويصلُّون بالناس، فيتلون القرآن ممَّا حفظوه عن رسول الله ﷺ، وأثبتوه في مصاحفهم، وكان الإمام عليّ وأئمَّة أهل البيت من بعده عليهم السلام، يقولون للناس: اقرؤوا كما عُلِّمتُم، فهم يقرُّون الناس على قراءاتهم، وهذا يسوِّغ موقف رواة حديثهم من بعدهم الذين يقولون بالتعبُّد بالقراءات التي كانت معروفة على عهد الأئمَّة المعصومين، وآخرهم الحجَّة القائم المهديّ محمَّد بن الحسن العسكريّ صلوات الله عليه، وكانت ولادته عام ٢٥٥ للهجرة، وغيبته الكبرى عام ٣٢٩ للهجرة، وإذا كانت السُّنَّةُ وعصر النصِّ يستمرَّان، عند الشيعة الإماميَّة، إلى غيبة آخر الأئمَّة المعصومين، فإنَّ القراءات التي كانت معروفة على عهدهم تُعَدُّ من إقرار المعصوم، فهي سنَّة، وهنا نستذكر قول سيبويه رحمه الله: «إلَّا أنَّ القراءة لا تُخالف؛ لأنَّ القراءةَ السُّنَّةُ»[1].

ومهما اختلف موقف اللغويِّين من القراءات، فإنَّهم نظروا إليها على أنَّها من النصوص اللغويَّة الثابتة الصحيحة السَّنَد الصادقة الرواية، وليس من وكد البحث التفصيل في دراسة ما أُثير من بحث حول تسبيع القراءات، الذي تأخَّرَ زمانه عن زمن سيبويه ما يزيد على القرن؛ لأنَّ ابن مجاهد هو الذي سبَّعَ القراءات، وكانت وفاته سنة ٣٢٤ للهجرة، ووفاة سيبويه ١٨٠ للهجرة، ولا علاقة لكتابه: السبعة في القراءات، وأسانيدها وطرق روايتها بحديث الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، ولا البحث في أسانيدها؛ لأنَّ علماء السند وفُّوا الأمر حقَّه من البحث والدراسة، ولكنَّنا نقف عند بعض ما جاء على ألسنة العلماء من الآراء والمواقف اللافتة، ومن ذلك ما رآه ابن جنِّيّ (ت ٣٩٢ هـ) من أنَّ ما يسمَّى شاذًّا من القراءات في زمانه تنميه الرواية إلى رسول الله ﷺ، فهو يبيِّن الموقف من هذه القراءات بأنَّ الغرض منه أن نُري وجه قوَّة ما يسمَّى الآن شاذًّا، وأنَّه ضاربٌ في صحَّة الرواية بجِرانه، وأخذ من سمت العربيَّة مهلة ميدانه،

(١) الكتاب، لسيبويه: ١/ ١٤٨، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، ط٣، ١٩٨٨.

لئلا يظنُّ ظانٌّ أنَّ العدول عنه إنَّما هو غضٌّ منه، أو تهمةٌ له، معاذ الله، وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؟. وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه هو الأخذ به، فكيف يسوِّغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه؟ فإنْ قصُرَ شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلن يقصر عن وجه من الإعراب داعٍ إلى الفسحة والإسهاب، إلَّا أنَّنا وإن لم نقرأ بالتلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتَّبع في القراءة كلَّ جائز روايةً ودراية، فإنَّا نعتقد قوَّة هذا المسمَّى شاذٌّ، وأنَّه ممَّا أمر الله تعالى بتقبُّله، وأراد منَّا العمل بموجبه، وأنَّه حبيبٌ إليه، ومرضيٌّ من القول لديه[1].

وممَّا يقع اللَّبس فيه عند بعض الدارسين موقف الإمام أبي القاسم الخوئيّ، إذ بحث في كتابه البيان، في أسانيد حديث الأحرف السبعة، وتوصَّلَ إلى عدم تواتر هذا الحديث، ولم يخرج موقفه عن موقف أئمَّة أهل البيت وإقرارهم الناس على القراءة كما عُلِّموا، ولا عن موقف رواة حديثهم الذين أوصى الأئمَّةُ بالرجوع إليهم في أمور الدين، وبذلك سمُّوا المراجع، ومجمل ذلك الموقف التعبُّد بالقراءات التي كانت معروفة على زمن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ودفعًا لما أجد من لغطٍ وبلبلة في فهم موقف المرجع الخوئيّ من هذه المسألة المهمَّة في تعبُّد المسلمين بالقرآن وقراءاته المتعدِّدة، أذكر نصَّ المرجع الخوئيّ بحروفه، قال: «وأمَّا ما ثبت قطعيًّا من تقرير المعصومين عليهم السلام شيعتهم على القراءة بأيَّة واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم، فلا شكَّ في كفاية كلِّ واحدةٍ منها، فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنَّهم ردعُوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر، ولا أقلَّ من نقله بالآحاد، بل ورد عنهم عليهم السلام إمضاء هذه القراءات:

(١) راجع: كتاب ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف. ينظر: المحتسب في شواذِّ القراءات لابن جنِّيّ: ١/ ٣٢-٣٣.

اقرأ كما يقرأ الناس، أو اقرؤا كما عُلِّمتم، وعلى ذلك فلا معنى للتخصيص»[1].

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ بعض مصاحف الصحابة تنطوي على قراءات تذكر فضائل أهل البيت، لاسيما عميدهم بعد رسول الله الإمام عليّ بن أبي طالب، وقد احتجَّ بها العلَّامة الحِلِّيّ في كتابه محطَّ عنايتنا في هذا البحث، وكتابه الآخر: منهاج الكرامة الذي سنخصُّه ببحث بعد الفراغ من هذا البحث إن شاء الله، وفي مقدِّمة تلك المصاحف:

مصحف عبد الله بن مسعود، فقد ذكر ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه كان يقرأ هذا الحرف: «وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب»، وذكر الباقلَّانيّ أنَّه كان يقرأ في آل عمران: «إنَّ الله اصطفى آدمَ ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمَّد على العالمين»، وبعد أن يبيِّن موقفه منها، يقول بأنَّ الله قد كفى النبيّ والمؤمنين القتال بعليّ في مواطن كثيرة حسن فيها بلاؤه وجهاده،وأنَّ آل محمَّد مصطفون كآل نوح وآل إبراهيم، فمذهب الشيعة والسنَّة في هذا سيَّان، فلا معنى لقولهم: النَّصب حملهم على جحد هذه القراءات وما جرى مجراها، وحجَّته في إنكارها أنَّها لم ترد في كتب الحديث، لكنَّها مثبتة في مصحف عبد الله، وبقي مصحف عبد الله بن مسعود بين أيدي الناس، ونقل منه الفرَّاء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، لا بل بقي هذا المصحف بين أيدي الناس على زمن ابن مجاهد في القرن الرابع للهجرة، وكان أستاذه ابن شَنَبُوذ يُقرئ الناس بمصحف عبد الله بن مسعود، ويصلِّي بهم، ويتلوا القرآن من هذا المصحف. ومن المواقف المشينة أنَّ ابن مجاهد أقام مجلس تعزير لأستاذه ابن شَنَبُوذ وضربه؛ لأنَّه لم يمتنع من الإقراء والصلاة بمصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[2]. وفي ما تعرَّض له ابن

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٨٦.

(٢) ينظر تفسير ابن أبي حاتم: ٩/ ٢٩-٣١، والانتصار للقرآن، للباقلَّانيّ: ٣٤٢ و٤٥٦. ووردت هذه القراءات في البحر المحيط، ينظر: ٨/ ٤٦٩. وينظر: تفسير السمعانيّ: ٤/ ٢٧٢، ففيه=

شَـنَبُوذ يقول عريب بن سعد القرطبيّ (ت ٣٦٩ هـ) في صلة تاريخ الطبريّ المنشور مع كتاب تاريخ الرسـل والملـوك، للطبريّ (ت ٣١٠ هـ): «وأحْضَرَ ابن مقلة ابن شَـنَبُوذ، وقال له: بلغني أنَّك تقرأ حروفًا في القرآن بخلاف ما في المصحف، وكان ذلك بحضرة ابـن مجاهد وأهل القـرآن، فاعترف بقراءة ما عُـزي إليه من الحـروف، ومنها إذا نوديَ للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله. وأغلظ للوزير وللجماعة في الكلام، ونصر مـا عُزي إليه، فأمر به ابن مقلة فضُرب، فدعا عليه بتشـتيت الشـمل وقطع اليد، ودعا عـلى ابن مجاهد بثكل الولد، وعلى الضارب له بالنار، فشـوهد قطع يد ابن مقلة، وثكل ابن مجاهد ولده»[1]. ويُظهر ذلك تعصُّب من وقفوا ضدَّ أبي الحسن ابن شَنَبُوْذ المعروف بصدقـه وورعه، وحفظـه وضبطه، ومن دفعوهـم إلى ذلك، وهم جماعـة من متعصِّبي الحنابلة.

فضيَّـقَ هـؤلاء واسـعًا كان يجـده ابـن شَـنَبُوذ في النـصِّ القـرآنيّ، لا يقتصر على رسـم مصحـف عثمان بن عفان، وهو بذلك يسـتنُّ بـما فعله الصحابـة الذين احتفظوا بمصاحفهـم ولم يسـلِّموها للحرق، وفي مقدِّمتهم عليّ بـن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن مسـعود رضي الله عنه وعنهم، الذي كان أبو الحسن (ابن شَنَبُوْذ)، بفتح الشين والنون وضمِّ الباء وسكون الواو، يقرأ بمرسوم مصحفه، وتفهم الحرص على التضييق وتجنُّب سعة النصِّ القرآنيّ، واسـتمرار القراءة بتلك السعة من القسـوة التي عاملت بها السلطات مَن يقرأ

=رواية عن ابن عبَّاس تؤكِّد ما جاء بمصحف عبد الله بن مسعود، من أنَّ الله كفى المؤمنين القتال بعـليّ بن أبي طالب. وراجع: تفسـير العزِّ بن عبد السـلام: ٢/ ٥٦٨ والدرُّ المنثور، للسـيوطيّ: ٦/ ٥٩٠. وراجع: مقدِّمة الدكتور شـوقي ضيف لكتاب السـبعة في القـراءات، فقد ذكر ما دار بين ابن مجاهد وأستاذه ابن شنبوذ: ١٩

(١) تاريـخ الرسـل والملوك، وصلـة تاريخ الطـبريّ ١١/ ٢٩١، وينظـر: المنتظم، لابـن الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ): ١٣/ ٣٤٨، ٣٩٢، ٣٩٣. ووفيـات الأعيـان، لابـن خلِّكـان (ت ٦٨١هـ): ٤/ ٢٩٩-٣٠١.

بها سـمُّوه شـاذًّا، بعد أن أخذ الخليفة عثـمان الناس، وأمرهم بالقـراءة بمصحفه الذي أرسـل نسـخًا منه إلى الأمصار، واحتفظ بمصحفٍ لديه سُـمِّيَ إمامًـا. وممَّا يدلُّك على ثبـوت ما كان لدى كبار الصحابة من المصاحـف، واحتفاظهم بها، حتَّى بعد أمر عثمان بحرق المصاحف سـوى مصحفـه، أنَّهم كانوا يُقـرؤون الناس بهـا، ويقيمون الصلاة، فلـو ذهبنا مذهب المتعصِّبين، وقلنـا ببطلانها؛ لانزلقنا منزلقًا خطـيرًا، ذلك هو بطلان تعبُّد الصحابة بمصاحفهم سوى مصحف عثمان.

من هنا تظهر خطورة رمي القراءة بمصاحف الصحابة بالشـذوذ الذي كان يعني: مخالفة رسـم مصحف عثمان، ثمَّ آل مفهومه إلى البطلان عنـد متأخِّري المتعصِّبين. ولنا أن نشـير إلى أنَّ مصاحف الصحابة بقيت تُتَداول وتُنقل إلى عهدٍ بعيدٍ من انتهاء الخلافة الراشـدة. فهذا الفرَّاء ينظر في مصحف عبد الله بن مسـعود وينقل منه، فاسمعه يقول: «وقوله:«يـا أيُّهـا الذيـن آمنوا إن جاءكم فاسـقٌ بنبـإٍ فتثبَّتوا» قراءة أصحـاب عبد الله، ورأيتهـا في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء، وقـراءة الناس: فتبيَّنوا، ومعناهما متقارب؛ لأنَّ قولـه: «فتبيَّنوا»: أمهلـوا حتَّى تعرفوا، وهذا معنى تثبَّتوا»[1]، فالفرَّاء المتوفَّى سـنة (٢٠٧ للهجرة)، نصَّ على أنَّه رأى ذلك منقوطًا بالثاء في مصحف عبد الله بن مسـعود. ولا شكَّ في أنَّ الداني (المتوفَّى ٤٤٤هـ)، الذي وصلت إلينا مؤلَّفاته في المصاحف ونقطها، قد رأى مصاحف الصحابة التي كتـب عنها. وتحتفظ المتاحف والمكتبات العالميَّة بقطع ونسخ من المصاحف التي كُتبت في مختلف العصور الإسلاميَّة، وهي تكشف عن تطوُّر رسـم المصحف من عصر السيرة النبويَّة إلى عصر ظهور المطابع، إذ اختارت لجنة علميَّة في مـصر طبـع المصحف الكوفيّ برواية حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السـلميّ عـن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ومـن الباحثين المعاصرين من أعدَّ معجمًا لرسـم المصحف

(١) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣/ ١٧-٧٢.

وتطوُّره عبر العصور[١].

ونحن إذ أوقفنا بحثنا هذا على العلَّامة الحِلِّيّ المتوفَّى (٧٢٦هـ)، واحتجاجه بالنصِّ القرآنيّ، لاسيما في كتابه كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، لا بدَّ لنا من تبيُّن موقفه من النصِّ القرآنيّ ومحيطه. وإذا كان القدماء، ومنهم الفرَّاء الكوفيّ (ت ٢٠٧هـ)، قد نظروا إلى النصِّ القرآنيّ نظرة السعة التي تستوعب مصاحف الصحابة، ومنهم مصحف عبد الله بن مسعود، رضوان الله عليه، ولم يقصروا محيط النصِّ القرآنيّ على مصحف عثمان، فإنَّ تضييق محيط النصِّ الذي قامت به السلطات، وشجَّعت العامَّة عليه عبر القرون إلى عصر العلَّامة الحِلِّيّ، قد طال بتأثيره موقف العلَّامة من ذلك النصّ، فاسمعه يقول، وهو يرسم شرط قراءة القرآن في الصلاة ما يصحُّ منها وما يبطل، فتبطل الصلاة بسببه: «يقرأ بما نُقِلَ متواترًا في المصحف الذي يقرأ به الناس أجمع، ولا يُعَوَّل على ما يوجد في مصحف ابن مسعود؛ لأنَّ القرآن ثبت بالتواتر، ومصحف ابن مسعود لم يثبت متواترًا، ولو قرأ به بطلت صلاته خلافًا لبعض الجمهور»[٢]. ثمَّ يستطرد قائلًا: «يجوز أن يقرأ بأيِّ قراءةٍ شاء من السبعة؛ لتواترها أجمع، ولا يجوز أن يقرأ بالشاذِّ وإنْ اتَّصلت روايته؛ لعدم تواترها، وأحبُّ القراءات إليَّ ما قرأ عاصم من طريق أبي بكر ابن عيَّاش وقراءة أبي عمرو بن العلاء، فإنَّهما أولى من قراءة حمزة والكسائيّ لما فيهما من الإدغام والإمالة وزيادة المدِّ، وذلك كلُّه تكلُّف، ولو قرأ به صحَّتْ صلاته بلا خلاف»[٣].

وبعد أن يذكر ضرورة أن يأتي المصلِّي باللفظ الصحيح، وإخراج الحروف من

(١) راجع معجم الرسم العثمانيّ، للدكتور بشير بن حسن الحميريّ، طبع مركز تفسير للدراسات القرآنيَّة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
(٢) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلَّامة الحِلِّيّ: ٥/ ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ١٢٥-١٢٦.

مخارجها، وإن جهل ذلك، فعليه التعلُّم، ويذكر مذهب أهل البيت ومن وافقهم، فيقول: «ولا يجزئ بالترجمة، ولا بمرادفاتها من العربيَّة، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبه قال الشافعيّ، وأبو يوسف، ومحمَّد، وقال أبو حنيفة: يجوز ذلك»[1]. ثمَّ يبيِّن موقفه من النصِّ القرآني المقروء به في الصلاة، ويبسط القول فيه، فاسمعه يقول: «إنَّه بغير العربيَّة ليس بقرآن؛ لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، أخبر بأنَّه أنزل القرآن باللسان العربيّ، فما ليس بعربيّ لم يكن قرآنًا، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ ولأنَّ القرآن ما ثبت نقله بالتواتر والترجمة والمرادف ليس كذلك؛ ولأنَّه معجز بالإجماع، إمَّا بفصاحته أو نظمه أو بهما أو بالصرفة، فلو كان معناه قرآنًا لما تحقَّق الإعجاز، ولما حصل التحدِّي به، ولكانت التفاسير قرآنًا، ويلزم أنَّ من أتى بمعنى شعر امرئ القيس نظمًا أن يكون هو بعينه شعر امرئ القيس، وذلك جهالة»[2].

ثمَّ يواصل عرض آراء المخالفين، ويردُّ عليهم مستدلًّا بالنصِّ القرآنيّ، وما صحَّ من السنَّة، ويخلص إلى وجوب تعلُّم لغة القرآن، العربيَّة، ولنعرض لقوله بحروفه: «قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، فالنبيّ صلى الله عليه وآله أتاهم بالقرآن بلغة العرب، فادَّعوا أنَّ رجلًا من العجم يعلِّمه، فأكذبهم الله تعالى، وقال: هذا الذي يضيفون إليه التعليم أعجميّ، والذي أتاكم به لسان عربيّ، فلو استويا في كونهما قرآنًا، لم يُنكر عليهم ما ادَّعوه، وإذا لم يكن قرآنًا لم يكن مجزئًا؛ لقوله عليه السلام: **لا صلاةَ إلَّا بقرآن**، وقوله عليه السلام: **لا صلاة إلَّا بفاتحة الكتاب** (...)، ولو لم يُحسن القراءة بالعربيَّة، وجب عليه التعلُّم، وهو قول كلّ من أوجب القراءة بها؛ لأنَّ القراءة واجبة، وهي متوقِّفة على التعلُّم، فيكون واجبًا،

(١) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلَّامة الحِلِّيّ: ٥/ ١٢٦ ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٢٨. والنصُّ القرآنيّ في سورة الشعراء الآية/ ١٩٥، وسورة يوسف الآية/ ٢.

ولو أخلَّ مع المكنة، بطُلت صلاته»[1].

يتَّضح بهذا النصِّ الذي ذكرناه بحروفه تحرِّيًا للدقَّة، أنَّ موقف العلَّامة الحِلِّيّ ينبع من واقع الأداء التعبيريّ للنصِّ القرآنيّ في زمانه، فالنصُّ القرآنيّ ينطق به الناس صباح مساء؛ لأنَّه نصٌّ يُتَعَبَّدُ بتلاوته؛ ولـمَّا كانت عامَّتهم قد اختارت النصَّ القرآنيّ المرسوم في المصحف، والاقتصار على القراءات السبعة التي اختارها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، وقالوا بتواترها، فإنَّ موقف العلَّامة الحِلِّيّ القائل بتواتر القرآن بقراءاته السبعة، لا يخرج عن موقف العامَّة وإجماعهم، على الرغم من الخلاف في تواتر القراءات السبعة، أهوَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أم عن القرَّاء الذين عُزيت إليهم، ونُقلت عنهم. ويُروى أنَّ أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، كان يقرأ ببعض القراءات في مسجد الكوفة، فيقول له بعض الناس: هلَّا أثبتَّها في المصحف! فيقول: **القرآن لا يُهاج اليوم**. أي: لا يُغَيَّر.

جاء في تفسير الطبريّ: «وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، أمَّا الفرَّاء فعلى قراءة ذلك بالحاء ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، وكذا هو في مصاحف أهل الأمصار، وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه كان يقرأ «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» بالعين (...)، قرأ رجل عند عليّ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، فقال عليّ: **ما شأن الطلح، إنَّما هو: «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ»**، ثمَّ قرأ: «طلعها هَضيمٌ»،

(١) منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلَّامة الحِلِّيّ: ٥/ ١٢٨-١٣٣، والنصُّ القرآنيّ في سورة النحل، الآية: ١٠٣، والحديث ٨١٩ في سنن أبي داوود: ١/ ٢١٦.
والحديث الآخر ورد بلفظ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» في صحيح البخاريّ: ١/ ١٩٢، وصحيح مسلم: ١/ ٢٩٥، الحديث ٣٩٤، سنن ابن ماجه: ١/ ٢٧٣، الحديث ٨٣٧، سنن الترمذيّ: ٢/ ٢٥، الحديث ٢٤٧، سنن النسائيّ: ٢/ ١٣٧، وفي كنز العمَّال: ٧/ ٤٤٣، الحديث ١٩٦٩٥ و٨/ ١١٣، الحديث ٢٢١٤٧بلفظ: «**لا صلاة إلَّا بفاتحة الكتاب**».

فقلنا: أو لا نحوِّلها؟ فقال: **إنَّ القرآن لا يُهاج اليوم ولا يُحَوَّل**»[1].

ويُروى كذلك أنَّه كان يكتب المصحف الذي وصل إلينا من طريق أبي عبد الرحمن السُّلَميّ، واشتُهرت إحدى قراءات هذا المصحف، وهي قراءة حفص عن عاصم ابن أبي النَّجود عن أبي عبد الرحمن السُّلَميّ عن أمير المؤمنين عليّ، وهي تُروى برواية أبي بكر بن عيَّاش كذلك، وهي التي فضَّلها العلَّامة الحِلِّيّ مع قراءة أبي عمرو بن العلاء، فإنَّهما أولى عنده من قراءة عليّ بن حمزة الكسائي، وحمزة الزيَّات؛ لما فيهما من المدِّ والإدغام والإمالة. كان أمير المؤمنين يكتب نسخًا من ذلك المصحف ويوزِّعه على المساجد، ولم يُلزم النَّاس بالقراءة بالمصحف الذي كتبه وأخذ مادَّته عن الرسول صلى الله عليه وآله، ومصحفه «في أوَّله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وهذا أوَّلُ مصحف عليّ عليه السلام»[2]، وقد كان رتَّبه بحسب النزول، ويروى عن محمَّد بن سيرين أنَّه «قال: لمَّا توفِّي النبيّ صلى الله عليه وآله، أقسم عليٌّ أن لا يرتدي برداء إلَّا لجمعة حتَّى يجمع القرآن في مصحف»[3]، فمصحفه أوَّل المصاحف كما ذكرنا، والإمام عليّ هو المقصود بقوله تعالى في سورة الحاقَّة، الآية: ١٢ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾؛ لقول الرسول صلى الله عليه وآله حينما نزلت: سألتُ الله أن تكون أُذنك يا عليّ فأجابني، جاء في تفسير الطبريّ بسنده عن مكحول أنَّه قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾، ثمَّ التفت إلى عليّ، فقال: «**سألتُ الله أن يجعلها أُذُنَك**». قال عليٌّ رضي الله عنه: **فما سمعتُ شيئًا من رسول صلى الله عليه وسلَّم فنسيته**»[4]. وروى الطبريّ في أسباب نزول الآية بإسناده عن بُرَيدة الأسلميّ، قال: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: «**إنَّ**

(١) تفسير الطبريّ، تحقيق أحمد محمَّد شاكر: ٢٣/ ١١، وينظر: تفسير الثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ): ٩/ ٢٠٧، وتفسير البغويّ (ت ٥١٠هـ)، طبعة إحياء التراث: ٥/ ٨.

(٢) الانتصار للقرآن، للباقلَّانيّ: ١/ ٢٨٧

(٣) فضائل القرآن، لابن كثير: ٨٨.

(٤) تفسير الطبريّ، طبعة دار هجر: ٢٣/ ٢٢٢.

الله أمرني أن أُعلِّمَكَ وأنْ أُدنيك و لا أجفوك ولا أُقصيك، وأن أعلِّمك وأن تعيَ، وحقٌّ على الله أن تعيَ»، «قال: فنزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾» الحاقَّة: ١٢[1].

ولا شكَّ في أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قد بلغه فعل أمير المؤمنين، أي نسخه للمصحف المُتَداول بين الناس، وتوزيعه على المساجد، وعدم إخراج مصحفه، وإلزام الناس على قراءته وتداوله، ومنع سواه، كما فعل الخليفة عثمان، فإذا كان هذا فعل الإمام بمصحفه، فهو لا يختلف عن مصحف غيره من الصحابة، ومنهم مصحف عبد الله بن مسعود، وهذا يسوِّغ موقف العلَّامة الحِلِّيّ من مصحف عبد الله بن مسعود، ورميه بالشذوذ، وعدم جواز الصلاة به.

ولكنَّنا حينما نتكلَّم على المحيط القرآنيّ، ودخول مصاحف الصحابة في ذلك المحيط، وهو أوسع من مصحف عثمان وقراءاته، فإنَّما نستخلص ما يدفع شبهة تحريف القرآن من حيث أتت قديمًا وحديثًا؛ لأنَّ مصاحف الصحابة تمثِّل واقعًا لا يمكن إنكاره، وأنَّهم رفضوا تسليمها للحرق الذى اجتهد به عثمان في خلافته، ولم يُقدم عليه أمير المؤمنين عليّ في عهد خلافته، بدليل بقاء هذه المصاحف وتأثيرها في الدراسات القرآنيَّة بعد انتهاء الخلافة الراشدة بانقلاب الأمويِّين عليها، لا بل إنَّ تأثير هذه المصاحف مستمرٌّ إلى يومنا، هذا فهي محطُّ عناية الدراسات الأكاديميَّة وغير الأكاديميَّة.

ولو تأمَّلنا في ما رُميَ به مصحف عبد الله بن مسعود من الشذوذ وعدم التواتر، وهو يشمل مصاحف الصحابة، سوى مصحف عثمان، ونسخه التي أرسلت إلى الأمصار الإسلاميَّة، وأُمر الناس بالاقتصار عليها قراءةً وتعبُّدًا، فشكَّل ذلك واقعًا تعبيريًّا واسعًا،

(١) تفسير الطبريّ، طبعة دار هجر: ٢٣/ ٢٢٣، وينظر تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمَّد الطيِّب: ١٠/ ٣٣-٦٩ وتفسير الثعلبيّ: ١٠/ ٢٨، والهداية إلى بلوغ النهاية، مكِّي ابن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ): ١٢/ ٧٦٧١-٧٦٧٢.

عـلى خلاف مصاحـف بقيَّة الصحابة، التي اقتـصرت على القلَّة؛ لأنَّ النـاس مُنعوا من القراءة بها في المسـاجد، ممَّا ضيَّق فسـحة اسـتعمالها، فتراجع أداؤها التعبيريّ، ولم يُشتَهَر بين الناس، فلم تكن بين أيدي العامَّة، واقتصرت على الخاصَّة، ومع مرور الزمن صارت السـلطات تعاقـب من يقـرأ بها، كما حصـل في العصرَين الأمـويّ، على زمـن ابن زياد والحجَّاج خاصَّة، والعبَّاسيّ مثلما جرى لعالم كبير هو أبو الحسن ابن شَنَبُوذ.

ولا بدَّ من القول بأنَّ القرآن واحدٌ نَزَلَ من عند الواحد، وإنَّما يجيء الاختلاف من الرواة، وهو قول أئمَّة أهل البيـت عليهم السلام. وقد بَيَّنَّا موقفهم من التَّعَبُّد بالقراءات المعروفة في زمانهـم، وهـو ما عليه علماء الشـيعة الإماميَّة إلى يومنا هذا، وهذا يعني أنَّ التوسـعة والرخصـة في قراءة القرآن على أكثر من وجه من وجوه القراءة الموافقة لقانون لغةِ نَصِّهِ العربيَّـة إنَّما تقع ضمن المحيـط القرآنيّ، وإنَّ التفاضل بين هذه القـراءات الذي أُقيمت عليه دراسـات قرآنيَّة كثيرة أثْرَتْ علوم اللغة، وأفادت توسـعةً في دلالة النصِّ القرآنيّ، يحتاجهـا المفسِّر والفقيه في كلِّ عصر وزمـان. وإذا علمنا أنَّ رواة القرآن هم أهل البيت والصحابـة، علمنـا أنَّ الاختلاف بـين الرواة مرضيٌّ عنـه، وداخلٌ في المحيـط القرآنيّ كذلك، وهو ما كان واسـعًا، ثمَّ آل إلى الضيق مع الزمن، فاقتصر مصحف التلاوة على ما سُـمِّيَ بالمصحـف العثمانيّ الذي نَفَذَتْ إلينا قراءاته السـبعة أو العشرة أو سـواها ممَّا احتملهـا نصُّه واختارهـا العلماء، وتواتَرَ أنَّها كانت معروفة عـلى عهد أئمَّة أهل البيت، وأنَّهـم أقرُّوا النـاس على القراءة بهـا، وأمروا شـيعتهم بالقراءة بها، وهذا ما سـنَّه أمير المؤمنين عليّ، في عهد خلافته، من عدم إلزام الناس بالقراءة في مصحفه، وإقرارهم على القراءة بمصحف عثمان. فالقول بوحدانيَّة القرآن لا يمنع من تعدُّد قراءاته، والمصحف المطبـوع اليوم بين أيدي الناس، هو برواية حفص عن عاصم، والمصحف الآخر برواية ورش عن نافع المدنيّ.

وقبل أن نختم الحديث في مفهوم النصِّ القرآنيّ ومحيطه، وقد ألمحنا في ما مضى من البحث إلى أنَّ المحيط القرآنيّ كان أوسع ممَّا آل إليه بعد اجتهاد الخليفة عثمان، بإلزام الناس على القراءة في المصحف الذي سُمِّيَ باسمه فقط، وحرق ما سواه من مصاحف الصحابة، وقلنا بأنَّ من الصحابة من رفض اجتهاد الخليفة، وأبقى على مصحفه، وألزمت سلطة الخلافة أئمَّة المساجد، وهم العمَّال في الأمصار، أو الولاة، بالقراءة في مصحف عثمان ونُسَخِهِ التي أُرْسِلَتْ إلى الأمصار الإسلاميَّة، وكانت خلافة أمير المؤمنين عليّ قد شهدت تسامحًا أدَّى إلى عودة محدودة لسعة محيط النصِّ القرآنيّ، إلَّا أنَّ الإمام لم يُلزم الناس على القراءة بمصحفه، كما فعل سَلَفُهُ، وأَقَرَّ النَّاسَ على ما يقرؤون، ولكن بعد انقلاب الأمويِّين على الخلافة الراشدة بقوَّة السلاح والمكر والخيانة والتآمر على الخليفة الشرعيّ وقتله، تشدَّدوا في استخدام السلطة ضدَّ من يذكر فضائل الإمام عليّ، لاسيما في القرآن والسُّنَّة، فضيَّقوا محيط النصِّ القرآنيّ بمنعهم القراءات التي انطوت على تلكم الفضائل، لا بل تجاوزوا ذلك المنع إلى الأمر بشتم وسبِّ الإمام عليّ صلوات الله عليه في المساجد، ومن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان الحَجَّاجُ أَشَدَّ ولاة بني أميَّة تعصُّبًا لمصحف عثمان، ونكايةً بمصحف عبد الله بن مسعود، فسعى إلى إعمام مصحف عثمان على الأمصار الإسلاميَّة، مع جهد كبير يبذله إغراءً وإرهابًا، وكان يشتم الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود، ويسمِّيه: (عبد بني هذيل)، وذكر أبي داوود في سننه أنَّ الحجَّاج كان يقول عنه كذلك بأنَّه يزعم أنَّ قراءته من عند الله، والله ما هي إلَّا رجز من رجز الأعراب، ما أنزلها الله على نبيِّه عليه السلام[1]، ويسوِّغ موقف الحجَّاج من قراءة عبدالله بن مسعود ومصحفه، وأنَّه كان يعاقب من يقرأ بها، بأنَّه تعصُّبٌ للغة قريش التى جاء على وفقها مصحف عثمان ضدَّ لغة هذيل التي جاء

(١) راجع سنن أبي داوود: ٢/ ٥١٤.

على وفقها مصحف عبد الله، والأمر خلاف ما ذهب إليه.

والحقُّ أنَّ الأمر ليس كذلك؛ لأنَّ مصحف عثمان لم يكن كلُّه على لغة قريش، ومصحف عبد الله لم يكن كلُّه على لغة هُذَيْل، وإنَّما الأمر كلُّه لا يخرج عن دائرة السياسة الأمويَّة المعادية للرسول وأهل بيته، لاسيَّما أنَّ الحجَّاج كان في عهد عبد الملك، واستمرَّ إلى عهد الوليد، واضطُرَّ أصحاب عبد الله إلى دفن مصاحفهم وإخفائها زمن الحجَّاج، كفعل الحارث بن سُوَيد التيميّ، ويقول فيه الفرَّاء: «ورأيتها في مصحف الحارث بن سويد التيميّ (...)، وكان مصحفه دُفِن أيَّام الحجَّاج»[1]، وسمع طائفة من قرَّاء الكوفة، ومنهم عاصم والأعمش الحجَّاج يقول: لا أجد أحدًا يقرأ على قراءة ابن أمِّ عبد إلَّا ضربت عنقه، وهو بذلك يخالف رسول الله ﷺ، إذ كان يحبُّ أن يسمع القرآن من عبد الله بن مسعود، وأوصى من أراد أن يسمع القرآن غضًّا طريًّا فليسمعه من ابن أمِّ عبد، وهو الصحابيّ عبد الله بن مسعود، وذكر ابن قتيبة أنَّ الحجَّاج «وكَّلَ عاصمًا الجحدريّ وناجية بن رمح وعليّ بن أصمع بتتبُّع المصاحف، وأَمَرَهُم أن يقطعوا كلَّ مصحف وجدوه مخالفًا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستِّين درهمًا، خبَّرني بذلك أبو حاتم السجستانيّ عن الأصمعيّ، قال وفي ذلك يقول الشاعر:

وإلَّا رسوم الدار قفرًا كأنَّها
كتابٌ محاهُ الباهليُّ بن أصمعا»[2]

وقال ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ): «وقرأ الحجَّاج على المنبر، وكان فصيحًا «أن ربَّهم: بالفتح، فلمَّا علم أنَّ اللام في خبرها أسقط اللام؛ لئلَّا يكون لحنًا، فقرأ «أنَّ ربَّهم بهم يومئذ خبير»، ففرَّ من اللحن عند الناس، ولم يبالِ بتغيير كتاب الله

(١) معاني القرآن، للفرَّاء: ٣/ ٦٨.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ٣٧.

لجرأته على الله وفجوره»[1]. ولم يسلم من عبث الحجَّاج، وقبله ابن زياد، حتَّى مصحف عثمان[2] الذي ادَّعوا أنَّهم يلزمون الناس به؛ لكنَّ أهل القرآن كانوا لهم بالمرصاد، فباءت محاولاتهم بالفشل، واحتفظ الناس بالمصاحف الصحيحة.

وبعد الثورة العبَّاسيَّة التي هدمت أركان السلطة الأمويَّة، وقامت تحت شعار الدعوة إلى الرِّضا من آل محمَّد، ورفعوا شعار (يا لثارات الحسين)، عادت السَّعَةُ إلى محيط النصِّ القرآنيّ في بداية حكمهم، وعادت بعض مصاحف الصحابة إلى الظهور بعد أن سعى الأمويُّون وبعض ولاتهم إلى طمسها، فصار العلماء يرجعون إلى تلك المصاحف، وينتفعون بما فيها من القراءات، وقد حدَّثتك عن يحيى بن زياد الفرَّاء وكثرة رجوعه إلى مصحف عبد الله بن مسعود، وترجيحه الوجه الذي يرد في مصحفه، وهو يدرس قضايا اللغة بمستوياتها، الأربعة: الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ والدلاليّ.

وكان العبَّاسيُّون يكثرون من ذكر فضائل أمير المؤمنين، وما نزل بحقِّه من القرآن، فأبو جعفر المنصور أحد رواة حديث الغدير كما هو معروف، وكان العبَّاسيُّون الأوائل قد عرضوا على أئمَّة أهل البيت تسلُّم الخلافة، ووصلت رسالة من أبي مسلم الخراسانيّ إلى الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام، لكنَّه اعتذر عن ذلك؛ لعلمه بما تواتر من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله باستبداد ولد العبَّاس بالحكم، ومعاداتهم لذريَّة الرسول من ولد فاطمة بسببه، واشتُهِرَ عن الرشيد قوله لابنه المأمون: إنَّ المُلك عقيم، لو نازعتني إيَّاه لأخذتُ الذي فيه عينيك. وعلى الرَّغم من أنَّ الرشيد بنى قبر أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه؛ بعد ما ظهر له من أمر الغزالة التي لاذت بقبره؛ فانكفأت عنها سهام الصيد، وفهوده.

(١) إعراب ثلاثين سورة، لابن خالويه: ١٥٨.
(٢) راجع: المصاحف لابن أبي داوود: ١٥٦-١٥٧ و٢٧١ وما بعدها.

«فجاءه رجل من أهل الخبرة وقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن دللتك على قبر ابن عمِّك عليّ بن أبي طالب ما ليَ عندك؟ قال: أتمّ مكرمة. قال: هذا قبره، فقال له الرشيد: من أين علمك بذلك؟ قال: كنت أجيء مع أبي فيزور قبره، وأخبرني أنَّه كان يجيء مع جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فيزوره، وأنَّ جعفرًا كان يجيء مع أبيه محمَّد الباقر فيزوره، وأنَّ محمَّدًا كان يجيء مع أبيه عليّ زين العابدين فيزوره، وأنَّ عليًّا كان يجيء مع أبيه الحسين فيزوره، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر، فأمر الرشيد أن يحجر الموضع، فكان أوَّل أساس وضِع فيه، ثمَّ تزايدت الأبنية فيه في أيام السامانيَّة وبني حمدان، وتفاقم في أيَّام الديلم، أي في أيَّام بني بويه (...) وعضد الدولة هو الذي أظهر قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وعمَّر المشهد هناك وأوصى أن يُدفَنَ فيه»[1]، لكنَّ الرشيد سمع قالة الوشاة والمنافقين في أئمَّة أهل البيت الذين عاصرهم، فدبَّر قتلهم على قاعدة (المُلك عقيم)، وإنْ توهَّم منازعتهم ملكه، ولم يراعِ فيهم إلًّا ولا قرابةً مع معرفته بإمامتهم، إذ كان يُجلِس الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على كرسي الخلافة، ويخاطبه بصفة أمير المؤمنين، مُصْغِيًا إليه، وهو يفيض عليه من علمه مجيبًا عن أسئلة الرشيد كافَّة، وقد روى ذلك ابنه المأمون، إذ كان يقول في مجالسه بعد بيعة الإمام عليّ بن موسى بن جعفر الرضا عليه السلام بولاية العهد، يقول المأمون بعد أن انتفض عليه العبَّاسيُّون في بغداد بسبب تلك البيعة: إنَّ والدي هو الذي علَّمني التشيُّع، ويسرد كيف كان يتعامل مع الإمام الكاظم موسى بن جعفر الصادق، وينادي بإمارة المؤمنين، وكيف كان يتسابق مع أخيه الأمين على تقديم نعلَي الإمام وتجهيز راحلته، وإنَّه أسرَّ المأمون بأن هذا الأمر – الخلافة – سيؤول إليه، وقال له: فالله الله في وِلْدِي[2].

(١) راجع: حياة الحيوان الكبرى، للدميريّ: ٢/ ٣٠٧- ٢٠٨، وحكى هذه القصة ابن خلِّكان في وفياته قبل الدميريّ. ينظر: وفيات الأعيان: ٤/ ٥٥.

(٢) راجع عيون أخبار الرِّضا، للقمِّيّ ابن بابويه.

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ السياسة التي انتهجها الحاكمون أثَّرتْ في محيط النصِّ القرآنيّ في القراءة الرسميَّة إلى أن آلَ الأمر بهذا المحيط الاقتصار على المصحف العثمانيّ، وما اختاره بعض العلماء من قراءاته السبعة والعشرة والأربع عشرة، واشتهر أمر القراءة بالسبعة التي رأى العلَّامة الحِلِّيّ تواترها، فضلًا عن تواتر القرآن.

الأساس الفكريّ والمنهجيّ

أمَّا الأساس الفكريّ والمنهجيّ الذي انطلق منه العلَّامة الحِلِّيّ في دراسة فضائل أمير المؤمنين، فهو الانطلاق من النصِّ القرآنيّ ومحيطه، فضلًا عن الصحيح من السُّنَّة. ومن المعروف أنَّ علماء الشيعة الإماميَّة اتَّخذوا نهج القراءة الناقدة للمرويَّات حتَّى يصلوا إلى الصحيح منها، وتنصبُّ دراساتهم النقديَّة على المتون والأسانيد والرواة، فألَّفوا في علم الرجال خدمةً لمنهجهم في تنقية المتون وإظهار الصحيح ونبذ المكذوب على المعصوم، وهو يستحضر قوله تعالى في سورة البقرة، من الآية: ١٢٤ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، بإسناده عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **أنا دعوةُ إبراهيم**، قلنا يا رسول الله، وكيف صرتَ دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: **أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فاستخفَّ إبراهيم الفرح، قال يا ربِّي ومن ذرِّيَّتي أئمَّة مثلي. فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم إنِّي لا أعطيك عهدًا لا أفي لك به، قال: يا ربّ ما العهد الذي أنَّك لا تفي به؟ قال لا أعطينَّك لظالم من ذريَّتك، قال إبراهيم عندها ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾**، قال النبيّ ﷺ: **فانتهت الدعوة إليَّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منَّا لصنمٍ قطُّ، فاتَّخذني الله نبيًّا، واتَّخذ عليًّا وصِيًّا**.

والظلم هو الشرك بالله، وفي هذا ذكر الزمخشريّ في تفسيره: لا ينال عهدي الظالمين وقُرئ: الظالمون، أي من كان ظالمًا من ذريَّتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة،

وإنَّما ينال من كان عادلًا بريئًا من الظلم[1].

ممَّا يكشف عن الأساس الفكريّ والمنهجيّ الذي انطلق منه العلَّامة، حديثُ العلَّامة عن إيمان أمير المؤمنين، إذ يرى أنَّ هذه الفضيلة لا يوازنها شيء من الفضائل، ويحتجُّ لذلك بقوله ﷻ في سورة النساء، من الآية: ١١٦: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

ثمَّ يقول: «وقد أجمع المسلمون كافَّة على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام، سبق إلى الإسلام قبل كلِّ أحد، ولم يشرك بالله طرفة عين، ولم يسجد لصنم، بل هو الذي تولَّى تكسير الأصنام لـمَّا صعد على كتف النبيّ صلى الله عليه وآله»[2]، فالعلَّامة يستدلُّ بإجماع المسلمين هنا، ثمَّ يحتجُّ بالسنَّة ممَّا رواه «أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي مريم عن عليّ عليه السلام، قال: **انطلقتُ أنا والنبيّ صلى الله عليه وآله، حتَّى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس، وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى منِّي ضعفًا، فنزل وجلس لي نبيّ الله صلى الله عليه وآله، وقال: اصعد على منكبي، قال: فصعدتُ على منكبه، فنهض بي**»[3]، إلى آخر الحديث الذي يذكر فيه

(١) كشف اليقين: ٤٠٨. ومؤلَّفاتهم التي هي صحاحهم ثمرة دراساتهم الناقدة المهذَّبة، هي: الكافي في الأصول والفروع، للكلينيّ، ويحتوي على ١٦١٩٩ حديثًا، وتهذيب الأحكام، للشيخ الطوسيّ، ويحتوي هذا الكتاب على ١٣٩٠٥ من الأحاديث، والاستبصار في ما اختلف من الأخبار، للشيخ الطوسيّ، ويحتوي على ٥٥١١ حديثًا، ومن لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق، ويحتوي على ٥٩٩٨ حديثًا. ويُلاحظ أنَّ عدد الأحاديث يقلُّ في الكتب التي تلت الكافي؛ بسبب التهذيب والانتقاء، ولا تخلو هذه الكتب من علم الرجال مع وجود التأليف المستقلّ من مثل: كتاب اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشِّيّ، محمَّد بن عمر (ت ٣٥٠هـ)، وكتاب الرجال، للنجاشيّ، أحمد بن عليّ الأسديّ الكوفيّ (ت ٤٥٠هـ)، وللشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ) كتاب الرجال وكتاب الفهرست، وكتاب معالم العلماء لابن شهر آشوب المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، وللعلَّامة الحِلِّيّ كتاب الخلاصة، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) كشف اليقين: ٣٦-٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ٣٧-٣٨، وراجع: مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٨٤ و١٥١، ورواه النسائيّ في=

الحدث الذي مثَّل منعطفًا في تاريخ الإسلام، وهو تحطيم الأصنام الذي أتمَّه الإمام عليّ بعد أن استقرَّ على ظهر الكعبة، مرتقيًا إلى سطحها على كتفَي رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لترتفع راية التوحيد الحقّ إلى يومنا هذا.

ويذكر العلَّامة الحِلِّيّ حديثًا في فضائل أمير المؤمنين، يخرِّجه من مسند أحمد، «ومن كتاب مسند أحمد عن ابن عبَّاس قال: أوَّل من صلَّى مع النبيّ صلى الله عليه وآله بعد خديجة عليّ عليه السلام»[1]. ويستطرد في ذكر فضائل الإمام من كتب الحديث والسنَّة، ومن تفاسير القرآن، ممَّا لا مجال لعرضه في هذا البحث الوجيز، ولكن نذكر بعض الأمثلة التي احتفظ بها كتابه، فمن مصادره ما لم يصل إلينا، من مثل ما ذكره النطنزيّ في كتابه الخصائص، قال العلَّامة: «ومن كتاب الخصائص، للنطنزيّ، عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ، فقال: **إنَّ هذا لأوَّل من آمن بي، وهذا فاروق هذه الأمَّة، وهذا يعسوب المؤمنين، وأوَّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدِّيق الأكبر** (...)، وفيه عن العبَّاس بن عبد المطَّلب، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، وهو يقول: فإنِّي سمعت رسول الله يقول في عليّ ثلاث خصال، وددْتُ أنَّ لي واحدة منهُنَّ، فواحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجرَّاح ونفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ضرب النبيّ صلى الله عليه وآله على كتف عليّ بن أبي طالب، فقال: **يا عليّ أنت أوَّل المسلمين إسلامًا، وأنت أوَّل المؤمنين إيمانًا، وأنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، كذب يا عليّ من زعم أنَّه يُحبُّني ويُبغضك**»[2].

=الخصائص برقم ١٢٢، طبعة بيروت: ٢٢٥.

(١) كشف اليقين: ٤٠، ومسند أحمد بن حنبل: ١/ ٣٧١، وينظر: الاستيعاب لابن عبد البرِّ: ١/ ٧١، وسواها.

(٢) كشف اليقين: ٤٦-٤٧، وكتاب الخصائص هذا لمؤلِّفه محمَّد بن أحمد النطنزيّ، من علماء القرن الخامس (ت ٥٥٠ هـ) تقريبًا، والنَّطَنْزي نسبةً إلى بلدة نَطَنْز، ذكرها السمعانيّ في الأنساب،=

ومن فكره التوحيديّ، ونظره المنهجيّ أنَّه يستخلص فضائل أمير المؤمنين من كتب العلماء الذين يتَّبعون مذاهب أُخر، سوى مذهب الإماميَّة، فهو لا يفرِّق بين مؤلِّف وآخر بسبب المذهب، وممَّا نقله من كتب تفسير النصِّ القرآنيّ: «وقال الثعلبيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ سورة التوبة، من الآية: ١٠٠، اتَّفقت العلماء على أنَّ أوَّل من آمن بعد خديجة من الذكور برسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1]. والعلَّامة الحِلِّيّ قد ينصُّ على أنَّه يذكر ما ورد من طريق الجمهور، ولم يتعرَّض إلى ما نقله الإماميَّة، ومن ذلك ما نقله عن ابن المغازليّ الشافعيّ في مناقبه، في قوله تعالى في سورة النساء، من الآية: ٢٩ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، قال: «بإسناده عن ابن عبَّاس، قال: لا تقتلوا أهل بيت نبيِّكم، وقوله تعالى في سورة الفتح، من الآية: ٢٩ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (...) سأل قومٌ النبيّ صلى الله عليه وآله: فيمن نزلت هذه الآية يا نبيَّ الله؟ قال: **إذا كان يوم القيامة، عُقد لواء من نور أبيض، وإذا منادٍ: ليقُم سيِّد المؤمنين، ومعه الذين آمنوا بعد**

=وقال: النَّطنزيّ بفتح النون والطاء المهملة وسكون الأخرى وفي آخرها الزاي، هذه النسبة إلى نطنز، وهي بليدة بنواحي أصبهان، ظنِّي أنَّه بينهما قريب من عشرين فرسخًا. راجع: الأنساب، للسمعانيّ: ٥/ ٥٠٥ وما بعدها. ومن خلال تتبُّعي وجدت له كتابَين في فضائل الإمام، هما: الخصائص العلويَّة على سائر البريَّة، وكتاب المآثر العَلِيَّة لسيِّد الذُّرِّيَّة، والأوَّل هو الذي نقل منه العلَّامة الحِلِّيّ ومن سبقه ولحقه من العلماء، ونشر بتحقيق عليّ آل كوثر، ولم يعتمد على مخطوطة لأصل الكتاب، وإنَّما جمعه من المصادر، ورتَّب مادته باجتهاد منه، وطُبع بعناية مكتبة الروضة الحيدريَّة، ونشر مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة في قم، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

(١) كشف اليقين: ٤٦. وينظر: تفسير الثعلبيّ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م: ٥/ ٨٣ وما بعدها. ويُذكر أنَّ هذا الكتاب كان مخطوطًا عندما طُبع كتاب كشف اليقين محقَّقًا عام ١٤١٣هـ.

بعث محمَّدعليه السلام، فيقوم عليّ بن أبي طالب، فيُعطى اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتَّى يجلس على منبر من نور ربِّ العزَّة، ويُعرَض الجميع عليه رجلًا رجلًا، فيُعطى أجره ونوره. فإذا أتى على آخرهم، قيل لهم: قد عرفتم صفتكم، ومنازلكم في الجنَّة، إنَّ ربكم يقول: إنَّ لكم عندي مغفرةً وأجرًا عظيمًا، يعني الجنَّة، فيقوم عليّ والقوم تحت لوائه معهم حتَّى يدخل بهم الجنَّة»[1].

ويكمل العلَّامة الحِلِّيّ نقله من كتاب المناقب لابن المغازلي، فيقول: «ثمَّ يرجع إلى منبره فلا يزال يُعرَض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنَّة، ويُنزل أقوامًا على النَّار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، يعني بالولاية بحقِّ عليّ، وحقُّ عليّ الواجب على العالمين.

هذا خلاصة ما ورد من طريق الجمهور، ولم أتعرَّض لذِكر ما نقله الإماميَّة هنا»[2].

فالعلَّامة الحِلِّيّ ينطلق من الإيمان بأفضليَّة الإمام عليّ صلوات الله عليه، وأحقيَّة بالإمامة والخلافة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهو الإمام الفاضل، وغيره المفضول؛ لذلك كثر البحث في الفكر الإسلاميّ في ما سمِّي بتصحيح خلافة من استُخلف بعد الرسولصلى الله عليه وآله، وقال بعض المسلمين بجواز خلافة المفضول مع وجود الفاضل.

أمثلة على احتجاج العلَّامة بالنصِّ القرآنيّ ومحيطه

احتجَّ العلَّامة الحِلِّيّ بالنصِّ القرآنيّ المرسوم في المصحف العثمانيّ، وهو يقول بتواتر

(١) كشف اليقين: ٤٠٩-٤١١، وراجع: مناقب ابن المغازليّ: ٣١٩، الحديث ٣٦٢، و٣٢٢، الحديث ٣٦٩، وكتاب ابن المغازليّ: مناقب عليّ بن أبي طالبعليه السلام، لابن المغازليّ الشافعيّ، نشر المكتبة الإسلاميَّة، طهران: ١٣٩٤هـ.

(٢) المصدر نفسه: ٤١١.

ذلك النصِّ، وتواتر قراءاته السبعة، كما ذكرنا سابقًا، وجواز الصلاة بها كونها كانت معروفة على زمن أئمَّة أهل البيت صلوات الله عليهم، لكنَّنا نعرض هنا لما احتجَّ به ممَّا يقع ضمن المحيط القرآنيّ، وهو القراءات الواردة في مصاحف الصحابة، ومنها مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان قد سمَّاها بما أطلقه عليها علماء الجمهور، وهو الشذوذ، فلم يجوِّز القراءة في الصلاة بمصحف عبد الله بن مسعود لهذا السبب. وقبل ذلك نذكر احتجاجه بآية المودَّة، في بحث عقده تحت عنوان: وجوب محبَّته ومودَّته يقول: «قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ سورة الشورى، من الآية: ٢٣، وأمير المؤمنين عليه السلام سيِّد ذوي القربى»[1]، ثمَّ يعزِّز احتجاجه بما ورد من الأحاديث في ذلك، فاسمعه يقول: «وروى أحمد في مسنده أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين، وقال: **من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمُّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**، ومن المسند عن زر بن حبيش، قال: قال عليّ عليه السلام: **والله إنَّه لممَّا عهد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه لا يبغضني إلَّا منافق، ولا يحبُّني إلَّا مؤمن**»[2].

وتراه يستكثر من الأمثلة الواردة من طريق الجمهور على ما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن، فيعقد البحث الحادي والعشرين بعنوان: فيما ورد من طريق الجمهور أنَّه نزل في عليّ من القرآن[3]. وأذكر بعض ما احتجَّ به ممَّا يقع ضمن المحيط القرآنيّ، وهو المرسوم في مصاحف الصحابة، ففي قوله تعالى في سورة الأحزاب، من الآية: ٢٥ ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾، يقول العلَّامة الحِلِّيّ: «كان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ

(١) كشف اليقين: ٢٢٥.

(٢) كشف اليقين: ٢٥٥-٢٥٧، وانظر بقيَّة الأحاديث في وجوب محبَّته ومودَّته من: ٢٥٨-٢٦٨، والأحاديث في أنَّ الحقَّ والقرآن ملازِمان له من: ٢٦٨-٢٧٣، وسوى ذلك من الأحاديث التي حرص على أخذها من طريق الجمهور.

(٣) ظ. كشف اليقين: ٣٥٨-٤١١.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بعليّ بن أبي طالب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾»[1]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ سورة المائدة، من الآية: ٦٧، بعد أن يذكر العلَّامة أنَّها نزلت في بيان الولاية، يقول: «عن ذر عن عبد الله قال: كنَّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أنَّ عليًّا مولى المؤمنين ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾»[2].

إحصاء ما احتجَّ به العلامة من النصِّ القرآنيّ

ونقدِّمُ هنا إحصاءً لما استشهد به من النصِّ القرآني على سبيل الاحتجاج مبنيًّا على وفق المنهج التسلسليّ، بدءًا من سورة البقرة حتَّى آخر ما استشهد به العلَّامة الحِلِّيّ في كتابه: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ففي سورة البقرة: استشهد بـ(٦) ستَّة نصوص، كرَّر ذِكرها في (٩) تسعة مواضع، فيصبح مجموع المواضع التي استشهد بها من سورة البقرة (١٥) خمسة عشر موضعًا. وفي سورة آل عمران: استشهد بـ(٧) سبعة نصوص، كرَّر الاستشهاد بها في (٧) سبعة مواضع، فيكون مجموع مواضع الاستشهاد من سورة آل عمران (١٤) أربعة عشر موضعًا. ومن سورة النساء: استشهد بـ(٦) ستَّة نصوص، كرَّر الاستشهاد بها في (٦) ستة مواضع من الكتاب، فيكون مجموع مواضع الاستشهاد من سورة النساء (١٢) اثنا عشر موضعًا. ومن سورة المائدة: استشهد

(١) كشف اليقين: ٣٧٧-٣٧٨. رواه ابن مردويه على ما رواه الإربلِّيّ في كشف الغمَّة: ١/ ٣١٧، وفيه: ابن مسعود كان يقرأ هذا الحرف. وذكر الآلوسيّ في تفسيره: «وهذه الكفاية كانت كما أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة بالريح والملائكة عليهم السلام، وقيل: بقتل عليّ كرم الله تعالى وجهه عمرو بن عبد ود. وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنَّه كان يقرأ هذا الحرف (وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ بن أبي طالب)، وفي مجمع البيان هو المرويّ عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه»: ١١/ ١٧١.

(٢) كشف اليقين: ٣٨٠، وراجع: الدرُّ المنثور: ٢/ ٢٩٨ وسواه.

العلَّامـة في كتابـه بـ(٥) خمسـة نصوص، وكرَّر الاستشـهاد بها في (٩) تسـعة مواضع، فيكون مجموع ما استشـهد به من سـورة المائدة (١٤) أربعة عشر موضعًا. ومن سـورة الأنعـام بـ(٣) ثلاثة نصـوص كرَّرها في (٣) ثلاثة مواضع، فيكون مجموع ما استشـهد به من سـورة الأنعام (٦) سـتَّة مواضع. ومن سـورة الأعراف: استشـهد بـ(٤) أربعة نصوص، وكرَّر الاستشـهاد بها في (٤) أربعة مواضع فيكون مجموع ما استشـهد به (٨) ثمانيـة مواضع. ومن سـورة الأنفال: استشـهد بـ(٢) نصَّين وكررهـا في (٢) موضعَين فيكون مجموع مواضع الاستشهاد (٤) أربعة مواضع. ومن سورة التوبة: استشهد بـ(٥) خمسة نصوص، وكرَّر الاستشهاد بها في (١٠) عشرة مواضع، فيكون مجموع ما استشهد به (١٥) موضعًا. ومن سـورة يونس: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد في (١) موضع واحد كذلك، فيكون المجموع (٢) موضعَين. ومن سـورة هود: استشـهد بـ(٢) نصَّين وكرَّر الاستشهاد بها في (٢) موضعَين، فيكون المجموع (٤) أربعة مواضع. ومن سـورة يوسف: استشـهد بـ(١) بنصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشـهاد في (٢) موضعَين فيصبح مجموع مواضع الاستشـهاد (٣) ثلاثة. ومن سورة الرعد: استشهد بـ(٥) خمسة نصوص، وكرَّرها في (٦) سـتَّة مواضع، فيكون المجمـوع (١١) إحدى عشر موضعًا. ومن سورة إبراهيم: استشهد بـ(١) نصّ واحد وكرَّر الاستشهاد به مرَّةً واحدةً، فيكون مجموع مواضع الاستشـهاد (٢) موضعَين. ومن سـورة الحجر: استشـهد بـ(٢) نصَّين وكرَّر الاستشـهاد بهما في (٢) موضعَين، فيصبح مجموع مواضع الاستشـهاد (٤) أربعة مواضع. ومن سـورة النحل: استشـهد بنـصٍّ واحدٍ وكـرَّره في (٢) موضعَين، فيصبح المجموع (٣) ثلاثة مواضع. ومن سـورة الإسراء: استشـهد بـ(١) نـصٍّ واحد، وكرَّر الاستشـهاد بـه في (١) موضـع واحـد، فيصبح المجمـوع (٢) موضعَين. ومن سـورة الكهف: استشهد بـ(٣) نصوص وكرَّر الاستشهاد بها في (٣) مواضع، فيصبح المجموع

(٦) ستة مواضع. ومن سورة مريم: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ فيصبح المجموع (٢) موضعَين. ومن سورة طه: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ فقط. ومن سورة الأنبياء: استشهد بـ(٢) نصَّين وكرَّر الاستشهاد بهما في (٣) ثلاثة مواضع، فيصبح مجموع ما استشهد به (٥) خمسة مواضع. ومن سورة الحجِّ: استشهد بـ(٣) ثلاثة نصوص، وكرَّر الاستشهاد بهـا في (٤) أربعة مواضع، فيصبح مجموع ما استشهد به (٧) سبعة مواضع. ومن سورة المؤمنون: استشهد بنصٍّ واحدٍ فقط. ومن سورة النور: استشهد بـ(٤) أربعة نصوص، وكرَّر الاستشهاد في (٥) خمسة مواضع، فيصبح المجموع (٩) تسعة مواضع. ومن سورة الفرقان: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ فقط. ومن سورة الشعراء: استشهد بـ(٣) ثلاثة نصوص، وكرَّر الاستشهاد في (٥) خمسة مواضع، فيكون مجموع ما استشهد به (٨) ثمانية مواضع. ومن سورة النمل: استشهد بـ(٣) ثلاثة نصوص، وكرَّر الاستشهاد بهـا في (٣) ثلاثة مواضع، فيكون مجموع ما استشهد به (٦) ستة مواضع. ومن سورة القصص: استشهد بـ(٢) نصَّين، وكرَّر الاستشهاد بهما في (٢) موضعَين، فيكون المجموع (٤) أربعة مواضع. ومن سورة العنكبوت: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ فيكون مجموع ما استشهد به (٢) موضعين. ومن سورة السجدة: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضع واحدٍ، فيصبح مجموع ما استشهد به (٢) موضعَين. ومن سورة الأحزاب: استشهد بـ(٥) خمسة نصوص، وكرَّر الاستشهاد بها في (٩) تسعة مواضع، فيكون مجموع ما استشهد به (١٤) أربعة عشر موضعًا. ومن سورة الأحقاف: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ، فيكون مجموع ما استشهد به (٢) موضعَين. ومن سورة محمَّد: استشهد بـ(٢) نصَّين وكرَّر الاستشهاد بهما في (٢) موضعَين فيكون مجموع ما استشهد به (٤) أربعة مواضع. ومن سورة الفتح:

استشهد بـ(٥) خمسة نصوص، وكرَّر الاستشهاد بها في (٦) ستة مواضع، فيكون مجموع ما استشـهد به (١١) إحدى عشر موضعًا. ومن سـورة الزُّمَر: استشـهد بـ(٢) نصَّين، وكرَّر الاستشـهاد بهـما في (٤) أربعة مواضع، فيصبح مجموع ما استشـهد به (٦) سـتة مواضع. ومن سورة غافر: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضع واحد، فيكون مجموع ما استشـهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة الشـورى: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (٣) ثلاثة مواضع، فيكون مجموع ما استشهد بـه (٤) أربعـة مواضع. ومن سـورة الزُّخْرُف: استشـهد بـ(٤) أربعـة نصوص، وكرَّر الاستشـهاد بها في (٤) مواضع، فيكون مجموع ما استشـهد به (٨) ثمانية مواضع. ومن سـورة فاطر: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (٢) موضعَين، فيصبح مجموع ما استشـهد به (٣) ثلاثة مواضع. ومن سـورة يس: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ وكرَّر الاستشـهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ فيكون مجموع ما استشـهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة الصافَّات: استشـهد بـ(٢) نصَّين، وكرَّر الاستشهاد بهما في (٢) موضعَين، فيصبح مجموع ما استشهد به (٤) أربعة مواضع. ومن سورة الحجرات: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشـهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ فيصبح مجوع ما استشهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة النجم: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (٣) ثلاثـة مواضع، فيصبح مجموع ما استشـهد بـه (٤) أربعة مواضع. ومن سـورة القمر: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشـهاد به في (١) موضعٍ واحدٍ، فيصبح مجموع ما استشـهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة الرحمن: استشهد بـ(٣) ثلاثة نصوص وكرَّر الاستشهاد في (٤) أربعة مواضع، فيصبح مجموع ما استشهد به (٧) سبعة مواضع. ومن سـورة الواقعة: استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ. وكرَّر الاستشهاد به في (٣) ثلاثة مواضع، فيصبح مجموع ما استشـهد به (٤) أربعة مواضع. ومن سـورة المجادلة: استشهد بـ(١)

نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشـهاد به في (٢) موضعَين، فيصبح مجموع ما استشـهد به (٣) ثلاثة مواضع. ومن سورة التحريم: استشهد بـ(٢) نصَّين، وكرَّر الاستشهاد بهما في (٢) موضعَين، فيصبح مجموع ما استشهد به (٤) أربعة مواضع. ومن سورة الحاقَّة: استشهد بـ(٢) نصَّين، وكرَّر الاستشهاد بهما في (٤) أربعة مواضع، فكان مجموع الاستشهاد (٦) ستَّة مواضع. ومن سورة الإنسان: استشهد بـ(٢) بنصَّين، وكرَّر الاستشهاد بهما في (٢) موضعَين، فكان مجموع ما استشـهد به (٤) أربعة مواضع. ومن سـورة عبس: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشـهاد به في (١) موضع واحد، فكان مجموع ما استشـهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة الانشقاق:استشـهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضع واحد، فكان مجموع ما استشـهد به (٢) موضعَين. ومن سـورة البيِّنَة: استشهد بنصٍّ واحدٍ، وكرَّر الاستشهاد به في (١) موضع واحد، فكان مجموع ما استشهد به (٢) موضعَين. ومن سورة العاديات: استشهد بنصٍّ واحدٍ فقط. ومن سورة العصر: استشهد بـ(٣) ثلاثة نصوص فقط. ومن سورة النصر: استشهد بـ(١) نصٍّ واحدٍ فقط. وبذلك يتَّضح أنَّه كان يُكثر من الاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ في كتابه هذا.

الخاتمة

وبعد هذه الإطلالة على احتجاج العلَّامة الحِلِّيّ بالنصِّ القرآنيّ من خلال قراءة كتابه: كشف اليقين عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ظهر للبحث:

١. إنَّ القول بالمحيط القرآنيّ الذي يشمل مصاحف الصحابة، وفي مقدِّمتها: مصحف عليّ، ومصحف عبد الله بن مسعود، وبقيَّة مصاحفهم التي نفذت من الحرق والطَّمس، فضلًا عن مصحف الخليفة عثمان بن عفَّان، وما نجم عنها من قراءات، يُسقط ادِّعاء تحريف القرآن من حيثُ أتى من جهة المسلمين، أم غيرهم، ويوقِف الإساءة للصحابة الذين كانوا يتعبَّدون بمصاحفهم.

٢. إنَّ المحيط القرآنيّ كان واسعًا على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وبعده، قبل أن يُلزم الخليفة عثمان الناس بمصحفه فقط، ثمَّ آل الأمر إلى قطع أعناق من يقرأ بمصحف عبد الله بن مسعود بأمر من الحجَّاج، ثمَّ إحالة العلماء الذين يقرؤون به على مجالس التأديب والتعزير، مثلما حصل لابن شنبوذ من تلميذه ابن مجاهد وبأمر من الوزير العبَّاسيّ ابن مقلة.

٣. وقف البحث على الأساس الفكريّ والمنهجيّ الذي انطلق منه العلَّامة الحِلِّيّ في احتجاجه بالنصِّ القرآنيّ، إذ جمع العلَّامة النصوص القرآنيَّة التي تكشف عن فضل أمير المؤمنين، وكونه سيِّد البشر بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وهو خليفته من بعده، وعضد هذه النصوص بما يفسِّرها من التنزيل ويؤكِّدها ويوضِّحها

ويخصِّصها من التأويل، ولم يعتمد في ذلك على طرق الإماميَّة فقط، بل كان يبدأ بطرق الآخرين من المسلمين.

٤. وقف البحث على بعض الأمثلة التي تؤكِّد منهجه في التعامل مع النصِّ القرآنيّ والاستشهاد به؛ لتوثيق ما سعى إلى الكشف عنه في كتابه هذا.

٥. قدَّم البحث إحصاءً لما احتجَّ به من النصِّ القرآنيّ، فوجد أنَّه شمل (٥٦) ست وخمسين سورة من سور القرآن، فالبحث مثَّل إضاءةً لجهد عالم كبير من علماء المسلمين، هو العلَّامة الحِلِّيّ، في الدراسات القرآنيَّة، وهي بداية ستكون لها تتمَّة إن شاء الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

١. أسباب النزول، للواحديّ، عليّ بن أحمد النيسابوريّ الشافعيّ (ت ٤٦٨هـ)، ط. الحلبيّ، ١٩٥٩م.

٢. اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكشِّيّ، محمَّد بن عمر (ت ٣٥٠هـ)، الشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين في قم المقدَّسة.

٣. الاستبصار في ما اختلف من الأخبار، للشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، طبع دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٣هـ.

٤. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، الحسين بن أحمد ابن خالويه، أبو عبد الله (ت ٣٧٠هـ)، طبع دار الكتب المصريَّة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

٥. الانتصار للقرآن، للباقلَّانيّ، محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلَّانيّ المالكيّ (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمَّد عصام القضاة، دار الفتح، عمَّان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦. الأنساب، للسمعانيّ، عبد الكريم بن محمَّد بن منصور التميميّ السمعانيّ المروزيّ، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمان بن يحيى المعلميّ اليمانيّ وجماعته، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٧. البيان في تفسير القرآن، للخوئيّ، أبي القاسم، المرجع الأعلى (ت ١٩٩٢م)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٨. تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير أبو جعفر الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، وصلة تاريخ الطبريّ لعريب بن سعد القرطبيّ (ت ٣٦٩هـ)، دار التراث بيروت. الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ.

٩. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم أبو محمَّد الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٠. تفسير ابن أبي حاتم، المسمَّى: تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التميميّ الحنظليّ الرازيّ، أبو محمَّد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمَّد الطيِّب. مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١١. تفسير البغويّ، المسمَّى: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغويّ الشافعيّ أبو محمَّد (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٢. تفسير السمعانيّ، المسمَّى: تفسير القرآن، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزيّ السمعانيّ التميميّ الحنفيّ ثمَّ الشافعيّ أبو المظفَّر (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبَّاس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣. تفسير الطبريّ، المسمَّى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلاميَّة بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤. تفسير العز ابن عبد السلام، المسمَّى: تفسير القرآن، وهو اختصار لتفسير الماورديّ، ألَّفه عز الدين عبد العزيز بن عبد السَّلام أبي القاسم بن الحسن السلميّ الدمشقيّ، أبو محمَّد (ت ٦٦٠هـ)، حقَّقه الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبيّ، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٥. تفسير مجاهد، أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر التابعيّ المكِّيّ القرشيّ المخزوميّ (ت ١٠٤هـ)، حقَّقه: الدكتور محمَّد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلاميّ الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٦. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأسديّ (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧. تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسيّ، شيخ الطائفة (ت ٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٩٠هـ.

١٨. حياة الحيوان الكبرى، للدميريّ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدميريّ، كمال الدين الشافعيّ، أبو البقاء (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٩. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ النسائيّ (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، طبعة طهران، ١٤٠٣هـ.

٢٠. الخصائص العلويَّة على سائر البريَّة، للنطنزيّ، محمَّد بن أحمد (ت ٥٥٠هـ)، جمع وتحقيق: عليّ آل كوثر، طبع بعناية مكتبة الروضة الحيدريَّة، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة في قم، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٢١. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للعلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨١هـ.

٢٢. الرجال، للنجاشيّ،(أحمد بن عليّ الأسديّ الكوفيّ (ت ٤٠٥هـ)، شركة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٣. رجال الطوسيّ، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق جواد القيُّومي الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.

٢٤. السبعة في القراءات، لابن مجاهد أحمد بن موسى بن العبَّاس التميميّ، أبو بكر البغداديّ (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ.

٢٥. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ، وماجه اسم أبيه يزيد (ت ٣٧٣هـ) تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٦. سننَّ أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو الأزديّ السجستانيّ (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة. صيدا، بيروت.

٢٧. سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك الترمذيّ، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمَّد شاكر وجماعته، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٨. سنن النسائيّ، للنسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ الخراسانيّ (ت ٣٠٣هـ)، دار الفكر بيروت لبنان.

٢٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق ابن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق اللاجورديّ، جيهان، طهران.

٣١. فضائل القرآن، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ ثمَّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ.

٣٢. فضائل القرآن، القاسم بن سلام، أبو عبيد عبد الله الهرويّ (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطيَّة وجماعته، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٣. فضائل القرآن، للنسائيّ (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، دار الثقافة، بيروت/ الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٤. فضائل القرآن وما أُنزل من القرآن بمكَّة، وما أُنزل بالمدينة، لابن الضرّيس محمَّد بن أيوب البجليّ الرازيّ (ت ٢٩٤هـ) تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٥. الفهرست، للشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيُّومي الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة.

٣٦. فهم القرآن ومعانيه، للحارث بن أسد المحاسبيّ (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق: حسين القوتليّ، دار الكنديّ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣٧. الكافي، للكلينيّ، ثقة الإسلام أبي جعفر محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ)، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٨. الكتاب، لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الطيِّب بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٠. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، للعلَّامة الحِلِّيّ، جمال الدين الحسن ابن يوسف (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: عليّ آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، الطبعة الأوّلى، ١٤١٣ هـ.

٤١. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، للمتَّقي الهنديّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٢. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، ضبطه وصحَّحه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٤٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جنِّيّ، أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلِّيّ (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م.

٤٤. المحكم في نقط المصاحف، للدانيّ، عثمان بن سعيد أبو عمرو الدانيّ (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عزَّة حسن، دار الفكر دمشق. الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٤٥. مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٦. المصاحف، لابن أبي داوود، أبي بكر بن أبي داوود عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزديّ السجستانيّ (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: محمَّد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٧. معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنِّفين منهم، قديمًا وحديثًا، لابن شهر آشوب، الحافظ محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، نشر المطبعة الحيدريَّة، ١٣٨٠هـ.

٤٨. معاني القرآن، للفرَّاء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتيّ، محمَّد عليّ النجَّار، الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

٤٩. معجم الرسم العثمانيّ، الدكتور بشير بن حسن الحميريّ، طبع مركز تفسير للدراسات القرآنيَّة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٠. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للداني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمَّد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهريَّة.

٥١. مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لابن المغازليّ الشافعيّ، المكتبة الإسلاميَّة في طهران، ١٣٩٤هـ.

٥٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقانيّ، محمَّد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة البابي الحلبيّ وشركاه، الطبعة الثالثة.

٥٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٤. منتهى المطلب في تحقيق المذهب، للعلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق: مجمع البحوث الإسلاميَّة، قسم الفقه، إيران، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٥. من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ)، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ.

٥٦. النقـط، للـداني، عثمان بن سـعيد (ت ٤٤٤هـ)، مطبوع مع كتـاب المقنع في رسـم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمَّد الصادق قمحـاوي، مكتبة الكليات الأزهريَّة، القاهرة.

٥٧. الهدايـة إلى بلـوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسـيره، وأحكامه، وجمل من فنـون علومه، لمكِّـي القيسيّ، مكِّي بن أبي طالب حمُّـوش القيسيّ القيروانيّ ثمَّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكيّ (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعيَّة بكليَّة الدراسـات العليا والبحث العلميّ، جامعة الشـارقة، إشراف: أ.د. الشـاهد البـو شـيخيّ، مجموعة بحـوث الكتاب والسـنَّة، كليَّة الشريعة والدراسـات الإسلاميَّة، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، أبو العبَّاس محمَّد بن إبراهيم ابـن أبي بكر، ابن خلكـان البرمكيّ الإربلِّيّ (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسـان عبَّاس، دار صادر، بيروت.

المنهجُ التَّفسيريُّ للعلَّامة الحِلِّيّ
في إيضاح مُخالفة السُّنَّةِ لنصِّ الكتابِ والسنَّةِ

الدكتورة بي بي سادات رضي بهابادي

جامعة الزهراء عليها السلام/عضو الهيأة العلميَّة لعلوم القرآن والحديث

ترجمة: أيُّوب ناصر نعمة

مراجعة وتدقيق: أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ

The Interpretive Method of of Allama Al-Hilli in (Aidah Mukhalft Al-Sunnah lens Al-Kitab wa Al-Sunnah)

Dr. B.B. Sadat Radhi Bhabadi

Al-Zahra (PBUH) University/Member of the Scientific Committee for the Sciences of the Qur'an and Hadith

Translated By: Ayoub Nasir Nima

Reviewed By: Ali Abbas Al-Araji

الملخَّص

عدَّ كثيرٌ مِن العلماء كتـاب (الإيضاح) مِن كتبِ الردِّ والجدالِ والاحتجاجِ، ولكن يبـدو لي أنَّ الأرجـح عدُّه من كتب التفسـير؛ وذلـك لأنَّه تضمَّن الآيـات بنحو المنهج التَّرتيبيّ لتفسـير القرآن؛ إذ وضَّح بعد ذكر كلِّ آيةٍ، مخالفة السـنَّة لها؛ لذا أشـار العلَّامة في تفسـيره إلى المعاني اللغويَّة، واختلاف القراءات، وشـأن النُّزول، والتَّفاسير المختلفة للآية.

ونلاحظُ من عنوان الكتاب (إيضاح مُخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة)، أنَّهُ تفسيرٌ كلامـيّ، وعرض فيه العلَّامةُ المباني الكلاميَّة لأهل السـنَّة على القرآن، وبيَّنَ مخالفتها له من وجوهٍ متعدِّدةٍ، وبحث ذلك آيةً، آيةً.

وحاولنا عبر السُّـؤال الآتي: كيـف كان التَّفكير الكلاميّ المُتداول لأهل السـنَّة في زمان المؤلِّف؛ أي في النِّصف الثَّاني من القرن السَّابع، وأوائل القرن الثَّامن؟.

لنُظهـر ردَّ العلَّامة على أيِّ فئةٍ من مذاهب أهل السُّـنَّة كـان، والإجابة موجودة في ثنايا البحث عبر تتبُّعها بمسارٍ تاريخيّ.

Abstract

Many scholars considered the Book of(Al-Aidah) to be one of response, debate and protest books, but it seems to me that it is more likely to be considered in books of interpretation. This is because it included the verses in the manner of the hierarchical approach to interpreting the Qur'an. As it became clear after mentioning each obscure verse, and the Sunnah contradicting it; So Allama referred in his interpretation to the linguistic meanings, the different readings, the revelation matter, and the different interpretations of the verse.

We note from the title of the book (Aidah Mukhalft Al-Sunnah lns Al-Kitab wa Al-Sunnah), and this grammar of exegesis is considered a verbal interpretation, and in it Allama presented the verbal structures of the Sunnis on the Qur'an and contradicts it in many ways, and this was discussed in a verse by verse.

And we tried through the following question: How was the verbal reasoning used by the Sunnis at the time of the author? That is, in the second half of the seventh century, and

the beginning of the eighth century, to show Allama's response to any class of the Sunni schools of thought, and the answer is present in the folds of the research by following it with a historical path.

نُبذةٌ عن المؤلِّف

وُلد الحسنُ بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ سنة (٦٤٨هـ) في الحِلَّة، في أجواء يسودُها العلمُ، والتَّقوى.

ودرس عند والده المرحوم يوسف (ت٦٨٠هـ)، والمحقِّق الحِلِّيّ (ت٦٧٦هـ)، والمحقِّق نصير الدِّين الطُّوسيّ (ت٦٧٣هـ)، وابن ميثم البحرانيّ (ت٦٧٩هـ)[١].

وفاق العلَّامة أقرانه بالعلم، والعمل، وحصل على رُتبة الاجتهاد قبل سنِّ التَّكليف[٢].

وتصدَّى بعد وفاة المُحقِّق الحِلِّيّ سنة (٧٦٧هـ) للمرجعيَّة[٣]، والزَّعامة الدِّينيَّة وعمرُه ست وعشرون سنة، وهو دليلٌ على علوِّ مكانته العلميَّة[٤].

وتركَ العلَّامة آثارًا في مختلف العلوم والفنون، وأحصاها بعضٌ؛ فأوصلها إلى خمسمائة، أو ألف[٥]، ولكن ما وصل إلينا من مطبوعٍ، ومخطوطٍ مئة

(١) لاحظ تفصيل ذلك: رياض العلماء وحياض الفضلاء: ١/ ٣٧٥-٣٦٦، روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات: ٢/ ٧٣، تنقيح المقال في علم الرجال: ١/ ٣١٥ (طبعة حجريَّة).

(٢) راجع: الفوائد الرضويَّة: ١٢٦.

(٣) وصف ابن داوود في كتابه الرجال العلاَّمة بالمرجعيَّة المطلقة، وتصدَّى للمرجعيَّة- بعد وفاة المحقِّق- علماء من مثل ابن عمِّ المحقِّق الشيخ نجيب الدين بن سعيد، والسيِّد غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس، وابن نما، وغيرهم.

(٤) انظر: أمل الآمل: ٢/ ٤٨.

(٥) لاحظ: مجمع البحرين: ٢/ ١٢٦.

وخمسون كتابًا[١].

واعتقد بعضٌ أنَّ العلَّامة أوَّل من قسَّم الحديث على صحيحٍ، وحسَنٍ، وموثوقٍ، وضعيفٍ[٢].

وكانتْ للعلَّامة مناظراتٌ كثيرةٌ، ومِنها ما كان ثمرته تشيُّع السُّلطان، الأمر الذي أتاح لجمعٍ غفير التَّشيُّعَ، كما هو مفصَّلٌ في محلِّه؛ فراجعْ[٣].

وذكر كثيرٌ من العلماء العلَّامة بالثَّناء، والإطراء، والنُّبوغ العلميّ، وحسبُنا هنا ما قاله التَّفريشيّ في العلَّامة: «ويخطر ببالي أن لا أصفه؛ إذ لا يسعُ كتابي هذا ذكرَ علومه، وتصانيفه، وفضائله، ومحامده، وأنَّ كلَّ ما يوصف به النَّاس من جميلِ الفضل؛ فهو فوقه، له أزيد من سبعين كتابًا في الأصول، والفروع، والطَّبيعيّ، والإلهيّ، وغيرها»[٤].

سافر العلَّامة إلى إيران مرَّات عِدة قبل سنة (٧١٠هـ) بدليل تأليفه كتاب (كشف اليقين) في تلك السنة، واشتهرت بعد هذا التاريخ المدرسة السيَّارة التي اختصَّت بالعلَّامة في رحلاته، و بقي حتَّى وفاة السلطان محمَّد خدابنده في سنة (٧١٦هـ)، ورجع إلى الحِلَّة كمحطَّة ترحالٍ أخيرةٍ سنة (٧٢٦هـ)، وكانتْ وفاته رحمه الله في الحِلَّة سنة (٧٢٦هـ).

(١) انظر: مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، للسيِّد عبد العزيز الطباطبائيّ.

(٢) هذا ما قاله الشيخ البهائيّ في كتابه (مشرق الشمسين) من أنَّ هذا التقسيم من ابتكارات العلَّامة، بينما صاحب المعالم في كتابه منتفى الجمان نسب هذا التقسيم للسيِّد ابن طاووس جمال الدين أحمد، وقد ضمَّن العلَّامة فوائد أستاذه في كتابه الخلاصة. لاحظ تفصيل ذلك: علم الحديث ودراية الحديث: ٣٨.

(٣) انظر: مجالس المؤمنين: ٢/ ٣٥٧، وتاريخ مغول (فارسيّ): ٣١٣-٣١٨.

(٤) أمل الآمل: ٢/ ٦٩.

نِسبةُ الكتابِ للعلَّامة

ألَّف العلَّامةُ كُتبًا كثيرةً في فنونٍ مختلفةٍ، وذكر بعضها في كتابه (خُلاصة الأقوال)[1]، وبعضها في إجازته للسيِّد مُهنَّا بن سنان[2].

إلَّا أنَّ العلَّامة لـمْ يُشرْ لكتاب (الإيضاح) في هذينِ الكِتابَينِ، ولكن ذكره في كتابه (نهج الحقِّ وكشف الصِّدق) في مبحث (الجبريَّة يخالفون نُصوص القرآن)، قال:

«... والآيـات المُتضافرة فيه، الدَّالَّة على استناد الأفعال إلينـا، وقد بيَّنتُ في كتاب الإيضاح، مخالفةَ أهل السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة...»[3].

وذكر الشَّـيخُ الحـرُّ العامليّ في هذا السِّـياق: «وكتـاب إيضاح مخالفة السـنَّة لنصِّ الكتاب والسـنَّة رأينا له نُسـخًا منه قديمةً في الخزينة الموقوفة الرَّضويَّة سلك فيه مسلكًا عجيبًا... يذكر فيه مخالفتهم لكلِّ آيةٍ من وجوه كثيرة؛ بل لأكثر الكلمات»[4].

موضوع الكتاب

عدَّ العلماء هذا الكتاب في دائرة التَّفاسير، وكتب الاحتجاج، قال صاحب الذَّريعة في هـذا المضـمار: «يُعـدُّ من كتب التَّفاسـير كما مرَّ بعنـوان الإيضاح في التفسـير؛ لما فيه من تفسـير الآيات، وبيان مداليلهـا، ويُعدُّ من كتب الرُّدود الدِّينيَّة؛ لاشـتماله على بيان مخالفاتٍ لنصِّ الكتاب والسنَّة...»[5].

(١) راجع: خلاصة الأقوال: ٤٨.
(٢) لاحظ: ٤١٩٨، بحار الأنوار: ١٠٧/ ١٤٧-١٤٩.
(٣) نهج الحقِّ وكشف الصدق: ١٠٥.
(٤) أمل الآمل: ٢/ ٨٥.
(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/ ٤٩٩.

وقال السيَّد مُحسن الأمينيّ: «إيضاح مخالفة السنَّة يمكن عدُّه من كتب الاحتجاج، والجدل؛ لاشتماله على بيان مخالفات لنصِّ الكتاب والسنَّة، ويمكن عدُّه من كتب التَّفسير؛ لما فيه من تفسير الآيات، وبيان مداليلها»[1].

لعلَّ منَ المُناسب عدُّ (الإيضاح) في كتب الاحتجاج، والردِّ، ولكن يبدو لي أنَّ الأرجح عدُّه من كتب التفسير؛ وذلك لأنَّه تضمَّن الآيات بنحو المنهج التَّرتيبيّ لتفسير القرآن؛ إذ وضَّح بعد ذِكر كلِّ آيةٍ مخالفة السنَّة لها.

ما وصل إلينا من الكتاب

لم يصل إلينا الجزء الأوَّل من هذا الكتاب المُستطاب، ومن المؤسفِ حقًّا ضياع ما كتبه من مقدِّماتٍ قيِّمةٍ فيه.

وأمَّا الجزء الثَّاني فقد وصل إلينا، وأشار المصنِّف في نهايته إلى تأريخ تمامه في العشرين من شوَّال سنة (٧٢٣هـ) في النَّجف الأشرف[2].

وعليه كان من المقرَّر وجود جزءٍ ثالثٍ لهذا التَّفسير، ولكن لم يصل إلينا، وربَّما لم تتحْ له الفرصة لكتابته؛ ولذا احتمل الدُّكتور حجَّتي أنَّ الكتاب كتبه قبل وفاته بوقتٍ قريب؛ فمن الممكن القول: إنَّه وصل فيه إلى آخر سورة آل عمران، ووافاه الأجل[3].

(١) أعيان الشيعة: ٥/ ٤٠٤.

(٢) قال: تمَّ الجزء الثاني من كتاب إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة، ويتلوه في الجزء الثالث سورة النساء على يد العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن مطهَّر مُصنِّف الكتاب تسويدًا في الحضرة الشريفة الغرويَّة صلوات الله على مشرِّفها في آخر النهار الجمعة العشرين من شوَّال من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، والحمدُ للهِ وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين آمين.

(٣) لاحظ: فهرست موضوعي نسخه هاي خطي عربي كتاب هاي جمهوري اسلامي: ٣/ ٦٩.

ويتَّضح أنَّ هذا الكتاب لم يتمَّه العلَّامة، وله تصريحٌ في كتابه خلاصة الأقوال عن بعض مؤلَّفاته الكاملة، وبعضها غير الكاملة[1].

وعلى كلِّ حالٍ المُتوافر هو الجزء الثَّاني من (الإيضاح)، ويبدأ بآية (٢١٢) من سورة البقرة ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾، وينتهي في آخر سُورة آل عمران.

ولا بأسَ بالإشارة إلى ما ذكره صاحب الذَّريعة في ترقيم الآية، قال: «والموجود في تلك النسخ من آية: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ في سورة البقرة آية (٢٠٨) إلى آخر سورة آل عمران»[2].

والصواب من آية (٢١٢)، ولذا نرى من جاء من بعده كرَّر الكلام نفسه[3].

النُّسخ المخطوطة

١. نُسخة مكتبة مجلس الشُّورى الإسلاميّ:

هذه النُّسخة من دون تنقيطٍ، وكُتبت بخطٍّ نستعليق في مئتينِ وواحدٍ وستِّين صحيفة، وكلُّ صحيفةٍ فيها اثنا عشر سطرًا، لم يُكتب في الصَّحيفة الأولى شيئًا، وكذا ثلاث صحائف في النِّهاية، وثلاث عشرة صحيفة متَّصلة بالكتابة، وبعضُها كُتب هامشٌ عليها، ثُمَّ كلُّ عشرِ صحائف جعلها كرَّاسًا؛ أي المؤلِّف جعل كلَّ عشرِ صحائف في حزمةٍ واحدةٍ[4].

(١) راجع: خلاصة الأقوال: ٤٨.
(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/ ٤٩٩.
(٣) راجع على سبيل المثال: الدكتور محمَّد باقر حجَّتي في فهرست موضوعي نسخه هاي خطي عربي: ٣/ ٧٩، ومحمَّد تقي دانش بزوه وبهاء الدين علمي فهرست كتابهاي خطي كتابخانه سنا: ١/ ١٤.
(٤) راجع: فهرست كتابخانه مجلس شوراي اسلامي تهران: ١٥/ ٣٠.

وعلَّق المُحقّق حسين بن محمَّد تقي النُّوريّ في الصحيفة الثَّانية يؤكِّد فيها أنَّ هذه بخطِّ العلَّامة: «لو وُزِنَ هذا الكتاب بالذَّهب لكان البائع المغبون، كيف لا وهو كتاب إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة، تأليف آية الله الحِلِّيّ طاب ثراه؛ إذ بيَّن فيه مُخالفة السنَّة لآيةٍ آية، وفي كلِّ آيةٍ أعطى وجهًا، أو وجوهًا فيها، وهذه النُّسخة الشَّريفة من أواسط سورة البقرة إلى أواخر سورة آل عمران، ولا شكَّ، ولا شُبهة بأنَّ هذا الخطَّ الشريف له».

٢. النُّسخة الثَّانية في مكتبة مجلس سنا:

هذه النُّسخة في القرن الثَّامن، أو التَّاسع، نُسختْ من نُسخة المؤلِّف، وهي عند محمَّد باقر بن محمَّد تقي، وعليها ختم محمَّد صالح ابن زين العابدين الحسينيّ، مع هوامش لمحمَّد جليل الحسينيّ، وتقع في مئة واثنتين وثمانين صحيفة، في كلِّ صحيفةٍ خمسة عشر سطرًا[1].

ومنها نسخة مصوَّرة برقم١٧٥١ في المكتبة المركزيَّة لجامعة طهران.

٣. في نسخة مكتبة استان قدس رضوي:

لا يُعرف كاتب هذه النُّسخة، وهي في مئة وخمس عشرة صحيفة، في كلِّ صحيفةٍ خمسة عشر سطرًا، بطريقة (قال اللهُ تعالى، أقول)، وسجَّل أرقام الإيرادات بحروف أبجد باللون الأحمر.

في هذه النُّسخة لم يُكتب تاريخ الكتابة، ولكن في فهرس (استان قدس) كُتب أنَّها كتبت في القرن الحادي عشر، إلَّا أنِّي أحتمل أنَّ هذا تاريخ الوقف لا تاريخ الكتابة.

(١) راجع: فهرست كتاب خطي كتابخانه سنا: ١/ ١٤.

٤. نسخة مكتبة إمام جُمعة زنجان:

كُتبتْ هذه النُّسخة في القرن العاشر، ولها نُسخة مصوَّرة بـ(رقم ٢٩٧٠) في المكتبة المركزيَّة لجامعة طهران.

وكان كاتب هذه النُّسخة يُبدي رأيه، وأحيانًا يحذف بعض الموارد، وأحيانًا يلفِّق بينهما؛ ولذا كانتْ هذه النُّسخة أصغر حجمًا ممَّا تقدَّم.

المنهجُ التَّفسيريُّ للعلَّامة

أشار العلَّامة في تفسيره إلى المعاني اللغويَّة، واختلاف القراءات، وشأن النُّزول، والتَّفاسير المختلفة للآية.

ونرى تطبيق ذلك بشكلٍ واسعٍ في تفسير سورة البقرة، وأمَّا سورة آل عمران، فقلَّما تعرَّض لبيان مفهوم الآية.

وكان للعلَّامة عنايةٌ خاصَّة بالجنبة الكلاميَّة في الآيات، ومعه يمكن عدُّه تفسيرًا كلاميًّا.

وهذا المنهجُ نلمسه في تفسير الشَّيخ الطُّوسيّ في التِّبيان؛ ففيه البُعد الكلاميّ واضحٌ جدًّا.

وكيف ما كان؛ فالسِّمةُ البارزة لهذا التَّفسير بيان مُخالفات السُّنَّة لنصِّ الكتاب.

أثر تفسير التِّبيان في الإيضاح

في ضوء مُطالعة كتاب (الإيضاح) تتَّضح مباني العلَّامة فيه، فهي مباني تفسير التِّبيان؛ فالعلَّامة ممَّن سار على خُطى الشَّيخ الطُّوسيّ، وثمَّة صُورٌ لهذا التأثُّر، وإليك الصُّور:

١. ينقل العلَّامة المطلب عينه من التِّبيان، مثلًا في تفسير الآية ٢١٤ من سورة البقرة: «نزلتْ هذه الآية يوم الخندق لـمَّا اشتدَّتِ المخافة، وحوصر المُسلمون

في المدينة، واستدعاهم الله تعالى إلى الصَّبر، ووعدهم بالنَّصر»[1].

٢. أحيانًا مع تغيُّرٍ بسيطٍ في التَّعبير؛ فحسب مثلًا: جاء في تفسير الآية ٢٨١ من سورة البقرة: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾، قيل: «فيه وجهان: أحدهما: تُوَفَّى جزاء ما كسبت من الأعمال، الثَّاني: تُوفَّى بما كسبتْ من الثَّواب، أوِ العقاب؛ لأنَّ الكسب على وجهَين: كسب العبد لفعله، وكسبه لما ليس من فعله؛ ككسبه المالَ»[2].

وما جاء في الإيضاح: «(ما كسبتْ) قيل: تُوفَّى جزاءَ ما كسبت من الأعمال، وقيل تُوفَّى ما كسبتْ من الثَّواب والعقاب؛ فإنَّ الكسبَ يقعُ على وجهَين: كسبُ العبد لفعله، وكسبه ما ليس من فعله، مثل كسبه المالَ»[3].

٣. أحيانًا يذكر الأقوال من التِّبيان مع حذف القائِلين بها، مثلًا في تفسير التِّبيان جاء في تفسير الآية ٣٩ من سورة آل عمران: «(بكلمة) يعني المسيح عليه السلام في قول ابن عبَّاس، ومجاهد، وقتادة، والرَّبيع، والضحَّاك، والسدِّيّ، وجميع أهل التأويل، إلَّا ما حُكيَ عن أبي عبيدة أنَّه قال: (بكلمة)؛ أي: بكتاب الله»[4].

قال العلَّامة: «وقيل: أي بكتاب الله»[5].

٤. أحيانًا يذكر خلاصة أقوال التِّبيان، مثلًا في ما جاء في تفسير الآية ٤٨ من سورة آل عمران: «ومعنى قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، قال ابن جُريج: الكتابة

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٢٦٨.
(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٣٧٠
(٣) الإيضاح: ١٦٢.
(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٥٢.
(٥) إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة: ٢١٤.

بيـده، وقال أبو عـليّ: كتاب آخر غـير التَّـوراة، والإنجيل، نحـو الزَّبور، أو غيره».

وما جاء في الإيضاح: «أي: الكتابة باليد... أو الزَّبور».

والجديرُ ذكرُه مع أنَّ العلَّامة في هذا التَّفسـير ناظرٌ إلى تفسـير التِّبيان، إلَّا أنَّه لم يذكر الشَّـيخَ الطُّوسيَّ إلَّا في بعض الموارد، وهي في تفسـير الآيات من سـورة البقرة: (٢٢٥، ٢٣٢، ٢٧٤).

تفكير أهل السُّنَّة في عصر العلَّامة

نلاحـظُ مـن عنـوان الكتـاب (إيضـاح مُخالفـة السـنَّة لنـصِّ الكتـاب والسـنَّة)، أنَّ هـذا التفسـيرَ تفسـيرٌ كلامـيٌّ، وعـرض فيـه العلَّامـةُ المبـاني الكلاميَّة لأهـل السـنَّة عـلى القـرآن، ومخالفتهـا لـه مـن وجـوهٍ متعـدِّدةٍ، وبحـث ذلـك آيةً آيةً.

والسُّـؤال هنا: كيف كان التَّفكير الكلاميّ المُتداول لأهل السـنَّة في زمان المؤلِّف؛ أي في النِّصف الثَّاني من القرن السَّابع، وأوائل القرن الثَّامن؟.

وللجوابُ عن هذا السُّـؤال، لابدَّ أن نلقيَ نظـرةً إلى التَّاريخ؛ لتكون عندنا صورة المشهد واضحة.

«افترق المُسـلمون (أهل البحث والجدل منهـم) في النِّصف الأوَّل من القرن الثَّاني إلى فرقتَين:

فرقـة أهـل الحديث: وهم الذيـن تعبَّدوا بظواهـر الآيات، والرُّوايـات، من دون غور في مفاهيمها، أو دقَّة في إسـنادها، وكانوا يشكِّلون الأكثريَّة السَّاحقة بين المُسلمين،

وكثرتْ فيهم المُشبّهة، والمجسّمة، والمُثبتون لله سبحانه علوًّا وتنقُّلًا، وحركةً، وأعضاءً، كاليد والرِّجل والوجه، إلى غير ذلك من البِدَعِ التي ظهرتْ بين المُسلمين من طريق الأحبار، والرُّهبان المتستِّرين بالإسلام.

و**فرقة الاعتزال**: وهم الذين كانوا يتمسَّكون بالعقل أكثر من النَّقل، ويؤوِّلون النَّقل إذا وجدوه مخالفًا لفكرتهم، وعقليَّتهم.

وبقي التَّشاجُر قائمًا على قدمٍ وساقٍ بين الفرقتَينِ طوال قرون؛ فتارةً يتغلَّب أهل الحديث على أهل الاعتزال، ويزْوونهُمْ، وأُخرى يتغلَّب جناح التفكُّر والاعتزال على أهل الظَّواهر والحديث، وكانتْ غلبة كلِّ فرقة على الأُخرى في كثيرٍ من الأحيان تنشأُ من ميول الحكومات آنذاك لأحد الجناحينِ المُتصارعين؛ فنرى عصر الأمويِّين، وأوائل عصر العبَّاسيِّين، عصر ازدهار منهج أهل الحديث، والمتمسِّكين بظواهر النُّصوص؛ في حين نرى الأمر على العكس في زمن المأمون، وأخيه المُعتصم، والواثق بالله إلى عصر المتوكِّل؛ فكان الازدهارُ لمنهج الاعتزال حتَّى صار مذهبًا رسميًّا للحكومات السَّائدة، واعتُقِلَ بعضُ مشايخ أهل الحديث مثل أحمد بن حنبل، حتَّى جُلِدَ ثلاثين سوطًا لأجل اعتقاده بقِدَم القرآن الذي يُعدُّ من مبادئ أهل الحديث.

وكان الأمرُ على هذا المِنْوال إلى أن تسلَّم المتوكِّلُ مقاليدَ الحُكم؛ فأمر بنشر منهج أهل الحديث بقوَّة وحماسٍ، وتبعَه غيرُهُ منَ العبَّاسيِّين في دعم مقالتهم، وتضييق الأمر على أهل الاعتزال، وقد كان الأمر على هذا المِنْوال إلى عصر أبي الحسن الأشعريّ (٢٦٠-٣٢٤هـ) الذي كان مُعتزليًّا، ثمَّ صار- بحسب الظَّاهر- من زُمرة أهل الحديث؛ فكانتِ السُّلطة تسايرُهُم، وتوافقُهُمْ.

وقد كوَّن الأشعريُّ برجوعه عنِ الاعتزال إلى مذهب أهل الحديث منهجًا كلاميًّا،

له أثرهُ الخاصُّ إلى يومنا هذا بين أهل السـنَّة؛ فمذهبه الكلاميُّ هو المذهب السَّائد بينهم في أكثر الأقطار»[1].

وفي ضـوء هذا المسـار التَّأريخيّ، يتبيَّن أنَّ الفكرَ الكلاميَّ السَّـائدَ في عصر العلَّامة (ت٧٢٦هـ) هو الأشـعريّ؛ وذلـك لأنَّ القدْرَ المتيقَّـن إلى القرن الرَّابـع؛ أي في زمان أبي الحسـن الأشـعريّ (٣٣٤ أو ٣٣٠هـ) هو المذهب الرَّسـميُّ، ويكثرُ الظنُّ إلى القرن السَّادس المذهب الرَّسميّ لأهل السنَّة في البلاد الإسلاميَّة هو المنهج الأشعريّ.

الأشاعِرةُ امتداد لأهل السنَّة

لا بـدَّ من ذكر نُقطةٍ مُهمَّةٍ هنا، لم يكن أبو الحسـن الأشـعريّ، وأتباعُه والمتقدِّمون عليه ممَّن يشاكِلُ عقيدته، ومن تأخَّر عنه في الفقه، والرِّجال، والحديث صاحب مذهب مستقلٍ، بل هو امتدادٌ لأهل السنَّة.

ويؤيِّد هذا ما قاله أبو الحسـن الأشعريّ نفسه في كتابه مقالات الإسلاميِّين: «هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث»[2]، وصرَّح في كتابه الإبانة في (باب في إبانة قول أهل الحقِّ والسنَّة): «فإنْ قال قائلٌ قد أنكرتُم قولَ المُعتزلة، والقدْريَّة، والجُهميَّة، والحرُوريَّة، والرَّافضـة، والمُرجئـة؛ فعرِّفونـا قولكم الذي به تقولـون، وديانتَكُم التـي بها تُدينون، قيـل له قولنـا الذي نقول بـه، وديانتنا التي ندين بها التمسُّـك بكتاب ربِّنا ﷻ، وبسُـنَّة نبيِّنا ﷺ، ومـا رويَ عن الصَّحابة والتَّابعين، وأئمَّة الحديـث، ونحن بذلك معتصمون ...»[3].

(١) الملل والنحل: ٢/ ١١، وراجع: علم الكلام (صبحي): ٢/ ١٩-٢٠.
(٢) مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين: ٢٩١.
(٣) الإبانة عن أصول الديانة: ٨.

كما أنَّ عبد القاهر البغداديّ (ت٤٢٩هـ)، وهو من كبار علماء الأشاعرة، عدَّ أهل السنَّة، والجماعةَ هي الفرقة النَّاجية، وبيَّن أنَّ لهم خمسة عشر رُكنًا، وأهل السنَّة والجماعة تُدين بذلك[١].

مُرادُ العلَّامة من أهل السنَّة

مع أنَّ العلَّامة لم يصرِّحْ أنَّ مقصودَهُ من أهل السنَّة هم الأشاعرةُ، ولكن يمكن كشفُ هذا ممَّا عرض، فأكثره يوافق المباني الكلاميَّة لهم، وأثبت العلَّامة أنَّ هذه المباني متناقضة مع القرآن، وسنشير في الأبحاث اللاحقة لذلك.

ويمكن عضد ما تقدَّم أنَّ هناك جُمَلًا تؤذن بأنَّ مُراد العلَّامة من أهل السنَّة ليس المُعتزلة.

والشَّاهد على ما نقول ما جاء في تفسير الآية ٢١٣ من سورة البقرة؛ إذ جعل المُعتزلة في قبال أهل السنَّة.

قال: هذا المطلبُ على قواعد المعتزلة صحيحٌ، أمَّا على مباني أهل السُّنَّةِ؛ فهو مُخالفٌ للقرآن[٢].

قال العلَّامة: «البُشارة إنَّما تحصل لو علم المبشِّر، أو ظنَّ وصول ما بُشِّر به إليه من الخير، وهو غير حاصلٍ عند أهل السنَّة، حيث لم يجعلوا للطَّاعة مدخلًا في استحقاق الثَّواب، وجوَّزوا تعذيب المُطيع، وإثابة العاصي؛ وإنَّما يصحُّ على قواعد المعتزلة، وخالفتِ السنَّة فيه»[٣].

(١) لاحظ: الفَرْق بين الفِرَق: ١٩١-٢١٧.
(٢) إيضاح مخالفة أهل السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة: ٥٥.
(٣) المصدر نفسه: ٥٦.

وعليه يمكن القول إنَّ العلَّامة، عبر النَّصِّ المُتقدِّم، مراده من أهل السنَّة هم الأشاعرة؛ لأنَّهم يُنكرون الحُسنَ والقُبحَ العقليَّينِ، والطَّاعة لا تؤثِّر في استحقاق الثَّواب، ويمكن أن يعذِّبَ اللهُ شخصًا يُطيع ويمتثل أوامره، ويُدخل الجنَّة شخصًا عاصيًا[1].

عقائدُ الأشاعرة

ذكرنا غيرَ مرَّةٍ عرض العلَّامة المباني الكلاميَّة لأهل السنَّة على القرآن، وهنا أُشير باختصارٍ إلى عقائد الأشاعرة، واختلافها مع الفرق الأُخرى.

١. صفاتُ الله:

يعتقدُ المُعتزلة أنَّ صفاتِ الله عينُ ذاته، بينما يذهب الأشاعرة على أنَّها زائدةٌ على ذاته؛ فيعتقدون أنَّ اللهَ عالمٌ بعلمٍ، قادرٌ بقدرةٍ، مريدٌ بإرادةٍ وهكذا...[2].

٢. الصِّفاتُ الخبريَّة:

المُراد بالصِّفات الخبريَّة لله تعالى بنظر الأشاعرة، هي ما أثبتتْه ظواهر الآيات له سبحانه من العلوِّ، والوجه، واليدين إلى غير ذلك، ولكن من دون تشبيهٍ وتجسيمٍ، بخلاف المشبِّهة؛ إذ عدُّوا هذه الصِّفاتِ تجسيمًا له سبحانه عن ذلك[3].

٣. رُؤية الله تعالى:

يعتقد الأشاعرةُ أنَّه لا يمكن رؤية الله في الدُّنيا بهذه العين الظَّاهرة، ولكن يمكن ذلك في الآخرة[4].

(١) الفَرق بين الفِرَق: ١٩١-٢١٧.
(٢) لاحظ: اللمع في الردِّ على أهل الزيغ والبدع: ١٦.
(٣) راجع: المواقف في علم الكلام: ٢٨٠.
(٤) انظر: مقالات الإسلاميِّين: ٣٢٠.

٤. كلامُ الله:

يعتقد الأشـاعرة أنَّ كلام الله، أي القرآن، قديمٌ، ويفرِّقـون بين الكلام الظَّاهريّ، والمعنـى الحقيقـيّ؛ فالقُرآن من حيث الألفاظ، والأصوات، بلا شـكٍّ أنَّـه حادثٌ، أمَّا معانيه فقديمةٌ،وغيرُ مخلوقةٍ.

ويؤمنـونَ أنَّ القرآن كلامٌ نفسيٌّ، وقائمٌ بذات الله تعالى، وهو قديمٌ بقِدَمه وهو من الصِّفات الذَّاتيَّة.

وذهـب بعضُهم إلى أنَّ الكلامَ النَّفسيَّ هو مدلـول الألفاظ، بينما عدَّهُ بعضٌ مغايرًا لمدلول اللفظ[١].

٥. أفعالُ العباد:

بيَّن أبو الحسـن الأشـعريّ في مقالات الإسـلاميِّين عقيدةَ أهل السُّنَّة، والحديث، قال: «وأقرُّوا بأنَّه لا خالقَ إلَّا الله، وأنَّ سيِّئاتِ العباد يخلقها الله، وأنَّ أعمالَ العبد يخلقها الله ﷻ، وأنَّ العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئًا»[٢].

٦. الحُسنُ والقُبح:

يعتقد الأشاعرةُ: ينبغي للعقل اتِّباع الوحي، والوحيُ هو من يحدِّد: هذا حسَنٌ، وهذا قَبيحٌ؛ لأنَّ الأفعال نفسـها لا توصف بالحُسـن، والقُبح، بل الحسن والقبحَ ما هو يحدِّدهُ الشَّرعُ[٣].

---

(١) لاحظ: شرح المقاصد: ٤/ ١٤٧-١٤٩، والملل والنِّحل في مقالات ومذاهب أهل العالم: ٦٨، والبيان في تفسير القرآن: ٤٠٥-٤١٣.

(٢) مقالات الإسلاميِّين: ٣٢٩.

(٣) لاحظ: اللمع: ١١٦-١١٧، وشرح المقاصد: ٢/ ٢٨٤-٢٨٩.

٧. التَّكليفُ بما لا يُطاق:

التَّكليف بما لا يُطاق متفرِّعةٌ من مقولة الحُسن، والقُبح الشَّرعيين، ويؤمن الأشاعرة بإمكان التَّكليف بما لا يُطاق منَ الله ﷻ.

٨. الاستطاعةُ:

يعتقد الأشاعرة أن لا استطاعةَ قبلَ الفِعل؛ بل هي مقارنةٌ للفعل؛ فإنَّ وجود القدرة، والاستطاعة قبل الفعل ربَّما لا يجتمع مع القول بكون الخلق، والإيجاد منه سبحانه؛ فقالوا بعدم تقدُّم الاستطاعة، ولزوم مقارنتها مع وجود الفعل(١).

٩. الغرض من أفعال الله:

ومنَ الفُروع الأُخرى لمسألة الحُسن، والقُبح الشَّرعيَّين أنَّ أفعالَ الله لا تُعلَّل، وليس لها أهدافٌ.

تناقُض كلام أهل السنَّة مع القرآن من منْظار العلَّامة الحلِّيِّ

بيَّنَ العلَّامة في كتابه (الإيضاح) بالاستناد إلى الآيات مُخالفة الأشاعرة لنصِّ القرآن من وجوهٍ متعدِّدةٍ.

وكان نقد العلَّامة، وبيانُه للمُخالفة تارةً مخالفةً صريحةً للقرآن، وأُخرى مخالفةً بلوازم القرآن، وإنْ لم يصرِّحوا بها.

ونذكر هنا مثالًا؛ فإنَّ جواز صدور الكذب منَ الله غير صريحٍ في عقائد أهل السنَّة، ومع هذا العلَّامة يقول في هذا المَجال: إنَّ أهل السنَّة يجوِّزون الكذبَ على الله.

لعلَّ منشأ قول العلَّامة هذا؛ لأنَّهم يقولون إنَّ الحُسن، والقُبح شرعيَّانِ.

(١) لاحظ: المواقف: ٣٣٠-٣٣١، وشرح المقاصد ٤: ٢٩٦-٣٠٠.

لا بأسَ أنْ أُشـير هنا لبعض ما بيَّنه العلَّامة من مُخالفة السـنَّة لنَصِّ القرآن، وإليك منه:

١. امتناع الكذب على الله سبحانه:

نقـل العلَّامة جملةً منَ الآيات تتضمَّن أخبارًا، وهذهِ الأخبار لا شـكَّ أنَّها صادقةٌ؛ لأنَّهـا صـادرةٌ عن الله تعالى، ومنَ المُحال صدور الكذب عنه تعالى، ومع أنَّ أهل السـنَّة يعدُّون الكذب على الله مُحالًا، إلَّا أنَّ هذه العقيدة لا تنسجمُ مع عقائدهم الأُخرى.

كما أنَّ العلَّامة في (الإيضاح) يشير لهذه المسألة في موارد كثيرة؛ فمثلًا في الآية ٢١٢ من سورة البقرة:

أ. «﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي في علِّيِّين، والفجَّار في الجحيم، وهذا خبرٌ إنَّما يُعلم صدقُه لوِ امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفتِ السنَّة فيه»[١].

ب. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ خـبرٌ، إنَّـما يُعلم صدقه لوِ امتنـع الكذب على الله تعالى، وخالفتِ السنَّة فيه»[٢].

تـحقيـقٌ

و**السُّـؤال** هنـا هـو: هل صـدور الكـذب مـن الله من منظـار أهـل السـنَّة قبيحٌ أم لا؟.

و**الجـواب**: اتَّفق العلماء كافَّـة أنَّ الله قادرٌ على فعلِ القبيح، والعلَّامة نفسـه يقول: «ذهب العلماء كافَّةً إلى أنَّه تعالى قادر على القبيح، إلَّا النَّظَّام»[٣].

(١) الإيضاح: ٥٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) كشف المُراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٦٣.

كما لا خلاف أنَّ الله لا يفعل القبيح، وحتَّى الأشاعرة يصرِّحون بهذا في كتبهم[1].

ودعوى الأشاعرة هي أنَّ الله لا يفعل القبيح، ولكنَّه قادرٌ عليه.

والذي يظهر ممَّا تقدَّم أنَّ العلَّامة نسبَ للأشاعرة جوازَ الكذب على الله تعالى عبرَ لوازم عقيدتَينِ من عقائدهم، وهما:

أ. يؤمن الأشاعرة أنَّ الله خالقُ أفعال الخير والشرّ، وهو خالق أفعال العبد الشِّرِّيرة، وبما أنَّ الكذب مصداقٌ من مصاديق القُبح؛ فليس منَ المُحال اتِّصافُه سبحانَه به.

ب. يعتقدُ الأشاعرةُ بأنَّ الحُسن، والقُبح شرعيَّان، لا ذاتيَّةَ لقُبح الأفعال، إنَّما الشَّارعُ يقبِّحُ الفِعْلَ، أو يحسِّنُه؛ فالقبيح ما قبَّحهُ، والحسنُ ما حسَّنه؛ فيمكن أن يتَّصف اللهُ تعالى بالكذب مع أنَّه قبيحٌ.

٢. فعلُ العبد:

ذكرَ العلَّامةُ جُملةً منَ الآيات التي تَنسِبُ الفعلَ إلى العبد، وهذه النِّسبة صحيحةٌ، وأهل السنَّة تخالفون تلك النُّصوص، وإنَّ العبد ليس فاعلًا، وننقل بعض ما استشهد به العلَّامةُ منَ الآيات على هذه المقولة، مثلًا: في سورة البقرة آية ٢١٢، قال: «﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أ. ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أُسند الكفرُ لهم، وإنَّما يصحُّ ذلك لو كان العبدُ فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

(١) راجع: شراح المقاصد: ٤/ ٢٩٤.

ب. ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ أسندَ السُّخريّة إليهم، إنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

ج ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أسند الإيمان إليهم، إنَّما يصحُّ لو كان العبدُ فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه»[1].

٣. هدف أفعال الله تعالى:

صرَّح العلَّامة في بعض الآيات استناد الهدف والغاية لأفعال الله تعالى، وهذا شيءٌ ثابتٌ، ويقول مع أنَّ هذه نصوصٌ صريحةٌ في ذلك خالفت السنّةُ النصَّ، واعتقدوا من المُحال أن تتعلّق الأغراض بالأفعال الالهيَّة، وننقل نموذجًا هنا في هذا السياق.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، قال: «إنَّما يُعلم كون المبعوث نبيًّا من الله تعالى صادقًا لو أظهر الله تعالى المُعجزةَ على يدهِ؛ لأجل التَّصديق، وكان كلُّ من صدَّقه الله تعالى صادقًا، وخالفت السنَّة في مقدِّمَتينِ:

أمَّا الأولى؛ فلأنَّ الله تعالى يستحيل تعليل فعله بالأغراض، والمصالح عندهم، فكيف يصحُّ القول مع ذلك بأنَّه خلق المعجزة لأجل كذا.

وأمَّا الثَّانية؛ فلأنَّه يمتنع الحكم بها مع نسبة القبائح، والإضلال، والكذب إليه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»[2].

٤. الاستطاعة:

بحثَ العلَّامةُ في تفسير الآية ٩٧ من سورة آل عِمران دلالةَ الآية على استطاعة العبد، وبيَّن مُخالفةَ أهل السنَّة فيه، قال: «﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًا﴾ الاستطاعة هي

(١) الإيضاح: ٥٧.
(٢) المصدر نفسه: ٥٦.

القدرة المؤثرة على ثبوتها، وخالفت السنَّة فيه»[١].

وينبغي التنبُّه على أنَّ الأشاعرةَ يعتبرون قدرةَ العبد لا أثرَ لها؛ لعموم قدرته تعالى[٢].

ويواصل العلَّامة بحثَه في هذا الإطار؛ فيقول: «هذه الآية مبطلة قول المجبرة أنَّ الاستطاعة مع الفعل؛ لأنَّه تعالى أوجب الحجَّ على المستطيع دون غيره، وهذا إنَّما يكون قبل الحجِّ»[٣].

وعليه فالأشاعرةُ يعتقدون أنَّ الاستطاعة مقارنة للفعل، ولا استطاعة قبل الفعل.

٥. دور الطَّاعة والذَّنب:

ذكر العلَّامة آياتٍ فيها دلالةٌ على أنَّ ما يترتَّب على الطَّاعة الثَّواب، وعلى المعصية العقاب، وأهل السنَّة خالفت فيه، قال العلَّامة: «البُشارة إنَّما تحصل لو علم المبشِّر، أو ظنَّ وصول ما بُشِّر به إليه من الخير، وهو غير حاصلٍ عند أهل السنَّة، حيث لم يجعلوا للطَّاعة مدخلًا في استحقاق الثَّواب، وجوَّزوا تعذيبَ المُطيع، وإثابة العاصي؛ وإنَّما يصحُّ على قواعد المعتزلة، وخالفت السنَّة فيه»[٤].

وعليه جواز تعذيب المُطيع، وإثابة الإنسان العاصي هي من فروع القول بأنَّ الحُسن، والقُبح شرعيَّان.

---

(١) الإيضاح: ٢٤٦.
(٢) لاحظ: المواقف: ١٥٠-١٦١.
(٣) الإيضاح: ٢٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ٥٦.

٦. الصِّفات الإلهيَّة:

أشار العلَّامة في تفسيره إلى مورد واحد في بطلان عقيدة الأشاعرة في ما يتعلَّق بالصِّفات الإلهيَّة؛ ففي تفسير الآية ١٦٣ من سورة البقرة، قال: «إنَّما يكون غنيًّا لو لم يحتجْ إلى غيره من جميع الأشياء سواءٌ كان ذاتًا، أو غير ذلك؛ فلا يفتقر في قدرته، ولا في علمه إلى غيره منَ القُدرة، والعلم، وغير ذلك من المعاني، وخالفت السنَّة فيه»[١].

٧. إرادة الله:

أشار العلَّامة إلى موردٍ واحدٍ لمخالفة أهل السنَّة من أنَّ فعل العبد لا مدخل فيه للعبد؛ ففي سورة البقرة الآية ٢٥٣ منها، قال: «﴿مَا يُرِيدُ﴾ أثبت الإرادة لنفسه تعالى، ولا يتأتَّى على مذهب الأشاعرة؛ لأنَّهم نفوا إرادة العبد بدليلَينِ آتيَين في حقِّه تعالى، هما أنَّ الله تعالى يعلم ما يفعله العبد فيكون واجبًا، والإرادة لا تتعلَّق بالواجب، والثَّاني أنَّ الفعل حال التَّساوي ممتنعُ الوقوع، وحال التَّرجيح واجبُ الوقوع، والواجب لا يصحُّ أن يكون مُرادًا»[٢].

ولا يخفى عليك أنَّ الأشاعرة تعتقد بإرادة الله العامَّة، ولكن إشكال العلَّامة على ما يلزم من عقيدتهم من أنَّ العبد لا إرادةَ له.

٨. الرِّزق:

أشار العلَّامة إلى ما يعتقده الأشاعرة في الرِّزق، وأنَّه مُخالفٌ لنصِّ الكتاب، قال في تفسير الآية ٢٥٤ من سورة البقرة: «﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ الرِّزقُ هو ما تناوله الإنسان مقرًّا

(١) الإيضاح: ١٤٣.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٢.

[ممَّا][1] أباحه الله تعالى.

وقالتِ الأشاعرة هو ما تناوله الإنسان سواء كان مباحًا أم حرامًا، وهو ينافي الأمر بالاتِّفاق، وخالفت السنَّة فيه»[2].

وهنا ذكر العلَّامة نظريَّة الرِّزق عند الأشاعرة، وهي مُخالفة لنصِّ القرآن؛ إذْ يعتقدون بأنَّ الرِّزقَ ما يُنتفع به حلالًا كان أو حرامًا[3].

وليَعلم أنَّ أساس هذه المسألة القول بالحُسن، والقُبح الشَّرعيَّين.

٩. متعلَّق إرادة الله تعالى:

ممَّا انتقدهُ العلَّامة من عقائد الأشاعرة هو متعلَّق إرادة الله تعالى، وأنَّه مُخالفٌ لنصِّ الكتاب؛ ففي ذيل الآية ١٠٨ من سورة آل عمران قال: «﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ نفى الله تعالى إرادة الظُّلم، وقالتِ السنَّةُ: إنَّ اللهَ تعالى أراده وإلَّا لما وقع»[4].

واعتقد المُعتزلة أنَّ الله أراد منَ المُؤمنين، والكافرين الطَّاعةَ إلَّا أنَّ بعضًا أطاع، وبعضًا عصى، وكذلك لم يُرِدِ اللهُ لعبادِهِ المعصية، ولكنَّ بعضًا استعصم وبعضًا عصى.

أمَّا الأشاعرة فيعتقدون أنَّ كلَّ ما هو واقع بإرادة الله تعالى سواء كانت طاعاتٍ أم معاصي[5].

(١) في الأصل غير واضحةٍ ولعلَّ الأقرب إلى الصواب [ممَّا]. (م).
(٢) الإيضاح: ١٢٤.
(٣) انظر: المواقف: ٣٣٢.
(٤) الإيضاح ٢٥٤.
(٥) لاحظ: تمهيد الأصول في علم الكلام: ١١٣-١١٦، المواقف: ٣٢٠-٣٣٣.

١٠. عصمة الإمام:

ذكر العلَّامةُ آياتٍ تنصُّ على عصمة الإمام، ومخالفة السنَّة فيه؛ إذِ اعتقدُوا أنَّه لا يجب في الإمام العصمة؛ ففي تفسير الآية ٢٦ من سورة آل عمران، قال: «قال البلخيُّ، والجُبائيّ: لا يجوز أنْ يعطيَ الله الملك للفاسق؛ لأنَّه تمليك لأمرٍ عظيم من السِّياسة، والتَّدبير مع المال الكثير؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والملك من أعظم العهود، والملك في قوله تعالى: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ (١)﴾ يعني به النبوَّة، وأشار إلى إبراهيم، أو المال، وأشار إلى الذي حاجَّه دون السِّياسة، والتَّدبير، وهذا بعينه دليلٌ على أنَّ الإمام عليه السلام يجب أن يكون معصومًا، وخالفتِ السنَّةُ فيه»(٢).

يعتقد أهل السنَّة لا يجب أن يكون الإمام معصومًا، كما صرَّح بذلك الفخر الرَّازي في بحث له تحت عنوان «لا يجب أن يكون الإمام معصومًا»(٣)، قال: «أصحابنا

(١) لا يخفى عليك أنَّ الملك في القرآن يُطلق على الملك الحقِّ والباطل، وبيان ذلك:
استعمل القران المعنى الأوَّل في قوله تعالى، حاكيًا عن نبيّ الله يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ١٠١) وكقوله تعالى في داوود عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ٢٥١)، وقوله تعالى، عن لسان سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ (ص: ٣٥).
وأمَّا الثاني كقوله تعالى عن لسان مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (غافر: ٢٩)، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف: ٥١).
وعليه فلا محذور في إتيان الملك للفاسق في ضوء الآيات المتقدِّمة.
وفي هذا السياق يقول العلَّامة الطباطبائي: «يكون الملك بالنسبة إلى من هو أهله نعمة من الله سبحانه وإليه، وبالنسبة إلى غير أهله نقمة، وهو على كلِّ حالٍ منسوب إلى الله سبحانه وفتنة يمتحن به عباده». الميزان: ٣/ ١٣١.
وللعلَّامة الحِلِّيّ أدلَّة رصينة على عصمة الإمام فيما هو مذكور أعلاه بحثها في مصنَّفاته، فراجِع.
(٢) الإيضاح: ١٩٦.
(٣) هذه العقيدة لا تختصُّ بالأشاعرة فحسب، فأهل السنَّة يعتقدون بذلك أيضًا.

والمعتزلة، والزَّيديَّة، والخوارج: لا يجب أن يكون الإمام معصومًا، وقالتِ الإسماعيليَّة والاثنا عشريَّة: يجب»[1].

١١. أفضليَّة الإمام:

قال العلَّامة: إنَّ ما يعتقد به أهلُ السنَّة من أنَّ أفضل النَّاس بعد النبيِّ ﷺ هو أبو بكر، وهذه مُخالفة لنصِّ القرآن؛ ففي ذيل آية المباهلة، قال: «واستدلَّتِ الإماميَّة بهذه الآية على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصَّحابة من وجهَينِ... وخالفتِ السنَّةُ فيه»[2].

١٢. الإيمان:

أشار العلَّامةُ إلى أنَّ صريح القرآن ينصُّ على أنَّ الإيمان معناه التَّصديقُ، وثمَّة فرقٌ بينه، وبين أفعال الجوارح، ولكن أهل السنَّة خالفتْ فيه؛ ففي تفسير الآية ٢٧٧[3] من سورة البقرة، قال: «هذه الآية تدلُّ على أنَّ الإيمان مغايرٌ لأفعال الجوارح؛ بلْ هو التَّصديقُ حذرًا من عطف الشَّيء على نفسه، وخالفتْ جماعةٌ من السنَّة فيه»[4].

والجدير بالإشارة هنا أنَّ المتكلِّمين يختلفون في ماهيَّة الإيمان.

فبعضٌ منهم يعدُّه تصديقًا، وآخرون: الإقرار المقارن للمعرفة.

وبعضٌ منهم اعتقد أنَّه لا بدَّ من التَّصديق، والإقرار.

وفرقةٌ أُخرى، قالت: الإقرارُ باللسان، والتَّصديق في القلب، والعمل بالأركان.

(١) الأربعون في أصول الدين: ١/ ٢٦٣، وأيضًا لاحظ: الأصول الخمسة: ٧٥٢.

(٢) الإيضاح: ٢٢٣.

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

(٤) الإيضاح: ١٥٩.

وبينما ذهب الأشاعرة إلى أنَّ الإيمان هو التَّصديق، والمعتزلة الإيمان عندهم مجموع من التَّصديق القلبيّ، والإقرار اللسانيّ، والعمل بالجوارح.

وعليه فإنَّ قول الأشاعرة في الإيمان هو التَّصديق القلبيّ، وهنا لا يريد العلَّامة من أهل السنَّة الأشاعرة فحسب؛ وذلك لأنَّ الأشاعرة كذلك استدلُّوا بالآيات، ومعه فكلام العلَّامة يشمل أيضًا المعتزلة؛ ولعلَّ سبب إشارته في هذا المورد فقط في قوله «خالفت جماعةٌ من السنَّة» مع أنَّ سائر عبارته، وخالفتِ السنَّة.

١٣. نصرُ الله:

قرَّر العلَّامة في تفسير الآية ٢١٤ من سورة البقرة الآتي: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ معناه الدُّعاء لله تعالى بالنَّصر، ولا يجوز أن يكون معناهُ الاستبطاء لنصر الله على كلِّ حالٍ؛ لأنَّ الرَّسول يعلم أنَّ الله تعالى لا يردُّه عن الوقت الذي تُوجِبه الحكمة، وخالفت السنَّة فيه، حيث قالوا معناه الاستبطاء لنصر الله، وهو خطأٌ لا يجوز مثله على الأنبياء»[1].

تحقيقٌ

لا يوجد اختلافٌ بين الإماميَّة، وأهل السنَّة في تفسير ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ إذ حاول الجميع أن يرفعوا الشُّبهة؛ فلنبدأ بالتِّبيان الذي يُعدُّ المصدرَ الأساس لتفسير العلَّامة الحِلِّيّ، قال الشَّيخُ الطُّوسيُّ: «فإن قيل: ما معنى قول الرسول والمؤمنين: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾؟ قلنا: قال قوم: معناه الدُّعاء لله بالنَّصر، ولا يجوز أن يكون معناه الاستبطاء لنصر الله على كلِّ حالٍ؛ لأنَّ الرَّسول يعلم: إنَّ اللهَ لا يؤخِّرُهُ عن الوقت الذي توجبه الحكمة.

وقال قومٌ: معناه الاستبطاء لنصر الله؛ وذلك خطأٌ، لا يجوز مثله على الأنبياء عليهم السلام إلَّا أن يكون على الاستبطاء لنصره لما توجبه الحكمة من تأخُّره، والنَّصر ضدّ الخذلان.

(١) الإيضاح: ٦٣.

والقريب ضدُّ البعيد، والقرب والدنوُّ واحد، ومن قال: إنَّ ذلك على وجه الاستبطاء قوَّاه بما بعده من قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾»[1].

ويلاحظ أنَّ الشَّيخ لم يشِرْ إلى اختلاف الفِرق الكلاميَّة؛ بلْ أيَّد القول الثَّاني بما مرَّ ذكرُهُ.

أمَّا الطبرسيّ؛ فإنَّه اكتفى بذكر أقوال المفسِّرين، قال: «قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله المُمتحن، وإنّما قاله الرَّسولُ استبطاءً للنَّصر على جهة التمنّي، وقيل إنَّ معناه الدُّعاء لله بالنَّصر، ولا يجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله؛ لأنّ الرَّسول يعلم أنَّ الله لا يؤخِّرهُ عن الوقت الذي توجبه الحكمة»[2].

وذكر العلَّامة الطباطبائيّ وجهًا آخر، قال: «الظَّاهرُ أنَّه مقول قول الرَّسول، والذين آمنوا معه جميعًا، ولا ضيرَ في أن يتفوَّه الرَّسولُ بمثل هذا الكلام استدعاءً، وطلبًا للنَّصر الذي وعد به الله سبحانه رسلَه، والمؤمنين بهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾[3]»[4].

وفي ضوءِ هذه المعطيات لا يمكن أن نقول: إنَّ نظريَّة أهل السنَّة مخالفةٌ لنظريَّة الإماميَّة؛ فنرى بعض أهل السنَّة سعوا إلى رفع هذه الشُّبهة[5].

وبعضٌ منهم قال: هذا كلام المؤمنين لا النبيّ صلى الله عليه وآله[6].

(١) التبيان في تفسير القران ٢/ ١٩٩.
(٢) مجمع البيان ٢: ٥٤٦.
(٣) الصافات: ١٧١-١٧٢.
(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ١٥٩.
(٥) راجع: الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٢٥٦، وروح المعاني: ٢/ ٢٠٤، وروح البيان: ٣٣٠.
(٦) لاحظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢/ ٣٤١، والتفسير الكبير: ٦/ ٢٢.

١٤. كرامات الأولياء:

ممَّا ذكرهُ العلَّامة، واستند فيه إلى النَّصِّ القرآنيّ، وبيَّن مُخالفة أهل السنَّة له، هو كرامة السيِّدة مريم عليها السلام؛ لأنَّهم لا يرتضون كرامات الأولياء بشكلٍ عامٍّ؛ ففي ذيل الآية ٣٧ من سورة آل عمران قال العلَّامة: «الرِّزق هو ما للإنسان الانتفاع به على وجهٍ ليس لأحدٍ منعُه منه، وكان فاكهة الصَّيف في الشِّتاء، وفاكهة الشِّتاء في الصَّيف، وتكلَّمت في المهد، ولم تلقمْ ثديًا قط، وإنَّما كان يأتيها رزقُها من الجنَّة، وهذه كرامةٌ من الله تعالى، يصحُّ الإنعام بها من الله تعالى للأولياء والصَّالحين، وإن لم يكونوا أنبياء، وخالفتِ السنَّة فيه»[1].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ جمهور الأشاعرة يوافقون على الكرامات، ولكنَّ المعتزلة لا تقول بها[2].

(١) الإيضاح: ٢٠٦.

(٢) جاء في مجمع البيان في سياق حديثه عمَّا كان يأتي للسيِّدة مريم عليها السلام من رزق: «﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، يعني وجد زكريَّا عندها فاكهة في غير حينها، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، غضًّا طريًّا، عن ابن عبَّاس وقتادة ومجاهد والسديّ، وقيل: إنَّها لم تُرضع قط، وإنَّما كان يأتيها رزقها من الجنَّة، عن الحسن: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ يعني قال لها زكريا: كيف لك، ومن أين لك هذا؟ كالمتعجِّب منه، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، أي من الجنَّة، وهذه تكرمة من الله تعالى لها، وإن كان ذلك خارقًا للعادة، فإنَّ عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء، ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولَين: (أحدهما) إنَّ ذلك كان تأسيسًا لنبوَّة عيسى، عن البلخيّ، (والآخر) أنَّه كان بدعاء زكريَّا لها بالرزق في الجملة، وكانت معجزة له، عن الجبائيّ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. مجمع البيان: ٢/ ٧٤٠.

المراجع

١. الألوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٥هـ.

٢. أردلان جون عليّ، فهرست كتب خطي تابخانه مركزي استان قدس، مشهد كتابخانه مركزي رضوي، ١٣٦٥هـ.

٣. الأشعريّ، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة، مصر، الطباعة المنيريَّة، ١٣٤٨هـ.

٤. الأشعريّ، أبو الحسن، مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين، القاهرة، مكتبة النهضة المصريَّة، ١٣٦٩.

٥. الأفنديّ الأصفهانيّ، عبد الله، رياض العلماء وحياض الفضلاء، قم، كتابخانه المرعشيّ، ١٤٠١هـ.

٦. إقبال الاشتيانيّ، عبَّاس، تاريخ مغول، تهران، انتشارات امير كبير، ١٣٦٤هـ.

٧. الأمينيّ، محسن، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٣٦٤هـ.

٨. الإيجيّ، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، (د.ت).

٩. البغداديّ، عبد القاهر، الفَرْق بين الفِرَق، نشر الثقافة الإسلاميَّة، ١٣٦٧هـ.

١٠. التفتازانيّ، سعد الدين، شرح المقاصد، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٨هـ.

١١. التفريشيّ، مصطفى بن الحسين، نقد الرجال، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٨هـ.

١٢. الطهرانيّ، الشيخ آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، قم، مؤسَّسة إسماعليان.

١٣. حجَّتي، محمَّد باقر، فهرست موضوعي نسخه هاي خطي كتابخانه هاي جمهوري إسلامي إيران، طهران سروش، ١٣٧٥هـ.

١٤. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن، أمل الآمل، مكتبة الأندلس، ١٣٨٥هـ.

١٥. الحقِّي البروسويّ، إسماعيل، تفسير روح البيان، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٥هـ.

١٦. الحِلِّيّ، حسن بن يوسف، خلاصة الأقوال، منشورات الرضيّ، ١٤٠٢.

١٧. الحِلِّيّ، حسن بن يوسف، كشف المُراد في شرح تجريد الاعتقاد، قم، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٧هـ.

١٨. الحِلِّيّ، حسن بن يوسف، منهاج اليقين في أصول الدين، قم، ياران، ١٤١٦هـ.

١٩. الحِلِّيّ، حسن بن يوسف، منهج الحقِّ وكشف الصدق، قم، مؤسَّسة دار الهجرة، ١٤٠٧هـ.

٢٠. الخوئيّ، أبو القاسم، البيان في تفسير القران، النجف، أنوار الهدى، (د.ت).

٢١. دانش بزوه محمَّد تقي وبهاد الدين العلمي، فهرست كتابهاي خطي كتابخانه سنا، (د.ط)، (د.ت).

٢٢. الرازي، فخر الدين، الأربعون في أصول الدين، مصر، مكتبة الكليَّات الأزهريَّة، (د.ت).

٢٣. الزمخشريّ، محمود بن عمر، الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤٠٧هـ.

٢٤. السبحانيّ، جعفر، الملل والنحل، قم، لجنة إدارة الحوزة العلميَّة، ١٤١١هـ.

٢٥. الشهرستانيّ، أبو الفتح، الملل والنحل في مقالات ومذاهب أهل العالم، (د.ط)، (د.ت).

٢٦. صبحي، أحمد محمود، علم الكلام، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٤٠٥هـ.

٢٧. الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٣٩٣هـ.

٢٨. الطباطبائيّ، عبد العزيز، مكتبة العلَّامة الحِلِّيّ، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٦هـ.

٢٩. الطبريّ، محمَّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القران، بيروت، دار الفكر، (د.ت).

٣٠. الطبرسيّ، فضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.

٣١. الطريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، طهران، مؤسَّسة بعثت، ١٤١٥هـ.

٣٢. الطوسيّ، محمَّد بن الحسن، التبيان الجامع لعلوم القرآن (التبيان في تفسير القرآن)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (د.ت).

٣٣. الطوسيّ، محمَّد بن الحسن، تمهيد الأصول في علم الكلام، طهران، مؤسَّسة انتشارت وجابدانشكاه، طهران، ١٣٦٢هـ.

٣٤. فهرست كتابخانه مجلس شوراي اسلامي، طهران، ١٣٤٧هـ.

٣٥. القاضي، عبد الجبار أحمد، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

٣٦. القمِّيّ، الشيخ عبَّاس، الفوائد الرضويَّة في أحوال العلماء المذهب الجعفريَّة، (د.ط) (د.ت).

٣٧. المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، طهران، المكتبة الإسلاميَّة، ١٣٩١هـ.

٣٨. مدير شانه جي كاظم، علم الحديث ودراية الحديث، قم، دفتر انتشارات إسلامي، (د.ت).

٣٩. الموسويّ الخوانساريّ، محمَّد باقر، روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، قم، مكتبة إسماعليان، (د.ت).

العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في فكر المستشرقين

دراسة وتحليل

م.م. كريم جهاد الحسَّانيّ

جامعة بغداد/كليَّة العلوم الإسلاميَّة

Allama Al-Hilli in Orientalists Thought

Asst. Lect. Karim Jihad Al-Hassani

University of Baghdad/College of Islamic Sciences

ملخَّص البحث

تحاول هذه الدراسة أن تقدِّم للقارئ الكريم بعض مواقف علماء الغرب الصريحة في علماء الشيعة، ومنهم العلَّامة الحِلِّيّ، الذي أسهم في إثراء المكتبة الفقهيَّة الإسلاميَّة عامَّةً، والشيعة خاصَّة؛ لذلك سلَّطَ المستشرقين الضوء في كتاباتهم على نتاجاته، فهي ثمرة من ثمرات الفكر الإسلاميّ.

وتقوم فكرة بحثنا في كشف طريقة التفكير الغربيّ العلميّ تجاه حضارتنا وشخصيَّاتها المؤثِّرة في الساحة العلميَّة عمومًا، فهناك غايات عدَّة تقف خلف ذلك، سنحاول فهمها وتقديمها للقارئ.

لذلك قسَّمنا البحث على قسمَين، الأوَّل جاء تحت عنوان: هويَّة العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في المنظومة الاستشراقيَّة. والثاني: جهود العلَّامة الحِلِّيّ العلميَّة.

Abstract

This study attempts to present to the honorable reader some of the explicit positions of Western scholars regarding Shiite scholars, including Allama Al-Hilli, who contributed to enriching the Islamic jurisprudence library in general and Shiites in particular. That is why orientalists shed light in their writings on his products, as they are a product of Islamic thought.

The idea of our research is to reveal the Western scientific way of thinking about our civilization and its influential figures in the scientific arena in general. There are several goals behind this that we will try to understand and present to the reader

Therefore, we divided the research into two parts. The first came under the title: The Identity of Allamah Al-Hilli in the Orientalist system. The second: the efforts of Allamah Al-Hilli.

مقدِّمة البحث

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين عليهم السلام..

وبعد...

عكفَ عُلماء الغرب من المستشرقين على دراسة وتحليل أغلب الشخصيَّات الإسلاميَّة على اختلاف توجُّهاتها، والتي كان لها دورًا بارزًا في تاريخ حياة المسلمين، عن طريق جمع الوسائل المتاحة في الحصول على المعلومات، ولم يقفوا منه عندها، فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيَّات، وإنَّما عمدوا بعد ذلك إلى نشرها وترجمتها وتصنيفها من حيث النشأة والتطوُّر، ومن ثمَّ نشرها.

وقد حَفلَ التاريخ الإسلاميّ كثير من الشخصيَّات والتي مثَّلت تحوُّلًا خطيرًا في الواقع الإسلاميّ، وخاصَّةً في الجانب الشيعيّ الإماميّ، ومنها التي اليوم نحن بصدد الدراسة الغربيَّة للتاريخ الإسلاميّ، وتحديدًا عن شخصيَّةٍ علميَّة معروفة بين أوساط العلماء الغربيِّين المتخصِّصين في الإسلام، ألا وهو ابن المطهَّر الحِلِّيّ جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ، أحد كبار فقهاء ومتكلِّمي الشيعة الإماميَّة في القرن السابع الهجريّ؛ لذا فالتعرُّف على الاتِّجاهات الاستشراقيَّة حول هذه الشخصيَّة العظيمة أمرٌ مهمٌّ؛ لأنَّها في الحقيقة تُجسِّد الرؤيا الغربيَّة لعلماء بيت نبيّ الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله، فهي - تلك الدراسات- مرآة عاكسة في بيان تاريخ الإسلام لشعوب الغرب.

وقد اقتضت صورة البحث أن يُقَسَّم إلى مُقدِّمة، ومبحثَين، ثمَّ خاتمة لهذه الدراسة، والمبحثان هما:

المبحث الأوَّل: حملَ عنوان (هويَّة العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في المنظومة الاستشراقيَّة)، تناولنا فيه عدَّة مطالب مهمَّة، هي: ١. الاسم، النسب، اللقب والكنية. ٢. الولادة، الوفاة، مؤلَّفاته. ٣. مكانتهُ وأقوال المستشرقين فيه.

أمَّا **المبحث الثاني**: فكان عنوانه (جهود العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره العلميَّة)، وحملَ في طيَّاته عدَّة مطالب، هي: ١. الرائد في تطوير الفقه الشيعيّ. ٢. جهوده في نضوج علم الكلام.

وأخيرًا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقني في إكمال هذه الدراسة على أكمل وجه، من دون تَعصُّبٍ أو ميلٍ عاطفيّ، على حساب الأمانة العلميَّة والتاريخية المُلقاة على عاتق الباحث الأمين.

المبحث الأوَّل

هويَّة العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في المنظومة الاستشراقيَّة

ربَّما يقول البعض إنَّ المعلومات المتوفِّرة عن حياة العلَّامة الحِلِّيّ ابن المطهَّر رحمه الله، وسيرته الشخصيَّة عند مؤرِّخي المستشرقين، قليلة جدًّا، لا تتناسب مع ما قامَ به من الأدوار العلميَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة، إلَّا أنَّنا، ومن خلال مراجعة بسيطة لما كتبهُ المورِّخون المسلمون من أبناء الجمهور عن هذه الشخصيَّة العظيمة، وتجاهلهم عن سيرته مقارنةً بما أسهبوا في كتاباتهم شخصيَّاتٍ إسلاميَّة لم يكن لها ذلك الدور الفعَّال في التاريخ الإسلاميّ، عند ذاك ترتفع الغرابة في تجاهل المؤرِّخين من المستشرقين عن حياة هذه الشخصيَّة، إلَّا أنَّ هذا التجاهل لم يقف من إسهام بعض المستشرقين الملحوظ في الكتابة عن علماء الإماميَّة، صحيح أنَّها لا يمكن موازنتها عددًا بالدراسات الإسلاميَّة الأخرى، ولكنَّها دراسات قيِّمة لها أبعادها الفكريَّة، ومن خلال ماسنعرضهُ من سيرة العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره الشخصيَّة، سيتَّضح للقارىء الكريم ما أفرزته المنظومة الاستشراقيَّة من الدراسة عن حياته رضوان الله عليه.

الاسم والنسب

اتَّفقَ المستشرقون على تسميته وتسمية أبيه رضوان الله عليهم، وذِكرِ نسبهِ الشريف الذي هو من صميم الأسرة العربيَّة المُنتمية إلى بني أسد المعروفة، إذ صرَّح المستشرق

(دوايت رونلدسن Dwight Ronaldsen)[1] في كتابه: عقيدة الشيعة[2]، مُعتمدًا على ما أوردهُ المؤرِّخون، بقوله: «هو حسن بن يوسف بن عليّ المطهَّر الحِلِّيّ... وأُمه أخت نجم الدين»[3].

اللقب

لم يتَّفق لأحد من العلماء قبل الشيخ جمال الدين الحسن الحِلِّيّ أن لُقِّبَ بـ (العلَّامة)، فهو أوَّل مَن أحرزَ هذا اللقب، وقد انتزعهُ من إعجاب العلماء بمعارفه، فقد تألَّقَ ذِكره قدس سره في الآفاق، وسطعَ نجمه في سماء العلم، وسمت مكانته بين العلماء، وبذا فقد عُرفَ عادةً بهذا اللقب، كما ذكرت البروفسوره (زابينه اشميدتكه Sabine Schmidtke)[4]، نتيجةً

(١) هو دوايت نيوتن رونالدسن، ولد في مدينة موسكينغوم كونتري سنة ١٨٨٤م، ودرس في مسقط رأسه، وحصل على شهادة البكالوريوس سنة ١٩٠٧م من كليَّة واشنطن وجيفرسون، واختير من قبل الكنيسة ليكون مبشِّرًا للمسيحيَّة، فوفد إلى البنجاب، وهناك درس في معهد فورمان كريستيان، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى بلاده ليواصل دراساته اللاهوتيَّة في مدينة بيتسبورغ بولاية بنسلفانيا، حيث نال شهادة الماجستير في اللاهوت سنة ١٩٢٧م، وخلال هذه الفترة اختير من قبل الكنيسة كمبشِّر إلى إيران، واستقرَّ في مشهد حتَّى سنة ١٩٤٠م، وخلال وجوده في إيران اتَّجه إلى العراق لدراسة أوضاع الشيعة، توفِّي في مدينة لكيلاند سنة ١٩٧٦م.
ينظر: مراد، يحيى (معاصر)، معجم أسماء المستشرقين، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٤٢.

(٢) دونلدسن، دوايت (ت ١٣٩٥هـ)، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م. (ط مؤسَّسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠م)، ص٢٩٥.

(٣) عقيدة الشيعة، ص٢٩٥.

(٤) مستشرقة ألمانيَّة، أستاذة الدراسات الإسلاميَّة في جامعة فريه في برلين بمركز الدراسات الإسلاميَّة، لها عطاء علميّ كثير، إن كان كتبًا أو بحوثًا ودراسات، وحضورًا في المؤتمرات، فضلًا عن ذلك، فإنَّها كتبت في اللغات العربيَّة والفارسيَّة والإنجليزيَّة والألمانيَّة، اهتمَّت بشكلٍ رئيس في أدب المعتزلة والعلاقة مع الشيعة والأشعريَّة، من أعمالها: التشيُّع المهمل، وفقه الاثني=

لإسهاماته الرئيسة في العلوم، بقولها:

«يُعرف عادةً بلقبه العلَّامة... وواقعًا فقد تمَّ الاعتراف به، منذ مدَّة طويلة بالإسهامات الرئيسة لهذا العلَّامة، تلك التي أسهمت في تطوُّر الفقه الشيعي»[1].

كما اعترف الفرنسيّ (لويس ماسينيون Louis Massinon)[2] بامتلاك ابن المطهَّر هذا اللقب[3].

أمَّا (الحِلِّيّ) فنسبةً إلى مدينة الحِلَّة في العراق، التي كانت مركز الشيعة، كما يذكر المستشرق روندلسن، بقوله:

=عشريّ في سوريا، وفقه معتزلة البصرة، والفقه والفلسفة والتصوُّف في الإسلام الشيعيّ.

ينظر: نخبة من المستشرقين، إعادة قراءة التشيع في العراق: حفريَّات استشراقيَّة، تعريب وتقديم وتعليق: د. عبد الجبار ناجي (ط١، بيروت، ٢٠١٥م)، ص٢٨٩-٢٩٠.

(١) اشميدتكه، زابينه، من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ (العلَّامة الحِلِّيّ)، ضمن كتاب إعادة قراءة التشيُّع: حفريَّات استشراقيَّة، ص٢٩٥.

(٢) مستشرق فرنسّي، ولد سنة ١٨٨٣م، من أعضاء المجمَعَين العربيَّين في دمشق والقاهرة، تعلَّم العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة، وعني بالآثار القديمة، وأدَّت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧-١٩٠٨م) إلى اكتشاف (قصر الأخيضر)، ودرس (تاريخ الاصطلاحات الفلسفيَّة) بالعربيَّة في الجامعة المصريَّة القديمة سنة ١٩١٣م، استهواه التصوُّف الإسلاميّ فكتب عن (مصطلحات الصوفيَّة)، و(أخبار الحلَّاج)، ونشر (ديوان الحلَّاج) مع ترجمته إلى الفرنسيَّة، و(الطواسين) للحلَّاج، وتشبَّع بآرائه. وكتب عن (ابن سبعين) الصوفيّ الأندلسيّ، وعن (سلمان الفارسيّ)، تولَّى رئاسة عدَّة مجلَّات فرنسيَّة، توفِّي سنة ١٩٦٢م.

ينظر: بدر، عليّ، ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٣١-٩٩؛ الزركليّ، خير الدين (ت١٤١٠هـ)، الأعلام، (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج٥، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: ماسينيون، لويس (ت ١٣٨١هـ)، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، (ط دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، م٨، ص٥٨.

«لُقِّب بـ(العلَّامة الحِلِّيّ) نسبةً إلى مدينة الحِلَّة، وكانت الحِلَّة مركز الشيعة زمنًا طويلًا، عندما كانت بغداد تحت سلطان الأمراء السنَّة»[1].

وكان العلَّامة أوَّل من أُطلق عليه أيضًا لقب: (آية الله)؛ وأوردهُ (بروكلمان Brockleman)[2] في تاريخه[3]؛ وذلك لفضله وعلمه الكثير.

مؤلَّفاته

ذكر المستشرق دونالدسن بأنَّ العلامة كانت كثرة تآليفه إعجوبة لكافَّة مَن عرفهُ[4]، وعدَّ أهمَّ تصانيفه:

١. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين.

٢. منهاج الصلاح في اختصار المصباح.

٣. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ويتألَّف من عشرة فصول، وقد أُضيف إليها فصل آخر، وهو الباب الحادي عشر من أصول الدين، تُرجم للإنكليزيَّة، وطبعته الجمعيَّة الآسيويَّة الملكيَّة مؤخَّرًا[5].

(١) عقيدة الشيعة، ص٢٩٥.

(٢) مستشرق ألماني، ولد في سنة ١٨٦٨م، حصل على الدكتوراه الأولى سنة ١٨٩٠م، انتُخب بروكلمان في مجاميع: برلين وليبزيج وبودابست وبون ودمشق، وغيرها، توفِّي سنة ١٩٥٦م عن عمر يناهز ٨٧ سنة، من مؤلَّفاته: العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وديوان لبيد مترجم، وأهل الآثار في مختصر السير والأخبار، وغيرهما. ينظر: بدوي، عبد الرحمن(ت ١٤٢٢هـ)، موسوعة المستشرقين، (ط الدار العلميَّة للفلسفة، د.ت)، ص٩٨.

(٣) بروكلمان، كارل (ت١٣٧٥هـ)، تاريخ الادب العربّي، ترجمة: د. غريب محمَّد غريب ود. حسن محمود اسماعيل وعبد الحِلِّيم محمود أحمد، (ط مصر، ١٩٩٥م)، ق٧، ص٢٦.

(٤) عقيدة الشيعة، ص٢٩٥.

(5) Oriental Translation Funl, N.S. Vol XXIX Rev. William M. Milier.

٤. منهاج اليقين في أصول الدين.

٥. تذكرة الفقهاء. وهو ثلاثة مجلَّدات عن الفقه الشيعيّ[١].

وعـدَّت البروفسـورة زابينة إحدى وخمسـين عمـلًا للعلَّامة الحِـلِّيّ، مع بعض الإشارات، أوردتها حول نوعيَّة تلك الأعمال، وهذه هي:

١. الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة: وهي رسـالة موجـزة أورد فيها المصنِّف بعض المباحث الكلاميَّة.

٢. إثبات الرجعة: توجد منه نسخة في مكتبة مدرسة فاضل بالمشهد الرضويّ.

٣. آداب البحث: توجد منه نسخة في خزانة المولى محمَّد عليّ الخوانسار في النجف.

٤. أربعون مسـألة في أصول الدين: إنَّ نسـخة منها موجودة في مكتبة راجه محمَّد مهدي في فيض آباد بالهند.

٥. استقصاء النظر في البحث عن القضاء والقدر: طُبعت هذه الرسالة مرَّتين.

٦. الأسرار الخفيَّـة في العلـوم العقليَّـة: تنـاول المصنِّـف ثلاثة فنون فيـه المنطق والطبيعيَّات والإلهيَّات، والكتاب مطبوع حقَّقه مركز الأبحاث والدراسـات الإسلاميَّة في قم.

٧. الإشارات إلى معنى الإشارات: للشيخ ابن سينا، وإنَّه عنده بخطِّه.

٨. الألفـين الفارق بين الصدق والمـين: الكتاب طبع أكثر من مـرَّة تحت عنوان: الألفين في إمامة أمير المؤمنين.

٩. أنوار الملكوت في شرح الياقوت: والكتاب مطبوع بتحقيق محمَّد النجميّ.

١٠. إيضاح التلبيس من كلام الرئيس (ابن سينا).

(١) عقيدة الشيعة، ص٢٩٥-٢٩٦.

١١. إيضاح مخالفة السنَّة للكتاب والسنَّة: توجد نسخة منه بخطِّ المؤلِّف في مكتبة الشورى الإسلاميّ في إيران.

١٢. إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد: توجد نسخة منه في مكتبة جامعة طهران.

١٣. إيضاح المعضلات من شرح الإشارات.

١٤. الباب الحادي عشر: تناول العلَّامة في هذه الرسالة الموجزة عقائد الإماميَّة الاثني عشريَّة.

١٥. بسط الإشارات إلى معاني الإشارات: ذكره العلَّامة في الإجازة، وقال: إنَّه مجلَّد.

١٦. تجريد الأبحاث: في معرفة العلوم الثلاث المنطق والطبيعيّ والإلهيّ.

١٧. التعليم التام في الحكمة والكلام: ذكر ذلك في الروضات، وفي الإجازة ذكره باسم التعليم الثاني.

١٨. تسليك النفس إلى حظيرة القدس: تناول في العلَّامة ظرائف والتفاتات في علم الكلام.

١٩. التناسب بين الأشعريَّة وفرق السوفسطائيَّة: ذكره المصنِّف في كتاب الخلاصة.

٢٠. الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد: مطبوع وعليه تعليق من الحكيم الميرزا التنكابنيّ.

٢١. حلُّ المشكلات من كتاب التلويحات: للفيلسوف الشيخ شهاب الدين السهروورديّ المقتول في حلب سنة ٥٨٧هـ، ذكره في الخلاصة.

٢٢. الخلاصة في أصول الدين: ذكرها في الذريعة وقال: نسخة منه كانت في مكتبة الخوانساريّ.

٢٣. خلق الأعمال: رسالة كلاميَّة ذكرها الشيخ الحرّ العامليّ في أمل الآمل

٢٤. الدرُّ المكنون في شرح علم القانون: في المنطق، وفي نسخة الخلاصة المطبوعة وأعيان الشيعة: الدرُّ المكنون في علم القانون.

٢٥. الرسالة السعديَّة: كتبها العلَّامة في الزمان المنحصر بين ربيع الثاني سنة ٧٠٩هـ، وبين العاشر من شوَّال من سنة ٧١١هـ.

٢٦. رسالة في بطلان الخبر: نسبها له الحرُّ العامليّ في أمل الآمل.

٢٧. رسالة في تحقيق معنى الإيمان: جاء في مقدِّمة كتاب نهج الحقِّ أنَّ هذه الرسالة ذكرها بعضهم للعلَّامة.

٢٨. شرح حكمة الإشراق: لشهاب الدين السهروردي المقتول في حلب.

٢٩. القواعد الجليَّة في شرح الرسالة الشمسيَّة: نسخة منه موجودة بخطِّه في المكتبة الرضويَّة.

٣٠. القواعد والمقاصد في المنطق والطبيعيّ والإلهيّ: ذكره في الخلاصة والاجازة، وقال في الإجازة: إنَّه مجلَّد صغير.

٣١. كاشف الاستار في شرح كشف الأسرار: لأُستاذه دبيران، ذكره في الخلاصة.

٣٢. كشف الخفاء من كتاب الشفاء: للشيخ ابن سينا، وأنَّه في مجلَّدين كما في إجازته للمهنَّا بن سنان.

٣٣. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: أصل الكتاب (قواعد العقائد)، وقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٥ هجريَّة.

٣٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: أصل الكتاب (تجريد الاعتقاد).

٣٥. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: ذكره المصنِّف في الخلاصة.

٣٦. المحاكمات بين شراح الاشارات: في ثلاثة مجلَّدات.

٣٧. مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق: في المنطق والطبيعيّ والإلهيّ.

٣٨. معارج الفهم في شرح النظم.

٣٩. المقاومات الحكميَّة.

٤٠. مقصد الواصلين في أصول الدين.

٤١. مناهج اليقين في أصول الدين.

٤٢. منتهى الوصول إلى علمَي الكلام والأصول: وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمَين في علم الكلام والأصول.

٤٣. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: اهتمَّ هذا الكتاب بذكر مسألة الإمامة.

٤٤. منهاج الهداية ومعراج الدراية.

٤٥. نظم البراهين: مجلَّد وجيز، وهو مرتَّب على سبعة أبواب.

٤٦. نهاية المرام في علم الكلام: وهو أوسع كتابٍ كلاميّ ألَّفه العلَّامة.

٤٧. نهج الحقِّ وكشف الصدق: تناول المؤلِّف فيه النقاش في بعض المعتقدات.

٤٨. نهج العرفان في علم الميزان: في المنطق، ذكره في الخلاصة.

٤٩. نهج المسترشدين في أصول الدين: تناول فيه المصنِّف الأمور العامَّة، وبعض المسائل الفلسفيَّة.

٥٠. نور المشرق في علم المنطق.

٥١. واجب الاعتقاد على جميع العباد: ذكر العلَّامة في هذه الرسالة العقائد الدينيَّة اللازم معرفتها على الإنسان[١].

مكانته وأقوال المستشرقين فيه

أدلى رجال الفكر والعلم من المستشرقين على تعظيم شخصية العلاّمة الحِلِّيّ رحمه الله، والاعتراف له بالفضل والتفوُّق العلميّ من بين أقران عصره، وما قام به في تكوين الثقافة الإسلاميَّة، وتنمية الفكر الإنسانيّ، وقد اتَّفقت كلماتهم على أنَّه أسمى شخصيَّة علميَّة عرفها العالم العربيّ والإسلاميّ، وأحد أكثر العلماء المسلمين علمًا ومعرفةً في عصره، ولعب دورًا بارزًا في تاريخ الإسلام من كلتا وجهَتَي النظر الدينيَّة والفكريَّة، كما شكلَّ مرجعًا في الفقة، ونعرض هنا إلى بعض ما أثرَ عنهم من كلماتٍ قيِّمة في الإشادة بفضل هذا الامام العظيم:

١. دوايت دونالدسن:

«من أشهر المجتهدين في العهد المغوليّ... وكانت كثرة تآليفه أعجوبة لكافَّة من عرفهُ»[٢].

٢. البروفسور مايكل مزواي Michel Mazzaoui[٣]:

«كان الحِلِّيّ من أكثر العلماء تأثيرًا في الديانة الشيعيَّة في عصره، والذي كان له تأثير

(١) من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ، ص٣١٨-٣٢١.

(٢) عقيدة الشيعة، ص٢٩٥.

(٣) مستشرق أمريكي، أستاذ مشارك في قسم التاريخ في جامعة أوتارا في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، من أعماله: إيران وجيرانها في العصر الصفويّ، وأصول التشيُّع ونفوذ الفكر الصفويّ، ومختصر تاريخ إيران.
ينظر: إعادة قراءة التشيُّع في العراق، ص١٣٩-١٤٠.

كبير على بلاط السلطان المغوليّ اوليغنوخدا»[1].

٣. البروفسورة زابينة اشميدتكه:

«شخصية علميَّة معروفة بين أوساط العلماء الغربيِّين المُتخصِّصين في الإسلام، وواقعًا فإنَّه تمَّ الاعتراف، منذ مدَّة طويلة، بالإسهامات الرئيسة لهذا العلَّامة، تلك التي أسهمت في تطور الفقه الشيعيّ»[2].

٤. مايكل كوك Michael Cook[3]:

عدَّ المستشرق (كوك) العلَّامة الحِلِّيّ من علماء الإماميَّة الكلاسيكيُّون، حينما تناول الأفكار العلميَّة الإماميَّة المُمتدَّة طيلة القرون الرابع إلى الثامن للهجرة[4].

٥. لندا والبرج Linda[5]:

أشارت الباحثة الامريكية إلى أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ برز مع عدد من فقهاء الأفذاذ في

(١) مزواي، مايكل، التشيع في عهد المغول، ضمن إعادة قراءة التشيُّع في العراق، ص١٤٥.

(٢) من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ، ص٢٩٥.

(٣) مستشرق بريطانيّ معاصر، ولد سنة ١٩٤٠م، مؤرِّخ وباحث في التاريخ الإسلاميّ، درس التاريخ والدراسات الشرقيَّة في كليَّة الملك كامبردج عام ١٩٥٩م، أستاذ دراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون، تمَّ اختياره ليكون عضوًا في الجمعيَّة الفلسفيَّة الأمريكيَّة، واختير ليكون عضوًا في الأكاديميَّة الأمريكيَّة للفنون والعلوم، في عام ٢٠٠٨م، فاز بجائزة الفارابيّ في الدراسات الإنسانيَّة والإسلاميَّة، في عام ٢٠١٣ حصل على الدكتوراه الفخريَّة في جامعة ليدن، من أعماله: كتاب الهاجريَّة، ومحمَّد الماضي، والعقيدة مسلم الأولى، وتاريخ موجز عن الجنس البشريّ، ودراسات في أصول الثقافة الإسلاميَّة، والأديان الديمة والسياسة الدية.
ينظر: موقع
http://en.wikipedia.org/wiki/Michael_Cook_%28historian%29.

(٤) كوك، مايكل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترجمة: د. رضوان السيِّد ود. عبد الرحمن السالمي ود. عمار الجلاصيّ، (ط٢، بيروت، ٢٠١٣م)، ص٣٩٠.

(٥) باحثة وأستاذه زائرة في جامعة لاهور للعلوم الإداريَّة في الباكستان، لها مجموعة أعمال منها:=

القرنَـين الثالث عشر والرابـع عشر الميلاديّ إلى تحـوُّل مركز التعليم الفقهـيّ إلى الحِلَّة وجنوب العراق[1].

٦. ريتشارد هرير دكمجيان:

«ابن المطهَّر الحِلِّيّ قدَّم أوثق عرض للعقيدة والشريعة الاثنا عشريَّة»[2].

=من دون نسيان الإمام: الإسلام الشيعيّ في مجتمع محلِّي أمريكيّ.

(١) والبرج، لندا، الأعلم عند الشـيعة: دراسـة في مؤسَّسـة مرجعيَّة التقليد، ترجمة: د. هناء خليف غني، (ط١، دار ومكتبة عدنان، بغداد ٢٠١٣م)، ص٣١٤.

(٢) دكمجيان، ريتشـارد، الأصوليَّة في العالم العربّي، ترجمة: عبد الوارث سـعيد، (ط٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠م-١٩٨٩م)، ص٣٨-٣٩.

المبحث الثاني

الرائد في تطوُّر الفقه الشيعيّ الإماميّ

إنَّ أثمن الفكر الإسلاميّ، هي التي نبتت في أرض الفقه؛ لأنَّها كانت تحمل خصائص العقليَّة العربيَّة، وسمات الاتِّجاه الإسلاميّ، وما استطاع الفكر الإسلاميّ أن يثري الثقافة بإنتاجه إلَّا عندما وجدَ فقهاء فهموا هذا المنهج فهمًا سليما[1].

وكان للشيعة في العصر الأوَّل والثاني من الإسلام نشاطٌ مُستقلٌّ في هذا الفن، إذ يُنسب إليهم تأسيس علم الفقه، يقول بروكلمان: «... إنَّ أوَّل كتب الشيعة كان كتاب الأصل لسليم بن قيس الهلاليّ، الذي هرب من الحجَّاج»[2].

وقد سبقَ سليم بن قيس الهلاليّ في تصنيف علم الفقه عليّ بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا قال النجاشيّ في ذكر الطبقة الأولى من المُصنِّفين من الشيعة: عليّ بن أبي رافع. وهو تابعيّ من خيار الشيعة، وجمع كتابًا في فنون الفقه[3]، وكانوا يُعظِّمون هذا الكتاب، فهو أوَّل من صنّف فيه من الشيعة، وذكر الجلال السيوطيّ: إنَّ أوَّل من صنَّف، يعني من أهل السنَّة، في الفقه الإمام أبو حنيفة؛ لأنَّ تنصنيف عليّ بن أبي رافع

(١) علّي، سعيد، فلسفة التربية الإسلاميَّة: دراسات في فلسفة التربيَّة، (ط القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١م)، ص٨٩.

(٢) تاريخ الأدب العربّي، ج٣، ص٣٣٥.

(٣) النجاشّي، أحمد (ت٤٥٠هـ)، فهرست أسماء مصنِّفي الشيعة (رجال النجاشي)، (ط٥، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم، ١٤١٦م)، ص٦.

في ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام، قبل تولُّد أبو حنيفة بزمان طويل[1].

ولـمَّا نشطت الحركة الفكريَّة في عصر الإمام الصادق عليه السلام نشطت كذلك حركة الفقه، وكان للشيعة في القرن الثاني للهجرة نشاط كبير فيه كما يؤكد ذلك البروفسورة زابينه، بقولها:

«إنشغلَ الفقهاء الإماميُّون الأوائل في المناقشات والمجادلات الفقهيَّة بالفعل في القرن الثاني للهجرة، بمعنى في زمن الإمام السادس جعفر الصادق (المتوفَّى سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م)، وكان المُمثِّلون الرئيسيُّون في ذلك الجدل الفقهيّ محمَّد بن النعمان... وزرارة بن أعين، وهشام بن سالم الجواليقيّ، وهشام بن الحكم»[2].

وتطوَّر الفقه الإماميّ وأصول منصب الفقه الفقيه الأعلى في المذهب الشيعيّ الاثني عشري، كما تشير الباحثة لندا والبرج، إلى عهدٍ مبكِّرٍ، وتحديدًا إلى العهد البويهيّ حينما أسَّس الشيخ المفيد (المتوفَّى سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) المذهب الشيعيّ الاثني عشري في بغداد، والعلَّامة الحِلِّيّ في الحِلَّة[3].

وقد ساهم العلَّامة الحِلِّيّ رحمه الله بفكره الواسع وذهنه في تكامل وتطوُّر البحوث الاجتهاديَّة والأصوليَّة، وصنَّفَ في ذلك كُتبًا عدَّة، منها: الجامع للشرائع في الفقه، والمدخل في أصول الفقه، وأصبح رحمه الله، كما تقول المستشرقة زابينه، معروفًا كعالم ثقة في الفقه الثيولوجيّ الشيعيّ بشكلٍ خاصٍّ؛ بسبب ترجمة قانونه أو عقيدة في ما يعرف (الباب الحادي عشر) معًا مع شرح الفاضل المقداد السيوريّ رحمه الله Suyuri (المتوفَّى سنة

(١) الصدر، حسن (ت١٣٩٠هـ)، الشيعة وفنون الإسلام، (مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٣١هـ)، ص٧٩-٨٠.

(٢) من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ، ص٢٩٧.

(٣) الأعلم عند الشيعة، ص٣١٢-٣١٣. بتصرُّف.

٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، وترجمهُ وعلَّق عليه (ميللر W.M. Miller) إلى اللغة الإنكليزيَّة، والتي نشرت سنة ١٩٢٨م، وأن رسائله وبحوثه المختصره جدًّا عن الفقه خاصَّة قد درست وتُدرَّس من قِبل الشيعة وحتَّى الوقت الحاضر، كما أنَّها اتَّخذت نصوصًا منهجيَّة أساسيَّة في الفقه[١].

وسطعَ نجم العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في عالم المرجعيَّة الشيعيَّة بعد رحيل نجيب الدين (المتوفَّى سنة ٧٢٦هـ)، وكان طليعة المرحلة السادسة من مراحل الفقه توسَّع في البحوث الفقهيَّة، وطرح أساليب جديدة في النقد والتحليل، فكان رحمه الله كما تقول البروفسورة زابينه مُطَّلعًا تمامًا مع تطوُّر الفكر الإسلاميّ، ذلك الذي أثَّر في فقهه إلى درجة واسعة. فخلال عهد صباه التي قضاها في الحِلَّة قد تعرَّف على أدب الكلام الشيعيّ المبكِّر، وذلك من قِبل والده سديد الدين وأخويه جمال الدين بن طاووس (المتوفَّى سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، فأصبح مُطَّلعًا على نظريَّات أبي الحسن البصريّ، والمؤلَّفات الفقهيَّة التي ألَّفها فخر الدين الرازيّ وغيرها[٢].

ويُعدُّ ابن المطهَّر، كما يقول المستشرق مايكل مزواي، المسؤول، أكثر من أي عالم آخر أو أكثر من أي شخص آخر، في جعل قضية التشيُّع الإماميّ تُحقِّق نجاحًا خلال أزمنة المغول الإليخانيِّن الممتدَّة من (٦٤٨-٧٢٦هـ/ ١٢٥٠-١٣٢٥م)[٣]، إذ طلب السلطان غازان خان عالمًا من العراق من علماء الإماميَّة ليسأله عن مشكل من المشاكل الفقهيَّة وقع فيه، ووقع الاختيار حينها على العلَّامة، فناظر علماء العامَّة بحضور السلطان وتغلَّب عليهم، وأدَّى ذلك إلى تشيُّع السلطان، وعدد كبير من

(١) من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ، ص٢٩٦. بتصرُّف.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٩. بتصرُّف.
(٣) التشيُّع في عهد المغول، ص١٥٤-١٥٥.

الأمـراء والوزراء، وقادة الجيش، فبقي العلَّامـة الحِلِّيّ رحمه الله ملازمًا له، وبقي كتابه (قواعد الإسـلام) الكتـاب أو العمل الوحيد الـذي يوجد عند التشـيُّع الإمامـيّ، حينما وطَّد الشاه إسـماعيل الديانة الجديدة في إيران، كما يذكر المستشرق الإنكليزي (إدوارد براون Edward Browne)[1] في كتابه المسمَّى (تاريخ الادب في إيران)، بقوله:

«لـمَّا تولَّى الشاه إسـماعيل الصفويّ حكومة إيران، وأعلن المذهب الجعفريّ، وأمر بذكـر- حيَّ على خـير العمـل- في الأذان والإقامة بعـد اختفائه منذ زمـن طغرل بك السـلجوقيّ التركـيّ، ضاق الناس بمشـكلة عدم وجود قانون يرجعـون إليه على طبق المذهب الرسميّ الجديد، فأنقذ الموقف القاضي نصر الله الزيتونيّ بإخراج كتاب القواعد من مكتبته، وتقرَّر أنَّ يكون الكتاب هو الدستور للدولة والبلاد»[2].

جهوده في نضوج علم الكلام

مـن العلوم المسـتحدثة في الإسـلام (علم الـكلام) الذي عـادةً ما يُترجم باسـم «اللاهوت السكولاسـتي»[3]، فهو علمٌ إسـلاميّ خالص، فما كان لليونان علمٌ بالحكم عـلى فاعل الكبـيرة، ولا بصلـة ذات الله بصفاتـه، ولا بالنبوَّة، إنَّهـا في موضوعات قد انبثقت عن الظروف البيئية الإسـلاميَّة، وهي وليدة مشـكلات إسـلاميَّة خالصة. لقد

(١) إدوارد جرانفيـل بـراون، مسـتشرق إنكليـزيّ، ولـد سـنة ١٨٦٢م، ونال شـهرة واسـعة في الدراسـات الشرقيَّـة، وكان يجيد التحدُّث بالفارسـيَّة والعربيَّة، عُيِّنَ أسـتاذ في جامعة كيمبرج، ودرس علم الطبِّ، وسافر إلى اسطنبول وعيِّن أستاذًا فيها، توفِّي سنة ١٩٢٩م، من أعماله: الطب عند العرب، ولباب الألباب.

ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٧٩-٨١.

(٢) براون، إدوارد (ت ١٣٤٧هـ)، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: محمَّد علاء الدين منصور، (ط١، ٢٠٠٥م)، ج٣، ص٤٦٠-٤٦١.

(٣) تيرنر، كولين، الأسلام الأسس، ترجمة: نجوان نور الدين، (ط١، بيروت، ٢٠٠٩م)، ص٣٢٧.

أراد المسلمون أن يصوغوا معتقداتهم صياغة فكريَّة تمكِّنهم من مواجهة الأديان التي غزاها الإسلام، ومن ثمَّ فإنَّ نشأة علم الكلام تلتمس من موضوعات الخلاف بين الإسلام وما واجهه من أديان في البلدان المفتوحة[1].

وهذا ما ذهب اليه المستشرق المجريّ (جولد سيهر Gidzehir)[2] بولادة المذهب الجديد ذات العقول المستنيرة، قائلًا:

«مذهبًا جديدًا قُدِّر له أن يكون أداة في المحافظة على الإسلام وتقاليده الفكريَّة في عالم العقول المستنيرة، وهذا المذهب أو النظام هو عُرِف في تاريخ الفلسفة باسم علم الكلام، كما عُرِف رجاله باسم المتكلِّمون»[3].

وقد جاءت هذه النظرة لبعض الباحثين من نشوء علم الكلام بالظروف العقائديَّة التي واجهها المسلمون دفاعًا عن العقيدة الإسلاميَّة من بعض الانحرافات، وفي هذا يقول الغزالي:

«فأنشأ الله تعالى، طائفة المتكلِّمين، وحرَّك دواعيهم لنصرة السنَّة بكلام مرتَّب،

(١) صبحي، أحمد، في علم الكلام- المعتزلة، الاشاعرة، (ط مؤسَّسة الثقافة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، ١٩٧٨م)، ص١٠.

(٢) ولد سنة ١٨٥٠م، وتخرَّج من اللغات الساميَّة على كبار أساتذتها في بودابشت وبرلين، عيِّن أستاذًا محاضرًا في كليَّة العلوم بجامعة بودابشت سنة ١٨٧٣م، انتدبته الحكومة آنذاك للقيام برحلة إلى سوريا وتركيا وفلسطين ومصر، حيث تضلَّع من العربيَّة على شيوخ الأزهر، وانتُخب عضوًا في مجمع العلوم المجريّ سنة ١٨٩٣م، توفِّي سنة ١٩٢١م، من أعماله: آدب الجدل عند الشيعة بالألمانيَّة، والأساطير عند اليهود، والعقيدة والشريعة في الاسلام، وغيرهما.
ينظر: العقيقي، نجيب (ت١٤٠٢هـ)، المستشرقون، (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٣، ص٤٠-٤٢.

(٣) تسيهر، أجناس (ت ١٣٣٩هـ)، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: د. محمَّد يوسف موسى ود. عليّ حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد القادر، (ط٢، دار الكتاب العربيّ، مصر)، ص١٠٠.

يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنَّة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله»[1].

ولهذا يقول بعض الباحثين: «وما كان بوسع المسلمين أن يقوموا بذلك إلَّا بتأسيسهم لعلم الكلام وما يماثله من أبحاث أخرى، كلُّها كانت بقصد المحافظة على الدين الجديد وتقويمه، وتقديم آرائه وأفكاره بصورة واضحة، وبأدلة عقليَّة مقنعة»[2].

إنَّ موضوع علم الكلام، يتألَّف من قضايا وقع فيها الخلاف بين المسلمين، والتي أدَّت إلى تأسيس علم الكلام بأصوله وقوانينه المميَّزة، وأوَّل هذه القضايا مسألة الإرادة الإنسانيَّة، ثمَّ تلتها مسألة الصفات، وهكذا.

وهكذا أخذ الاهتمام بعلم الكلام عند أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ينمو نموًا مُطردًا بعد أن قرَّت شقاشق الخمس والعشرين سنة الأولى بعد وفاة النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، كما يقول المستشرق النمساوي (جوستاف)[3]:

«وإنَّ الكلام في حريَّة الإرادة كان شائعًا بين آل البيت، وأنَّهم أثبتوا للإنسان قدرةً»[4].

(١) الغزاليّ، أبو حامد (ت٥٠٥هـ)، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود، (ط حسَّان، القاهرة)، ص٩٩.

(٢) عون، فيصل، علم الكلام ومدارسه، (ط الحريَّة، عين شمس، ١٩٨٢م)، ص٣٧.

(٣) جوستاف فون جرونيباوم، مستشرق نمساويّ، ولد في فيينا سنة ١٩٠٩م، وتعلَّم في مدارسها وجامعاتها، في جامعة برلين، هاجر إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وصار أستاذا في جامعة نيويورك سنة ١٩٣٨م، ثمَّ جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٣م، وفي سنة ١٩٥٧م صار أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات الشرقيَّة في جامعة كاليفورنيا، واستمرَّ في هذا المنصب حتَّى وفاته سنة ١٩٧٢م، من أهمِّ أعماله: الحضارة الإسلاميَّة أو الإسلام في العصر الوسيط، ومدى الوا في الشعر العربيّ الأوَّل، والأدب العربيّ في القرن العاشر الميلاديّ، والأساس الجماليّ للأدب العربيّ، وغيرها. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين: ١٨٢.

(٤) جرونيباوم، جوستاف (ت١٣٩٢هـ)، الحضارة الإسلاميَّة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد،=

لذلك أرسى أئمَّة الشيعة وعلماؤهم أصول علم الكلام، ونضجت قوانينه في عصر الإمام محمَّد الباقر عليه السلام، وتخرَّج الكثير على يديه، أمثال: مؤمن الطاق الذي كان حاذقًا في صناعة الكلام، كما يقول ابن النديم[1]، وهشام بن الحكم الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذَّب المذهب، وسهَّلَ طريق الحجَّاج، وكان حاذقًا بصناعة الكلام[2]، والذي قال عنه المسعوديّ: «شيخ الإماميَّة في وقته، وكبير الصنعة في عصره»[3].

وهكذا يؤكِّد المستشرق (مادولنك Madelung)[4] تبنِّي الإمام الباقر عليه السلام لعلم الكلام ونضوجه في عصره، بقوله:

«انبثق أساس التشريع عند الشيعة وعلم كلامهم عن المنظور الذي تبنَّاه الباقر، وتُرك ليتطوَّر داخل أنصاره»[5].

وقد أثار المستشرق (دونلدسن) اهتمامه من ذلك التراث الذي وقفَ عليه الإمام

=(ط مكتبة مصر)، ص١٣٢.

(١) البغداديّ، ابن النديم (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق رضا تجدُّد، (ط الاستامة، القاهرة)، ص٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

(٣) المسعوديّ، أبي الحسن (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ)، ج٣، ص٣٧٢.

(٤) ولفرد فرديناند ماديلونغ، ولد في ألمانيا سنة ١٩٣٠م، درس في جامعة جورج تاون، وفي عام ١٩٥٢ ذهب إلى مصر، وبقي هناك لمدَّة عام، ثمَّ عادَ إلى ألمانيا وأتمَّ رسالة الدكتوراه في عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٥٨ تمَّ إرساله إلى العراق للعمل في سفارتها هناك، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلاميّ بجامعة شيكاغو، وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربيَّة بجامعة أوكسفورد. ينظر: موقع

https://ar.wikipedia.org/wiki.

(5) Madelunj, Der Imam Al–Qasm Ibrahim und die Glaubenslehire der Zaiditen, 1985, p. 44.

الباقر عليه السلام من هذا العلم؛ فقال في خلال كلامه عن الموضوعات التي عُنيَ بها الامام عليه السلام:

«كان يبحثُ في مواضيع كثيرة: كماهيَّة الروح؛ وصفات العلماء؛ وصفات الله»[1].

ومن هنا يبدو أنَّ علم الكلام كان صنعةً، له قوانينه وطرقه الخاصَّة منذ النصف الثاني من القرن الأوَّل للهجرة، وأنَّ هذه القوانين أوجدها الأئمَّة من آل البيت عليهم السلام وشيعتهم[2]، وبذلك يظهر بطلان ما ذهب اليه المستشرق (آدم متز Adam Metz)[3] في قوله:

«ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلاميّ خاص بهم»[4].

مدرسة الحِلَّة الكلاميَّة والعلَّامة الحِلِّيّ

تُعدُّ مدرسة الحِلَّة الكلاميَّة المدرسة العلميَّة الثالثة في العراق بعد مدرسَتَي بغداد والنجف الأشرف، وخاصَّةً في القرن السابع الهجريّ الذي أفلَ فيه نجم العلَّامة الحِلِّيّ، فقد استطاع تطوير المناهج والدروس الكلاميَّة، واستقطب عددًا كبيرًا من طلبة العلوم،

(١) عقيدة الشيعة، ص١٢٥.

(٢) ينظر: القزوينيّ، علاء الدين، الفكر التربويّ عند الشيعة الإماميَّة، (ط٢، الفقية، الكويت، ١٤٠٧هـ)، ص٣٧٦.

(٣) أدم متز، مستشرق ألمانيّ استقرَّ في بازل بسويسرا، ولد في فرايبورج جنوب ألمانيا سنة ١٧٦٩م، كان أستاذًا للغات الشرقيَّة في جامة بال في ألمانيا، نشر في سنة ١٩٠٢م (حكاية أبي القاسم) لأبي المطهَّر الأزديّ، وبعد وفاته سنة ١٩١٧م، توفِّيَ وهو في الثامنة والأربعين من عمره، ظهر كتابه الرئيس بعنوان: نهضة الإسلام.
ينظر: الأعلام، ج١، ص٢٨٢؛ موسوعة المستشرقين، ص٥٤٤.

(٤) متز، آدم (ت١٣٣٥)، الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرابع الهجريّ، ترجمة: محمَّد عبد الهادي أبو ريدة، (ط٣، القاهرة، ١٩٥٧م)، ج١، ص١٠٦.

فاصبح بذلك وحيد عصره في الكلاميَّات، كما يصفهُ بذلك المستشرق (مونتغمري واط Montjomery Watts)[1]، قائلاً:

«في الحقبة المُمتدَّة إلى ١٥٠٠م، كان العالم الإماميّ الكلاميّ الوحيد تلميذ نصير الدين الطوسيّ، هو المدعو ابن المطهَّر الحِلِّيّ، الذي يُعرف بالعلَّامة الحِلِّيّ»[2].

وبالرغم من الأثر السلبيّ الكبير الذي خلَّفهُ الغزو المغوليّ، إلَّا أنَّ ذلك لم يمنع من أن يكون عصر الحِلِّيّ رحمه الله متميِّزًا بالنضوج الفكريّ، وبكثرة العلماء، وتشعُّب الأراء، فبرز في هذا العصر كأعظم شخصيَّة كلاميَّة من خلال الخوض في المناظرات مع أقرانه من علماء المذاهب آنذاك أمثال ابن تيمية وغيرهم، واستطاع بجدارته العلميَّة أن يفرض وجوده من خلال مساهماته، خاصَّةً بشأن موضوع الإمامة، كما يظهر ذلك في كتابه (منهاج الكرامة في الإمامة)، ذلك الكتاب الذي حاول ابن تيمية أن يدحضهُ في كتابه (منهاج السنَّة)، والتي درست بعناية فائقة من قبل المستشرق (هنري لاؤوست Henri Laoust)[3] من خلال عدد من البحوث

(١) وليم مونتغمري (مونتجمري) وات، مستشرق بريطانيّ، ولد في سنة ١٩٠٩م، والده القسيس أندرو وات، درس في كليَّة لارخ، وفي كلية جورج واتسون بإدنبره، وبجامعة اكسفورد، عمل رئيسًا لقسم اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة بجامعة ادنبرة سنة ١٩٤٧م، توفِّي سنة ٢٠٠٦م، صدر له عدد من المؤلَّفات، منها: محمَّد في مكَّة، ومحمَّد في المدينة، ومحمَّد نبيّ ورجل دولة، والقضاء والقدر في القرون الأولى للهجرة، والفكر السياسيّ الإسلاميّ، والأصول الإسلاميَّة والتحديث، وحقيقة الدين في عصرنا، وأثر الإسلام على أوربا في العصر الوسيط، وغيرهما.
ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص٥٥٤.

(٢) واط، مونتغمري (ت١٤٢٦هـ)، الفلسفة وعلم الكلام، ترجمة: كاظم سعد الدين، (ط الفرات، بغداد، ٢٠١٠م)، ص٢٥٩.

(٣) مستشرق فرنسّي، ولد سنة ١٩٠٥م، عضو في أكاديمية النقوش والرسائل الجميلة، توفِّي سنة ١٩٨٣م، من آثاره: بحث في آراء ابن تيمية الاجتماعيَّة والسياسيَّة، والانشقاق في الإسلام،=

التي كتب فيها[1].

وترى المستشرقة زابينه أنَّ مؤلَّفات العلَّامة الحِلِّيّ تلاءم جدًّا في دراسة الآراء الفلسفيَّة للمعتزلة في هذه الحقبة، وتعتقد أن كتابه (نهاية المرام في علم الكلام) من بين مؤلَّفاته الكلاميَّة الأكثر شمولًا، والذي بقي حيًّا في عدد قليل من المخطوطات[2].

=والسياسة عند الغزاليّ.

ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥١٠-٥١١.

(١) ينظر: من أعلام الفكر الشيعيّ الإماميّ، ص٢٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٨.

نتائج البحث

الحمد لله الذي وفَّقني لإتمام هذا السِّفر الخالد مع العلَّامة ابن المطهَّر الحِلِّيّ قدس سره ورحلتي التي أبحرتُ بها هذه المرَّة مع المستشرقين، لمعرفة ما رسمته أناملهم عن هذه الشخصيَّة العظيمة من علماء آل محمَّد عليهم السلام.

فهي دراسةٌ جديدة تختلف عمَّا صدر عنه رضوان الله عليه في خزانة المكتبة الإسلاميَّة على العموم، والشيعة على الخصوص؛ إذ حاولتُ فيها أن أُقدِّم للقارىء الكريم بعض معالم تلك الرسوم التي ظهرت من خلال سرد آراء مواقف الغرب الصريحة، والوقوف على طائفة من المخزون الاستقرائيّ لتراثهم البعيد عن الأنظار، بعد أن عكفتُ على مراجعة جملة من المراجع والمصادر الأجنبيَّة التي عرضتُ بعضها للترجمة، وتدوين بعض أقوالهم عن شخصيَّة العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره.

وممَّا تقدَّم من معلوماتٍ واردة في هذه الدراسة، وما توصَّل إليه البحث من استنتاجات، يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

أوّلًا: عكفت بحوث المنظومة الاستشراقيَّة على دراسة وتحليل عدد من الشخصيَّات المهمَّة في الإسلام، والتي لعبت دورًا مهمًّا في تاريخ المسلمين.

ثانيًا: إنَّ العلَّامة الحِلِّيّ رحمه الله من الشخصيَّة الإسلاميَّة البارزة، ومن طبقة العلماء المعروفين عند المسلمين، والتي اهتمَّت بها الدراسات الاستشراقيَّة.

ثالثًا: لُقِّب بألقاب عديدة كان أبرزها العلَّامة؛ لسعة علمه ومعارفه، وانتشار ذلك في الآفاق الإسلاميَّة.

رابعًا: أدركَ المستشرقون أنَّ حياة هذا الرجل كانت حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة، إذ فتح على يديه في عصره معاهد العلم، وعقدُ مجالس البحث والدراسة في جميع المجالات الإنسانيَّة كالفقهيَّة والحديثيَّة والكلاميَّة وغيرها.

خامسًا: ساهمَ العلَّامة الحِلِّيّ رحمه الله في إثراء المكتبة الفقهيَّة الإسلاميَّة عامَّةً والشيعة خاصَّة؛ لذلك سلَّطَ المستشرقين الضوء في كتاباتهم على نتاجاته فهي ثمرة من ثمرات الفكر الإسلاميَّة.

سادسًا: أشادَ المستشرقون بالدَّور الذي قامَ به العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في علم الكلام الرائد في هذا العلم في عصره بلا منازع، ومن أبرز القادة الطليعيِّين الذين تصدّوا لكثير من الأفكار الدخيلة على الإسلام، والتي حاولت إضعاف المعالم الحقيقيَّة للرسالة النبويَّة التي جاء بها الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله من خلال مناظراته حتَّى مع الطوائف الأخرى.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

مصادر البحث

* القرآن الكريم.

أوّلًا: المصادر العربيَّة المطبوعة

١. البغدادي، ابن النديم، محمَّد بن أبي يعقوب (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م).

٢. الفهرست، تحقيق رضا تجدُّد، (ط الاستامة، القاهرة).

٣. الغزاليّ، أبو حامد، أبو حامد محمَّد بن محمَّد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م).

٤. المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحِلِّيم محمود، (ط حسان، القاهرة).

٥. المسعوديّ، أبي الحسن أبي الحسن عليّ بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ).

٦. النجاشيّ، أحمد، أحمد بن عليّ الأسديّ، (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). فهرست أسماء مصنِّفي الشيعة (رجال النجاشيّ)، (ط٥، المؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم، ١٤١٦م).

ثانيًا: المراجع العربية المطبوعة

٧. بدر، عليّ. ماسينيون في بغداد، (منشورات الجمل، ألمانيا، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

٨. بدوي، عبد الرحمن (ت ١٤٢٢ه). موسوعة المستشرقين، (ط الدار العلميَّة للفلسفة، د.ت).

٩. الـزركليّ، خـير الديـن (ت١٤١٠هـ). الأعـلام، (ط٥ دار العلـم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١٠. صبحـي، أحمـد. في علم الـكلام- المعتزلة. الأشـاعرة، (ط المؤسَّسـة الثقافة الجامعية، الإسكندريَّة، ١٩٧٨م).

١١. الصدر، حسـن (ت١٣٩٠هـ). الشـيعة وفنون الإسـلام، (مطبعـة الغرفان، صيدا، لبنان، ١٣٣١هـ).

١٢. العقيقـي، نجيب(ت١٤٠٢هـ). المسـتشرقون، (ط٤، دار المعـارف، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

١٣. علي، سـعيد اسماعيل. فلسـفة التربية الإسلاميَّة: دراسـات في فلسفة التربية، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١م).

١٤. عـون، فيصـل. علـم الـكلام ومدارسـه، (ط الحريـة، عـين شـمس، ١٩٨٢م).

١٥. القزوينـي، علاء الديـن. الفكر التربويّ عند الشـيعة الإماميَّة، (ط٢، الفقية، الكويت، ١٤٠٧هـ).

١٦. مراد، يحيى. معجم أسـماء المسـتشرقين، (ط١، دار الكتـب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٤م).

ثالثًا: الكتب المترجمة

١٧. بروكلـمان، كـارل (ت١٣٧٥هـ). تاريـخ الأدب العربيّ، ترجمـة: د. غريب محمَّد غريب ود. حسـن محمود إسـماعيل وعبد الحِلِّيم محمود أحمد، (ط مصر، ١٩٩٥م).

١٨. بـراون، إدوارد (ت١٣٤٧هـ). تاريـخ الأدب في إيران، ترجمـة: محمَّد علاء الدين منصور، (ط١، ٢٠٠٥م).

١٩. تسيهر، أجناس (ت١٣٣٩هـ). العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: د. محمَّد يوسف موسى ود. عليّ حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد القادر، (ط٢، دار الكتاب العربيّ، مصر).

٢٠. تيرنر، كولين. الإسـلام الأسـس، ترجمة: نجوان نور الديـن، (ط١، بيروت، ٢٠٠٩م).

٢١. جرونيباوم، جوستاف (ت١٣٩٢هـ). الحضارة الإسلاميَّة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، (ط مكتبة مصر).

٢٢. دونلدسـن، دوايت (ت ١٣٩٥هـ). عقيدة الشيعة، ترجمة: ع.م. (ط المؤسَّسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠م).

٢٣. كـوك، مايـكل. الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، ترجمـة: د. رضوان السـيِّد، ود. عبـد الرحمـن السـالمي ود. عـمار الجـلاصيّ، (ط٢، بـيروت، ٢٠١٣م).

٢٤. ماسـينيون، لويس (ت١٣٨١هـ). دائرة المعارف الإسـلاميَّة، ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، (ط دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

٢٥. متز، آدم (ت١٣٣٥). الحضارة الإسـلاميَّة في القـرن الرابع الهجريّ، ترجمة: محمَّد عبد الهادي أبو ريدة، (ط٣، القاهرة، ١٩٥٧م).

٢٦. واط، مونتغمري (ت١٤٢٦هـ). الفلسـفة وعلم الكلام، ترجمة: كاظم سـعد الدين، (ط الفرات، بغداد، ٢٠١٠م).

٢٧. والبرج، لندا. الأعلم عند الشيعة: دراسة في المؤسَّسة مرجعيَّة التقليد، ترجمة: د. هناء خليف غني، (ط١، دار ومكتبة دنان، بغداد، ٢٠١٣م).

٢٨. نخبة من المستشرقين. إعادة قراءة التشيع في العراق: حفريَّات استشراقيَّة، تعريب وتقديم وتعليق: د. عبد الجبَّار ناجي، (ط١، بيروت، ٢٠١٥م).

رابعًا: الكتب الأجنبية

1. Madelunj, Der Imam Al–Qasm Ibrahim und die Glaubenslehire der Zaiditen, 1985.

خامسًا: مواقع الانترنيت

1. http://en.wikipedia.org/wiki/Michael_Cook_%28historian%29.
2. https://ar.wikipedia.org/wiki.

الاستفهام الحجاجيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

The Argumentative Question in the Debate of Allama Al-Hilli with the Four Doctrines Scholars in the Presence of Shah Khadabandeh

Prof. Dr. Abd Al-Ilah Abd Al-Wahhab Hadi Al-Ardawi
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص البحث

تعدُّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيَّة وسمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطة وقدسيَّة، كما أنَّها مصدر إنبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحِلية والمحسِّنات الأسلوبيَّة، حتَّى غدت بلاغة (مختزَلة) بحسب قول جيرار جنيت، أو (ميتة) بحسب قول رولان بارت . وبين المولد القديم والانبعاث الحديث تبرز حركة عربيَّة إسلاميَّة شكَّلت فيها بلاغة الاقناع تجسيدًا لأجواء النضج العقليّ، والصراع العقديّ، والتي اعتمدت على مجال إجناسيّ تطبيقيّ، هو: المناظرة.

لقد تمظهرت قضيَّة الخلافة في حلبة للصراع بين المذاهب الإسلاميَّة، حاول كلُّ فريقٍ فيها تهيأة الأدلَّة والبراهين التي تؤكِّد أحقيَّته في الخلافة، وكانت المناظرات العقديَّة ميدانًا خصبًا للحوار في هذه المسألة، ومنها مناظرات فقيه من فقهاء الإماميَّة، يشار له بعلوِّ الهمَّة والنشاط في العلوم العقليَّة والنقليَّة، وهو: العلَّامة الحِلِّيّ. وفي ضوء ذلك كان للبحث أن يوسم بـ(الاستفهام الحجاجيّ مقتضى إقناعيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده)، وقسِّم البحث على مقدِّمة ومحورَين، الأوَّل: الإطار النظري الذي قسِّم على أربع فقرات، الأولى: التعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث كالمناظرة لغةً واصطلاحًا، والثانية: حجيَّة المناظرة ومشروعيَّتها في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف ونصوص أهل البيت عليهم السلام، والثالثة: آداب المناظرة، والرابعة: المناظرة أيقونة خطابيَّة، ثمَّ المحور الثاني: الإطار

التطبيقي، وفيه كانت الخطوات الإجرائيَّة للبحث ممثَّلة ببيان الاستفهام الحجاجيّ كمقتضى إقناعيّ من خلال عدَّة فقرات، الأولى: الاستفهام وبعده الحجاجيّ، الثانية: حجاجيَّة السؤال في المناظرة، الثالثة: أبعاد السؤال في طور الافتتاح، الرابعة: أبعاد السؤال في طورَي المواجهة والمدافعة، الخامسة: مقصديَّات السؤال/ سؤال التوريط، وخُتم البحث بخاتمة عرضت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها الباحث، ثمَّ ثبت المصادر والمراجع.

Abstract

The rhetoric of persuasion is the starting point of Arabic rhetoric and its effective characteristic, as it emerged from Greek philosophy and debate, and gave speech authority and sanctity.It is also the source of the resurgence of modern rhetoric after long ages in which the interest of rhetoric was limited to image, ornament and stylistic improvements until it became (reduced) rhetoric, according to Gerard Genette, or (dead) according to Roland Barthes. Between the old birth and the modern resurrection, an Arab Islamic movement emerged in which the eloquence of persuasion was an embodiment of the atmosphere of mental maturity and doctrinal conflict, which relied on an applied gender field: debate.

The issue of the caliphate appeared in an arena of conflict between Islamic sects in which each group tried to prepare the evidence and proofs that confirm its right to the caliphate, and the doctrinal debates were a fertile field for dialogue in this issue, including the debates of a jurist of the Imami jurists referred

to him for his high energy and activity in the intellectual and transmission sciences, which is Allama Al-Hilli

In light of this, the research was entitled to (The argumentative question in the debate of Allama al-Hilli with the four doctrines scholars in the presence of Shah Khadabandeh) and the research was divided into an introduction and two axes. idiomatically, the second: the authority and legitimacy of debate in the Holy Qur'an, the noble hadith and the texts of Ahl al-Bayt, peace be upon them, and the third: the etiquette of debate, and the fourth: the debate is a rhetorical icon.

Then the second axis: the applied framework: in which the procedural steps of the research were represented by the statement of the argumentative question as a persuasive requirement through several paragraphs, the first: the question and its dimension, the argument, the second: the argument of the question in the debate, the third: the dimensions of the question in the opening phase, the fourth: the dimensions of the question in the process Confrontation and Defense, Fifth: The objectives of the question/implication question, and the research concluded with a conclusion that presented the most important results that had been reached, then a list of sources and references.

المقدِّمة

الحمدُ لله الذي مـنَّ علينا بنبيِّه الصادق الأمين محمَّدﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام، والصـلاة والسـلام عـلى أفضـل خلقـه وأشرف بريَّتـه، أئمَّـة الهـدى وسـفن النجاة آل البيتعليهم السلام المنتجَبين، وبعد:

تعدُّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيَّة وسـمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطة وقدسيَّة، كما أنَّها مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحِليَة والمحسِّنات الأسلوبيَّة، حتَّـى غدت بلاغة (مُختزَلة)، بحسـب قول جـيرار جنيت، أو (ميِّتة)، بحسـب قول رولان بارت.

وبين المولد القديم والانبعاث الحديث، تبرز حركة عربيَّة إسـلاميَّة، شـكَّلت فيها بلاغة الاقناع تجسـيدًا لأجواء النضـج العقليّ والصراع العقـديّ، والتي اعتمدت على مجال اجناسيّ تطبيقيّ، هو: المناظرة.

يفرض خطاب المناظرة بوصفه جنسًا حجاجيًا أسلوبًا للتفاعل والتناظر بين مختلف الفئات والأفراد، بما يشـكِّل ثقافة الحوار الأنسانيّ والبديل عن العنف والتطرُّف؛ ذلك أنَّ بلاغـة الاقناع تمثِّل الجواب المعرفيّ عن الاختلاف، ونبذ صيحات الفرقة والإقصاء، فكـان ما تقدَّم سـببًا لنا لاختيار اشـتغال تطبيقـي للمناظرة في قضيَّـة عقديَّة محوريَّة في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، ألا وهي: الخلافة والإمامة.

لقد تمظهرت قضيَّة الخلافة في حلبة للصراع بين المذاهب الإسلاميَّة، حاول كلُّ فريقٍ فيها تهيأة الأدلَّة والبراهين التي تؤكِّد أحقيَّته في الخلافة، وكانت المناظرات العقديَّة ميدانًا خصبًا للحوار في هذه المسألة، ومنها مناظرات فقيه من فقهاء الإماميَّة، يُشار له بعلوِّ الهمَّة والنشاط في العلوم العقليَّة والنقليَّة، وهو: العلَّامة الحِلِّيّ.

وفي ضوء ذلك كان للبحث أن يوسَم بـ(الاستفهام الحجاجيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده)، وقسِّم البحث على مقدِّمة ومحوَرَين، الأوَّل: الإطار النظريّ الذي قسِّم على أربع فقرات، الأولى: التعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث كالمناظرة لغةً واصطلاحًا، والثانية: حجيَّة المناظرة ومشروعيَّتها في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف ونصوص أهل البيت عليهم السلام، والثالثة: آداب المناظرة، والرابعة: المناظرة آيقونة خطابيَّة، ثمَّ المحور الثاني: الإطار التطبيقي، وفيه كانت الخطوات الإجرائيَّة للبحث ممثَّلة ببيان الاستفهام الحجاجيّ كمقتضى إقناعيّ من خلال عدَّة فقرات، الأولى: الاستفهام وبُعده الحجاجي، الثانية: حجاجيَّة السؤال في المناظرة، الثالثة: أبعاد السؤال في طور الافتتاح، الرابعة: أبعاد السؤال في طورَي المواجهة والمدافعة، الخامسة: مقصديَّات السؤال/ سؤال التوريط، وخُتم البحث بخاتمة عرضت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها، ثمَّ ثبت المصادر والمراجع.

وأخيرًا هذا ما وفَّقنا الله تعالى، في الكشف عن مواطن الاستفهام الحجاجيّ كمقتضى إقناعيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده، فنسأل الله الغفران إن قصَّرنا ولم استطع أن أحيط بكلِّ الموضوع، أو فاتني شيء منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبة للمتَّقين.

المحور الأوَّل

الإطار النظريّ: التعريف بالمصطلحات والمقولات الواردة في البحث

أوَّلًا: المناظرة لغةً واصطلاحًا

لغـةً:

يقول صاحب لسـان العرب في المفهوم اللغوي للمناظرة: «والتَّناظُرُ: التَّراوُضُ في الأَمر، ونَظِـيرُك: الذي يُراوِضُك وتُناظِرُه، وناظَرَه مـن المُناظَرَة،والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وقيل: المثـل في كل شيء، وفـلان نَظِيرُك أَي مِثْلُـك لأَنه إِذا نَظَر إِليهما النَّاظِرُ رآهما سـواءً»[1]، و«النِّظْـر والنَّظِير بمعنًى مثل النِّدِّ والنَّدِيدِ، ويقـال: ناظَرْت فلانًا أَي صِرْتُ نظيرًا له في المخاطبة، وناظَرْتُ فلانًا بفلان أَي جعلته نَظِيرًا له»[2].

ومـن خلال هذا المعنى اللغويّ تتَّضح جملة من السـمات التي تحـدِّد المناظرة، فهي تقتـضي النِّديَّة، وتجري بين المتخاصمين في وضع تفاعليّ مبني على الحوار حول موضوع مشـترك[3]. ويرى أحد الباحثين أنَّ ابن منظور يحدِّد المناظرة بوصفها حوارًا دون سطوة أو استكراه، ويفسِّر لفظة (التراوض) عنده على أنَّه إعادة التكوين[4].

(١) لسـان العرب: ٥/ ٢١٩ (مادَّة نظر)، وينظر: المخصَّص: ج٣ ق٣ (السِّفر الثاني عشر: ٢١٣)، والقاموس المحيط: ٢/ ١٤٥.

(٢) لسان العرب: ٥/ ٢١٩ (مادَّة نظر).

(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٢٩.

(٤) ينظر: المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافي ومتَّى: ٣٤.

اصطلاحًا:

ارتبطت الدلالة الاصطلاحيَّة للمناظرة بـ(الجدل)، فابن خلدون يؤكِّد علاقتها الاصطلاحيَّة، فيقول: «وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهيَّة وغيرهم، فإنَّه لـمَّا كان باب المناظرة في الردِّ والقبول متَّسعًا، وكلُّ واحدٍ من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابًا، ومنه ما يكون خطأً»[1].

ولا يبتعد حاجي خليفة في كشف الظنون عن ابن خلدون في بيان التداخل بين الجدل والمناظرة، فيقول معرِّفًا الجدل: «هوعلم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض، وهو من فروع علم النظر، ومبنى لعلم الخلاف مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنَّه خُصَّ بالعلوم الدينيَّة ومباديه، بعضها مبينة في علم النظر، وبعضها خطابيَّة، وبعضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة»[2]. ويؤكِّد الارتباط بينهما بقوله: «ولا يبعد أن يقال إنَّ علم الجدل هو علم المناظرة؛ لأنَّ المآل منهما واحد، إلَّا أنَّ الجدل أخصّ منه»[3].

ويعرِّف طاش كبرى زادة المناظرة تعريفًا جامعًا مانعًا بقوله: «اعلم أنَّ المناظرة في اللغة مأخوذ إمَّا من النظير أو من النظر بمعنى الإبصار أو الانتظار، وفي الاصطلاح: هي النظر بالبصيرة من الجانبَين بالنسبة بين الشيئَين إظهارًا للصواب»[4]، وهي بحسب هذا التعريف مباحثة عقليَّة تتمُّ بجانبَين في مهادٍ خلافيّ، ومتوخِّية إظهار الصواب[5].

(١) تاريخ ابن خلدون: ١/ ٤٥٧.
(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/ ٥٧٩.
(٣) م.ن: ١/ ٥٨٠.
(٤) شرح آداب البحث: ١٧.
(٥)) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٣٠.

وعليه فالعلماء العرب القدامى يمحون الحدود بين الجدل والمناظرة، لكن الدراسات الحديثة تفرِّق بينهما، فالفارق «أخلاقيّ يتَّصل بالهدف، فهدف المناظرة الكشف عن الحقيقة أو الصواب، وهدف الجدل التغلُّب على الخصم»[1]، كما يثبت ابن خلدون «الصفة الحجاجيَّة للمناظرة، والتي تأتيها من خاصيَّة المواجهة الخطابيَّة القائمة على القبول والاعتراض والاستدلال والجواب»[2].

ومن المعاصرين من يعرِّف المناظرة بأنَّها كانت تُستعمل في القرون الأربعة الأولى للهجرة «للدلالة على نصٍّ صغيرٍ أو كبير، يعرض حوارًا بين شخصَين وأحيانًا أكثر، كلٌّ من الاثنين يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنَّى فرضيَّة الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين، وإدحاض فرضيَّة الآخر وأدلَّته»[3]، أو هي «ممارسة حواريَّة قائمة على التفاعل بين متخاطِبَين، يشتركان في صنع المعرفة عبر مسارٍ حجاجيّ»[4].

ولا بدَّ من القول هنا، إنَّ هذه العجالة اللغويَّة والاصطلاحيَّة لا تشكِّل إلمامًا بمصطلحات المناظرة والمقولات المعرفيَّة فيها، لكنَّها تبقى إضاءة سريعة في حدود صفحات البحث.

ثانيًا: حجيَّة المناظرة ومشروعيَّتها في القرآن والحديث النبويّ ونصوص أهل البيت عليهم السلام[5]

لقد شرَّع القرآن الكريم المناظرة، وجعل لها حدودًا وضوابط، وأكَّد ضرورتها

(١) المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافيّ ومتَّى: ٣٥.
(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٣٠.
(٣) المناظرة في الأدب العربيّ الإسلاميّ: ٦٣.
(٤) بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٣١.
(٥) ينظر في هذا الموضوع: المناظرات في الإمامة: ٢٣-٢٩.

وأهميَّتها، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم، وهذا ما يصوِّر لقارئ القرآن الكريم احتلال المناظرة جانبًا حيويًّا في حياة سائر الأديان، إذ ما من رسولٍ أو نبيٍّ إلَّا وقد ناظر قومه وحاججهم وجادلهم في إثبات صحَّة ما يدعوهم إليه، وممَّا يزيد الأمر وضوحًا «هو أنَّ الله تعالى قد أمر رسوله الكريم ﷺ بمجادلة المشركين ودعوتهم إلى الحقِّ، بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1].

كما أمر تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالحكمة والموعظة؛ لما في ذلك من إلانة قلوبهم وانصياعهم إلى الحقِّ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[2]؛ لأنَّ الغلظة في المناظرة والجدل لا تزيد الطرف الآخر إلَّا نفورًا، وعنادًا، وتعصُّبًا، وتمسُّكًا بالباطل، كما أوضحه تعالى في قوله الكريم: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[3].

وهذا ما يكشف عن أسلوب المناظرة النبويَّة، فهو الأسلوب الأمثل الذي يجب مراعاته بين المتناظرين.

ومن الأدلَّة والشواهد القرآنيَّة التي تبيِّن مشروعيَّة المناظرة وحجيَّتها في الإسلام، قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ

(١) النحل: ١٢٥.
(٢) العنكبوت: ٤٦.
(٣) آل عمران، من الآية: ١٥٩.

بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١).

وهنا يلاحَظ ما في جواب من أنكر الإحياء بعد الإماتة، وما فيه من أدلَّة عظيمة، وأسلوب رائع يأخذ بمجامع القلوب، ويسوقها طوعًا إلى الإذعان والتصديق، ومنه ينكشف مدى تأثير الدليل وطريقة عرضه، إذ بهما يخلق من الطرف الآخر إنسانًا سلس الانقياد.

ولم يقتصر هذا الأمر على مناظرات نبيِّنا ﷺ مع مشركي مكَّة ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وإنَّما كان ذلك الأسلوب من المناظرة والجدل متَّبعًا مِن قِبَل الأنبياء عليهم السلام مع مشركي أقوامهم، كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع نمرود، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢). ومثله أيضًا ما جاء في محاجَّة قومه له عليه السلام، وجوابه لهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

ومثله أيضًا «ما جاء في محاجَّته عليه السلام لقومه حينما كسَّر أصنامهم، وقد ألزمهم بالحجَّة والعقل والرجوع إلى وجدانهم وعقولهم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

(١) يس: ٧٨-٨٢.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) الأنعام: ٨٠-٨١.

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

ومنها مجادلة نوح عليه السلام لقومه الذين ركبوا رؤوسهم عنادًا وازدادوا غيًّا وفسادًا، حيث قالوا له، وهو يجادلهم في الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2].

ومن هنا يتبيَّن أن المناظرة أو الجدل لو لم تكن مشروعة؛ لما أمر الله تعالى بها أنبياءه عليهم السلام، في حين أنَّ القرآن الكريم يزخر بمحاججات الأنبياء لأقوامهم، لاسيما نبيّنا صلى الله عليه وآله، وهو القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي لا ينتهي حديث عظمته، ولا تزيده الدهور إلَّا سناءً وعلوًّا.

أمَّا موقف السنَّة المطهَّرة من المناظرة، فهو لا يختلف عن حكم القرآن، فكلاهما - القرآن والسنَّة- صِنوان لمشرِّعٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[3].

وممَّا ورد من الأدلَّة والشواهد على مشروعيَّة المناظرة وحجيَّتها من السنَّة الشريفة:

منها: ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيًّا**»[4].

(١) الأنبياء: ٦٢-٦٧.
(٢) هود: ٣٢.
(٣) النجم: ٣-٤.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٥.

ومنها: ما روي من مناظرات النبيّ صلى الله عليه وآله مع أهل الأديان وغيرهم، وممَّا يروى بهذا الصدد من اجتماع أهل خمسة أديان وفِرق- وهم: اليهود، والنصارى، والدهريَّة، والثنويَّة، ومشركو العرب، عند النبيّ صلى الله عليه وآله، واحتجاج كلِّ فريقٍ منهم لدعواه، وجواب النبيّ صلى الله عليه وآله لهم، وإبطاله لمزاعمهم(١).

كما أنَّ المتتبع لسيرة الأئمَّة عليهم السلام يجد أمثلة كثيرة جدًّا في مناظراتهم واحتجاجاتهم مع خصومهم، كما وردت عنهم عليهم السلام أخبار كثيرة بشأن مجادلة الخصوم وإقناعهم، وكانوا عليهم السلام يأمرون بعض أصحابهم بذلك، ممَّن يتوسَّمون فيه القدرة على مقارعة الحجَّة بالحجَّة، كما هو المشهور في موقف الإمام الصادق عليه السلام من هشام بن الحكم وثلَّة من أصحابه الذين كانوا بالمرصاد في تصدِّيهم للزنادقة والملحِدين والمخالفين في المسائل الاعتقاديَّة، كالمجبرة والمفوِّضة والمجسِّمة وغيرها من المذاهب الأخرى. وفيما يلي نذكر بعض الروايات عن أهل بيت النبوَّة عليهم السلام الدالَّة على ما أسلفناه، منها: رواية الشيخ المفيد بإسناده عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام، قال: «**من أعاننا بلسانه على عدوِّنا أنطقه الله بحجَّته يوم موقفه بين يديه عزَّ وجلَّ**»(٢).

ومنها: قول الصادق عليه السلام: «حاجُّوا الناس بكلامي، فإنَّ حجوكم فأنا المحجوج»(٣).

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي من مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد، حتَّى أنَّ الإمام الصادق عليه السلام أحبَّ أن يسمع من هشام نفسه ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد.

(١) ينظر: الاحتجاج: ١/ ١٦.
(٢) الأمالي، الشيخ المفيد: ٣٣.
(٣) تصحيح اعتقادات الإماميَّة: ٧١.

ومع هذا كله، فقد تخيَّل بعض المخالفين أنَّ المناظرة محرَّمة في رأي أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ ما يفعله الشيعة يخالف أمر أئمَّتهم، قال الشريف المرتضى في الفصول المختارة من العيون والمحاسن: «قلت للشيخ أبي عبد الله: إنَّ المعتزلة والحشويَّة يزعمون أنَّ الذي نستعمله من المناظرة شيء يخالف أصول الإماميَّة، ويخرج عن إجماعهم؛ لأنَّ القوم لا يرون المناظرة دينًا، وينهون عنها، ويروون عن أئمَّتهم تبديع فاعلها وذمَّ مستعملها، فهل معك رواية عن أهل البيت عليهم السلام في صحَّتها، أم تعتمد على حجج العقول، ولا تلتفت إلى من خالفها، وإن كان عليه إجماع العصابة؟ فقال: أخطأت المعتزلة والحشويَّة فيما ادَّعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناظرة وأخطأ من ادَّعى ذلك من الإماميَّة أيضًا وتجاهل؛ لأنَّ فقهاء الإماميَّة ورؤساءهم في علم الدين كانوا يستعملون المناظرة، ويدينون بصحَّتها، وتلقَّى ذلك عنهم الخَلَف ودانوا به. وقد أشبعت القول في هذا الباب، وذكرت أسماء المعروفين بالنظر وكتبهم ومدائح الأئمَّة لهم في كتابي (الكامل في علوم الدين)، و(كتاب الأركان في دعائم الدين)، وأنا أروي لك في هذا الوقت حديثًا من جملة ما أوردت في ذلك إن شاء الله. أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمَّد (بسنده) عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام، قال: قال لي: **خاصموهم وبيِّنوا لهم الهدى الذي أنتم عليه، وبيِّنوا لهم ضَلَالهم وباهلوهم في عليّ عليه السلام**»[1].

إلى غير ذلك من الأدلَّة والشواهد التي تنصُّ على مشروعيَّة المناظرة وحجيَّتها.

ثالثًا: آداب المناظرة

وفيما يأتي نذكر أهمَّ الآداب التي ينبغي مراعاتها في المناظرة، وهي[2]:

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٤، وينظر: الحكايات: ٧٣-٧٥.

(٢) هذه النقاط ملفَّقة من عدَّة مصادر. ينظر: منية المريد في أدب المفيد والمستفيد: ٣١١-٣١٤، ودلائل الصدق لنهج الحقِّ: ١/ ١٤-١٥، والمنطق: ٤١٧-٤١٩.

١. أن يكون (المناظر) في طلب الحقِّ كمنشد ضالَّة، يكون شاكرًا متى وجدها، ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو على يد غيره، فيرى رفيقه مُعينًا لا خصيمًا، ويشكره إذا عرَّفه الخطأ، وأظهر له الحقَّ، كما لو أخذ طريقًا في طلب ضالَّة فنبَّهه غيره على ضالَّته في طريق آخر، والحقُّ ضالَّة المؤمن يطلبه كذلك، فحقُّه إذا ظهر الحقُّ على لسان خصمه أن يفرح به ويشكره، لا أنَّه يُخجله ويسوِّد وجهه ويزيل لونه، ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جهده.

٢. أن لا يمنع معينه من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن سؤال إلى سؤال، بل يمكنه من إيراد ما يحضره، ويُخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابة الحقِّ، فإن وجده في جملته أو استلزمه، وإن كان غافلًا عن اللزوم؛ فليقبله ويحمد الله تعالى، فإن الغرض إصابة الحقِّ، وإن كان في كلامٍ متهافتٍ إذا حصل منه المطلوب، فأمَّا قوله: (هذا لا يلزمني، فقد تركت كلامك الأوَّل، وليس لك ذلك)، ونحو ذلك من أراجيف المناظرين، فهو محض العناد والخروج عن نهج السَّداد.

وكثيرًا ما ترى المناظرات في المحافل تنقضي بمحض المجادلات حتَّى يطلب المعترض الدليل عليه، ويمنع المدَّعي ما هو عالم به، وينقضي المجلس على ذلك الإنكار والإصرار على العناد، وذلك عين الفساد، والخيانة للشرع المطهَّر، والدخول في ذمِّ من كتم علمه.

٣. أن يُقصد بها إصابة الحقِّ وطلب ظهوره كيف اتَّفق، لا ظهور صوابه وغزارة علمه، وصحَّة نظره، فإن ذلك مراء قد عرفت ما فيه من القبائح والنهي الأكيد، ومن آيات هذا القصد أن لا يوقعها إلَّا مع رجاء التأثير، فأمَّا إذا علم

عـدم قبول المناظر للحقِّ، وأنَّه لا يرجع عن رأيه وإن تبيَّن له خطأه، فمناظرته غير جائزة؛ لترتب الآفات وعدم حصول الغاية المطلوبة منها.

٤. أن يناظر في واقعة مهمَّة، أو في مسـألة قريبة من الوقوع، وأن يهتمَّ بمثل ذلك، والمهمُّ أن يبيِّن الحقَّ، ولا يطول الكلام زيادة عمَّا يحتاج إليه في تحقيق الحقِّ.

ولا يغـترَّ بأنَّ المناظرة في تلك المسـائل النـادرة توجِب رياضـة الفكر وملَكة الاسـتدلال والتحقيق، كما يتَّفق ذلك كثيرًا لقاصدي حظِّ النفوس من إظهار المعرفة؛ فيتناظرون في التعريفات، وما تشتمل عليه من النقوض والتزييفات، وفي المغالطات ونحوها، ولو اختبر حالهم حقَّ الاختبار؛ لوجد مقصدهم على غير ذلك الاعتبار.

٥. أن يتخـيَّر الألفاظ الجزلة الفخمة، ويتجنَّب العبارات الركيكة العاميَّة، ويتَّقي التمتمة والغلط في الألفاظ والأسلوب.

٦. أن يكون متمكِّنًا من إيراد الأمثال والشـواهد من الشعر، والنصوص الدينيَّة، والفلسـفيَّة، والعلميَّة، وكلمات العظماء، والحوادث الصغيرة الملائمة- وذلك عند الحاجة طبعًا- بل ينبغي أن يُكثر من ذلك ما وجد إليه سبيلًا، وذلك يعينه عـلى تحقيق مقصـوده وهدفه، والمثل الواحد قد يفعـل في النفوس ما لا تفعله الحجج المنطقيَّة من الانصياع إليه والتسليم به.

٧. أن يتجنَّب عبارة الشـتم واللعن، والسـخرية والاستهزاء، ونحو ذلك ممَّا يثير عواطف الغير، ويوقظ الحقد والشـحناء، فإنَّ هذا يُفسد الغرض من المجادلة التي يجب أن تكون بالتي هي أحسن.

٨. ألَّا يرفع صوته فوق المألوف المتعارف، فإنَّ هذا لا يكسبه إلَّا ضعفًا، ولا يكون

إلَّا دليـلًا على الشـعور بالمغلوبيَّة، بل يجب عليـه أن يُلقي الكلام قويَّ الأداء، لا يشـعر بالـتردُّد والارتباك والضعف والانهيـار، وإن أدَّاه بصوتٍ منخفضٍ هـادئ، فـإن تأثـير هذا الأسـلوب أعظـم بكثير مـن تأثير أسـلوب الصياح والصراخ.

٩. أن يتواضـع في خطـاب خصمـه، ويتجنَّـب عبـارات الكبريـاء والتعاظـم، والكلمات النابية القبيحة.

١٠. أن يتظاهـر بالإصغـاء الكامل لخصمه، ولا يبدأ بالـكلام إلَّا من حيث ينتهي من بيان مقصوده، فإنَّ الاستباق إلى الكلام سؤالًا وجوابًا قبل أن يتمَّ خصمه كلامه يُربك على الطرفَين سير المحادثة، ويُعقِّد البحث من جهة، ويُثير غضب الخصم من جهةٍ أخرى.

١١. أن يتجنَّب- حدَّ الإمكان- مجادلة طالب الرياء والسمعة ومؤثر الغلبة والعناد ومدَّعـي القوَّة والعظمة، فإنَّ هـذا من جهة يعديه بمرضه، فينسـاق بالأخير مقهورًا إلى أن يكون شـبيها به في هذا المرض، ومن جهة أخرى لا يستطيع مع مثل هذا الشخص أن يتوصَّل إلى نتيجة مرضية في المجادلة.

١٢. أن يكـون مطَّلعـا على أفكـار خصمه وآرائه مـن كتبه ومصـادره، لا من كتبه ومصادره هو.

١٣. أن يكـون هاضمًا للفكرة التي يريد طرحها، ومحيطًا بها تمامًا، ومقتنعًا بها، لكي يتمكَّن من إقناع خصمه.

١٤. وينبغـي أن يختـار الكلام المناسـب للزمـان والمكان، فـإنَّ لهما تأثـيرًا كبيرًا في النفوس، ومن هنا قيل في المثل المشهور: لكلِّ مقامٍ مقال.

١٥. أن يخاطب خصمه بكلامٍ مفهومٍ، مراعيا مقدار فهمه، ومستواه الفكريّ، بأسلوبٍ حسنٍ، ومنطقٍ سديد.

رابعًا: المناظرة آيقونة خطابيَّة

لقد ازدهرت الخطابة في العصر الأمويّ بفعل التناقضات العقديَّة بين المذاهب السياسيَّة، ونتيجة التنازع حول شرعنة موضوعة أحقيَّة الخلافة، وبذلك كان النصُّ الدينيّ وتأويله من المصاديق المهمَّة لانتصار هذا المذهب أو ذاك، وكانت الخطابة تجسيدًا للاختلاف في الآراء السياسيَّة والدين، ممَّا جعل «هذه الفترة من أهمِّ الفترات الخصِبة في تاريخ الثقافة الإسلاميَّة في وضع القول في مواجهة إمكاناته، واكتشاف ما للغة من قدرة على قول الشيء ونقيضه، وإمكانيَّة أن يقوم الرأي والرأي المضاد»(١).

ومن آيقونة هذه الخطابة، ونتيجةً للارتقاء المعرفيّ الواسع الذي رفد العقل العربيّ بتمظهرات اجناسية جديدة، انبثقت المناظرات، وهي بحسب رأي أحد المعاصرين «فرعٌ مهمٌّ من فروع الخطابة»(٢).

لقد كان لبيئة الفقهاء والمتكلِّمين وسجالهم أثر كبير في إعطاء الخطابة طابعًا عقليًّا وحجاجيًّا حوَّلها إلى مناظرات، ولذلك عدَّ الدكتور محمّد العمريّ أنَّ تطوُّر الخطابة الدينيَّة قاد إلى تشكُّل ثلاثة أصناف صدرت عنها، وهي تختلف بحسب المتلقِّي، وبحسب الرسالة الموجَّهة إليه، فيقول: «فهو - أي المتلقِّي - إمَّا أن يكون خالي الذهن، يتقبَّل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة اقتضت خطابة تعليميَّة، وإمَّا أن يكون متناسيًا لما تعلم، غافلًا عمَّا ينتظره، فيتطلب حالة الحثِّ على العمل والتخويف من العقاب، وتلك

(١) مقدِّمة في الخلفيَّة النظريَّة للمصطلح: ٢٨.
(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربيّ: ٦٥.

هـي الخطابة الوعظيَّة، وإمَّا أن يكـون عالـمًا مخالفًا وجاحدًا لوجهـة نظر الخطيب، وفي هذه الحالـة لا بدَّ من المحاجَّة والبرهنة، وتلك هي الخطابة الحجاجيَّة أو المناظرات»[1]، وبحسـب هذا التخريج «فـإنَّ المناظرة خطابة حجاجيَّة تسـائل جحود المخاطب الذي يفترض فيـه أن يكون ملمًّا بالموضوع عالـمًا به، ولكنَّـه مُنكِر لموقف مناظره بخصوصه، وهكذا فإذا كانت الخطابة بشـكلٍ مطلقٍ تستهدف الجموع والعوام، فإنَّ المناظرة خطابة الخاصَّـة، وهو الأمر الذي تفسِّر المجالس المغلقة التي شـكَّلت فضـاء المناظرة، بحيث يكون الحضور مقصـورًا على العلماء والتخصُّصيِّين والأدباء.. ومن ثمَّ فالمناظرة خطابة فكريَّـة ومذهبيَّة جسَّـدت الحركة المعرفيَّة التي سرت بشـكلٍ دينامي في المجتمع العربيّ الإسلاميّ»[2].

وممَّا تقـدَّم، فإنَّ نقطة الالتقاء بـين الخطابة والمناظرة هي «الخاصيَّـة التداوليَّة التي تجعلهـما مرتبطَتَين بمقامات فكريَّة واجتماعيَّة... كما يشـتركان في الخاصيَّة الجدليَّة التي تجعلهما يتوخَّيان الإقناع، إلَّا أنَّ المناظرة عكسـت تطوُّرًا لاحقًا لفنِّ الخطابة، إنَّها خطابة مشبعة بالمحاجَّة الفكريَّة والمذهبيَّة»[3].

وفي هذه الوريقات البحثيَّة سـنعالج تمظهر الاسـتفهام الحجاجيّ كمقتضى إقناعيّ في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدابنده.

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ٣٦.
(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة: ١٥٠.
(٣) م.ن: ١٥١.

المحور الثاني

الإطار التطبيقيّ

إنَّ الاستفهام وفق تعبير البلاغيِّين العرب القدامى، هو طلب المتكلِّم معرفة أمرٍ مجهولٍ لديه، لذلك يقول ابن وهب: «ومن الاستفهام ما يكون سؤالًا عمَّا لا تعلمه لتعلُّمه»(١)، أو هو «طلب المراد من الغير على وجه الاستعلام»(٢).

الاستفهام وبُعده الحجاجيّ

يعدُّ التركيب الاستفهاميّ من أهم «التراكيب الإنشائيَّة التي تميَّزت بقدرتها على الفعل، وتوجيه فعل القول نحو غايات ومقاصد حجاجيَّة مهمَّة»(٣)، فقد أخذ مكانة مهمَّة عند أوستن وسيرل ضمن تصنيفاتهم للأفعال الإنجازيَّة، وميَّز ديكرو وانسكومبر بين نوعَين من الاستفهام، الأوَّل: يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمتِّه الحجاجية، والثاني: الاستفهام العادي، والذي يقصد المستفهم من ورائه إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه. ولكن هذا النوع قد يوظِّفه المتكلِّم ويصبح بالنتيجة عنصرًا من عناصر العلاقة الحجاجيَّة، وسيكون له إذ ذاك بُعد وطابع حجاجيّ(٤)، أي إنَّه يمكن مبدئيًّا التمييز بين شكلَين من الاستفهام: استفهام مباشر يعتمد على أدوات الاستفهام

(١) البرهان في وجوه البيان: ٩٤.
(٢)) الطراز المتضمِّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ٥٣٢.
(٣) رسائل الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة- دراسة حجاجيَّة: ١٥٤.
(٤) ينظر: الخطاب والحِجاج: ٥٨.

المعلومة، والآخر استفهام غير مباشر يعتمد على استعمال فعل يتضمَّن معنى السؤال أو الاستعلام أو يكشف عن جهل السائل[١].

ولإيضاح الأمر أكثر نقول: «إنَّ الاستفهام في كثير من الحالات يخرج عن مراده الحقيقيّ المتمثِّل في طلب الإفهام والاستعلام لما يجهله السائل إلى مراد آخر يهدف منه المرسل، وهو العارف بالجواب سلفًا، إلى تحدِّي المخاطب في أن يستطيع الإنكار أو حتَّى الإجابة»[٢]، وهذا ما أشار إليه ديكرو حينما ذكر أنَّ الغاية من الاستفهام تتمثَّل في أن نفرض على المخاطب به إجابة محدَّدة يمليها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، فيتمُّ توجيه دفَّة الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد[٣].

فالاستفهام يأتي في الكلام لإجبار المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهاميّ الاقتضائيّ، وهذا النوع من الاستفهام هو الذي يسمِّيه بلونتين بـ(الاستفهام الحجاجيّ) أو (السؤال الحجاجيّ) الذي ليس استخبارًا وطلب جواب، بل هو وسيلة حجاج، فخروج الاستفهام الحقيقيّ إلى استفهام بلاغي/ حجاجيّ يهدف إلى تحقيق أفعال إنجازيَّة، وهذا الأمر يتطلَّب ألَّا يقوم المخاطب بقراءة حرفيَّة للملفوظ، أو على المصرَّح به بل ينبني على المضمون القولي، وهو امر اشار اليه ديكرو حين بيَّن أنَّ الافتراضات الضمنيَّة في بعض الأسئلة هي التي تجعل من الاستفهام أسلوبًا حجاجيًّا؛لأنَّ أيَّة إجابة- مهما كان نوعها- لا بدَّ أن تسلِّم بتلك الافتراضات، بل تقرُّ ضمنيًّا بصحَّتها[٤].

(١) ينظر: المناظرة في الأدب الإسلاميّ: ٣٥٢.
(٢) رسائل الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة- دراسة حجاجيَّة: ١٥٥.
(٣) ينظر: الخطاب الحجاجيّ في كتاب الإمامة والسياسة: ٣٠٤.
(٤) ينظر: الحِجاج في الشعر العربيّ: ١٤٢-١٤٣.

حجاجيَّة السؤال في المناظرة

للسؤال في المناظرة دور محوريّ، فـ«دون السؤال نكون خارج النقاش»[١]، وإذا كانت المناظرة تبنى على «اختلاف بين الذوات في مقاربة قضيَّة معيَّنة، فإنَّ السجال الذي يشكِّل قيمتها المهيمنة مبناه على السؤال. هذا الأخير يعدُّ الوسيلة الأكثر استخدامًا في أيَّة مواجهة اقتناعيَّة تجري بين طرفَين، وأداة المطارحة الكفيلة بمساءَلة اعتقادات الآخر، واستجواب قناعاته»[٢].

إنَّ السؤال يقتضي تفاعلًا بين الذوات المعنيَّة به، أي انخراطها التخاطبيّ في التفاوض حوله، يكون السؤال بذلك إطلاقًا للمفاوضة[٣]، وهو بهذه الصفة يصبح محرِّكًا للسجال والاستدلال، أي منتجًا للعديد «من الأقوال التي تقدِّم نفسها (حسمًا) للسؤال، أو على الأقل الجواب المناسب عنه»[٤]، لذلك يقول ميشال ماير: «إذا لم يكن هناك سؤال، لن يكون هناك سجال؛ لأنَّه لن يكون هناك إلَّا جوابٌ واحد»[٥].

وإذا كانت المناظرة مطارحة معرفيَّة، فإنَّ بناء قضاياها يتوقَّف على الإنتاج المستمرِّ (الأفكار/ الأجوبة) التي يدلي بها المتحاوران، هذه الأجوبة تنتج عن البحث الذي ينتج بدوره عن السؤال، لذلك «فليس هناك إلَّا السؤال لتغذية البحث»[٦].

(1) Michel Meyer. Pour une Anthropologie Rhetorique, p. 128.
نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(3) Michel Meyer. Introduction a Aristote, Rhetorique, p. 43.
نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(٤) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(5) Ibid, p. 7.
نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(6) Michel Meyer.de la problematologie, p. 234.=

إنَّ التوليد الفكريّ محايث دائمًا لمسار القضيَّة التي يتحاور بها الطرفان المتخاصمان، فبالسؤال تُستدعى الأجوبة، وتُبنى البدائل التي تطوِّر المعرفة، الأمر الذي يعني بحسب مانويل ماريا كاريلهو أنَّ «العقل حركة للسؤال لا تنضب»[1].

إنَّ الاستفهامات المستعملة في المناظرة تحمل أهدافًا إقناعيَّة، فبحسب بيير أوليرون فـإنَّ المبادلات الكلاميَّـة التي تجمع أشـخاصًا متناقضين «نادرًا ما تكون الأسـئلة فيها محايـدة ومحـض إخباريَّة»[2]؛ لأنَّ التقاطـب هو الذي يوجه أقوال هؤلاء الأشـخاص، لذلك انتهى سورل إلى أنَّ الاستفهام في هذه المقامات الحواريَّة ليس (سؤالًا مخلصًا)»[3]، الذي يتحقَّق فقط حين يكون السائل جاهلًا بالجواب.

ويتَّضح في نصِّ مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ السـؤال الحجاجيّ الذي شغل بعض أو كل أطوار المناظرة الشكليَّة في (الافتتاح)، وفي طوري (المواجهة)، و(المدافعة)[4].

أبعاد السؤال في طور افتتاح المناظرة

تُسـتهلُّ المناظرة بالسـؤال لتنشـيط الماهيَّات المعرفيَّـة عند المتحاورَيـن، ومناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع علماء المذاهب الأربعة تُسـتفتح بالسـؤال الذي يأخذ إبعادًا حجاجيَّة مختلفة، منها:

=نقلًا عن: بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢٠٧.

(1) Manuel Maria Carrilho: de la problematologie, p. 78.

نقلًا عن: بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢٠٧.

(2) Pierre Oleron: Organization et Articulation des echanges de paroles, p. 78.

نقلًا عن: بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢٠٧.

(3) Ibid.

(٤) هذه المصطلحات وظَّفها الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه: اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ.

أ. بعد التقرير:

إنَّ الأسئلة في افتتاح المناظرة تبرز على أنَّها ليست أسئلة استعلام، فهي لا تستخبر؛ لأنَّ المحاور يعرف مسبقًا الجواب، ومن ثمَّ فهي أسئلة تقريريَّة تهيِّء أرضيَّة الحجاج والمجادلة، وهذا ما نراه في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ مع المذاهب الأربعة، فالشاه خدابنده[1] غضب على امرأته وطلَّقها ثلاثًا، ثمَّ ندم وجمع علماء المذاهب، وأراد من يحلِّل القضية، فسأل: «عندكم في كلِّ مسألة أقاويل مختلفة، أَوَ ليس لكم هنا اختلاف؟»[2]، وهو هنا يعرف الجواب، ولا يريد تقرير قضيَّة يعلمها، لكنَّه أراد فتح باب الحجاج لحلِّ المسألة.

وعندما كان الجواب «فقالوا: لا»[3]، تأتي فرجة الحجاج في قول أحد وزرائه: «إنَّ عالمًا بالحِلَّة، وهو يقول ببطلان هذا الطلاق»[4].

ب. بعد التحضير والإعداد:

اذا كان ميشال ماير قد انتهى إلى ان السؤال قد يشكل في المحاورات وسيلة لـ«إعداد الآخرين وتهيأتهم»[5]، فإنَّ استفهامات الافتتاح في المناظرة واحدة من مصاديقه،

(١) محمَّد بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولى بن جنكزخان المغوليّ، السلطان غياث الدين المعروف بخدابنده، ومعناه بالعربية عبد الله، ملك العراق وخراسان وآذربيجان، ولد سنة نيِّف وسبعين وستمائة، كان على مذهب العامَّة فتشيَّع، وكان يحب العمارة، أنشأ مدينة جديدة بآذربيجان سمَّاها السلطانيَّة، توفِّي سنة ٧١٦هـ. ينظر: الدرر الكامنة: ٣/ ٣٧٨ ترجمة رقم: ١٠٠٣.

(٢) المناظرات في الإمامة: ٣٣١-٣٣٢.

(٣) م.ن: ٣٣٢.

(٤) م.ن: ٣٣٢.

(5) Michel Meyer. de la problematologie, p. 234.

نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.

«فبعث كتابه إلى العلَّامة وأحضره، فلمَّا بعث إليه، قال علماء العامَّة: إنَّ له مذهبًا باطلًا، ولا عقل للروافض، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل. قال الملك: حتَّى يحضر، فلمَّا حضر العلَّامة، بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم، فلمَّا دخل العلَّامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك. فقالوا للملك: ألم نقل لك إنَّهم ضعفاء العقول؟»[1]، فهذا السؤال دعوة إلى المناظرة، والمنشِّط الحاسم لمجراها.

ج. بعد إثارة الخلاف:

ينطوي السؤال في افتتاح المناظرة أيضًا على مقصديَّة إثارة الخلاف، ورسم المسافة منذ البداية بين المتناظرين، وعملية الإقناع في المناظرات تستلزم المسائل الخلافيَّة، ومحطّ السؤال فيها قضايا خلافيَّة أيضًا، وفي مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ تبلور السؤال في مواقف متعارضة بين المتناظرين حول قضيَّة خلافيَّة، هي: غضب الشاه خدابنده على امرأته وتطليقها ثلاثًا.

د. بعد الفرجة:

وفيه بداية العرض بسؤال أحد الحاضرين للمناظرة، وليس المشاركين فيها، ويتَّضح ذلك في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ بسؤال الشاه خدابنده علماء المذاهب الأربعة عن سبب تصرفات العلَّامة الحِلِّيّ: «اسألوا عنه في كلِّ ما فعل»[2]، وعليه يمكن الإقرار بأنَّ غايات السؤال في افتتاح المناظرات «شدُّ انتباه الحاضرين وإعلامهم بأنَّ المناظرة قد بدأت، فالسؤال بشكلٍ آخر يبحث عن التواصل مع الآخرين، ويطلب منهم توجيه اهتمامهم إلى ما سيجري»[3].

(١) المناظرات في الإمامة: ٣٣٢-٣٣٣.
(٢) م.ن: ٣٣٣.
(٣) المناظرة في الأدب العربيّ الإسلاميّ: ٢٥٢.

أبعاد السؤال في طورَي المواجهة والمدافعة في المناظرة

١. طبيعة السؤال:

إنَّ متابعة الاستفهامات الواردة في المناظرة يقود إلى الإقرار بأنَّها في طبيعتها الغالبة استفهامات (محصورة)، وليست (مفوَّضة)[١]. ومعلوم أنَّ السؤال المحصور هو «ما حصرت فيه على المجيب أن يجيب إلَّا ببعض السؤال، كقولك: ألحمًا أكلت أم خبزًا؟ فقد حصرت عليه أن يجيبك إلَّا بأحدهما، أمَّا المفوَّض، فهو كقولك: ما أكلت؟ فله أن يقول ما شاء من المأكولات؛ لأنَّك قد فوَّضت الجواب إليه»[٢]. ومن شواهده في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ «عندكم في كلِّ مسألة أقاويل مختلفة، أو ليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا»[٣].

إنَّ السؤال المحصور يماثل ما سمَّاه ميشال ماير بسؤال التحديد[٤]، واستعماله في المناظرة يفيد في تقييد البحث، وتحديد الموضوع في المناظرة، ثمَّ إنَّ استحضار سؤال التحديد (المحصور) يؤشِّر على أنَّ المناظرة بما هي محاورة، لا يقبل عليها المتناظران خاليي الذهن، بل تجمعهما معرفة مشتركة، أو هما بصدد البحث عن معنى مشترك[٥].

سؤال التبرير:

إنَّ الميزة المهمَّة لسؤال المناظرة هي ارتباطه بالتبرير، ونرى شواهده في مناظرة

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢١٢.
(٢) البرهان في وجوه البيان: ٩٤.
(٣) المناظرات في الإمامة: ٣٣١-٣٣٢.
(4) Michel meyer. les fondements de largumentaion, p. 27.
نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(5) Michel meyer. de la problematologie, p. 43.
نقلًا عن: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢١٣.

العلَّامة الحِلِّيّ، «فقالوا له: لم ما سجدت للملك وتركت الآداب؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كان ملكًا وكان يسلَّم عليه، وقال الله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً﴾[1]، ولا خلاف بيننا وبينكم أنَّه لا يجوز السجود لغير الله.

قالوا له: لم جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكلُّ ما يقول العلَّامة بالعربيّ، كان المترجم يترجم للملك»[2].

إنَّ اعتماد اسئلة التبرير في المناظرة مردُّه «إلى طبيعتها الحجاجيَّة، فبهذا السؤال تتمُّ المطالبة بالحجَّة، وبناء الموقف وتعليله، إنَّه سؤال لا يستدعي الحكم فقط، بل يستدعي دعائمه، ويتوضَّح الأسس التي قادت اليه، وبذلك فسؤال التبرير اختبار وقياس للحدود الإقناعيَّة للموقف المتبنَّى»[3]، فضلاً عن ذلك فإنَّ سؤال التبرير «علامة خطابيَّة على أنَّ القضايا التي يتداولها المتناظران معرَّضة باستمرار للمراجعة والشكِّ حتَّى يستقيم بناؤها الحجاجيّ، ومن ثمَّ فالقضايا لا تكتسب مصداقيَّتها، ولا تصبح متقاسَمة بين المتناظرين، أو ملزمة لأحدهما حتَّى تُجيب عن مطالب التبرير التي يعلنها الآخر إزاءها»[4].

السؤال المصحوب بأفعال الرأي:

وترد الاستفهامات الحجاجيَّة مقرونة بأفعال الرأي، ومصداق ذلك في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ «فبعث كتابه إلى العلَّامة وأحضره، فلمَّا بعث إليه، قال علماء العامَّة:

(١) النور: ٦١.
(٢) المناظرات في الإمامة: ٣٣٤.
(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢١٤.
(٤) م.ن: ٢١٤.

إنَّ لـه مذهبًـا باطلًا، ولا عقـل للروافض، ولا يليـق بالملك أن يبعـث إلى طلب رجل خفيـف العقـل. قـال الملـك: حتَّى يحـضر، فلمَّا حـضر العلَّامـة بعث الملـك إلى جميع علـماء المذاهب الأربعـة وجمعهم، فلمَّا دخـل العلَّامة أخذ نعليه بيـده ودخل المجلس، وقـال: السـلام عليكم، وجلس عنـد الملك. فقالـوا للملك: ألم نقل لـك إنَّهم ضعفاء العقول؟»[1].

٢. مقصديَّات السؤال:

لا يرتبـط الاسـتفهام في المناظرة إلَّا فيما نـدر بدلالته الحقيقيَّة، بل يـؤدِّي أغراضًا أخـرى تعكـس الطاقـة الحجاجيَّة التـي تتميَّز بهـا، ويمكـن عمومًا اختـزال أغراض الاستفهام داخل المناظرة في:

أ. سؤال الاستنكار.

ب. سؤال التقرير.

ج. سؤال التوريط.

د. السؤال الجوابيّ[2].

سؤال التوريط:

إذا كـان هـدف المناظرة الإلـزام والإفحـام للخصـم في القضيَّة المعروضـة، فإنَّ الإسـتراتيجيَّة الحجاجيَّـة في التوريـط عملٌ يتوخَّـى إرباك الخصم؛ فيجـرُّه إلى خلاف اعتقاده، أو التنكر لرأيه، والانسجام مع موقف مناظره[3].

(١) المناظرات في الإمامة: ٣٣٢-٣٣٣.
(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢١٥.
(٣) م.ن: ٢١٨.

إنَّ استفهامات التوريط التي تشتغل بوصفها آليَّة إقناعيَّة في مناظرة العلَّامة الحِلِّيّ، تتوخَّى الزجَّ بالخصم «في حالة حرجة مراهنة على أن لا يتخلَّص منها، أو (على الأقل) يخرج منها بشكلٍ سيِّء، وبالتالي تسجَّل نقطة ضده»[1].

إنَّ الاسئلة التي يتوخَّاها العلَّامة الحِلِّيّ في مناظرته مصيدة محكمة تجرُّ الخصم إلى سياقٍ فكريٍّ مناهض لمذهبه العقديّ، ومن ثمَّ يتحوَّل إلى محاجج ضد كينونته المعرفيَّة وأفكاره من دون أن يشعر، لذلك عدَّ أحد الباحثين أنَّ السائل يسعى من خلال هذا الاستفهام «ظاهريًّا إلى الاستعلام أو إلى توظيف ما هو غامض لديه، ولكنَّه في الحقيقة يسعى إلى تفتيت منهج التفكير والدفاع عند الخصم عن طريق التعاقب، والخصم في هذه الحالة، دون أن يريد، يشارك في بناء هذا المنهج الاحتجاجيّ عندما يجيب عن الأسئلة»[2].

والعلَّامة الحِلِّيّ يقوم بما يمكن أن نسمِّيه مقدِّمات الأسئلة التوريطيَّة، وذلك بأن يقوم بأفعال تستوجب السؤال من المناظر، كونها تحمل دلالة التقليل من شأو الشاه، كي يجبرهم على السؤال بعد دعوة الشاه لهم بذلك/ توجيه السؤال: «فلمَّا حضر العلَّامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة وجمعهم، فلمَّا دخل العلَّامة أخذ نعليه بيده ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك. فقالوا للملك: ألم نقل لك إنَّهم ضعفاء العقول؟ قال الملك: اسألوا منه في كلِّ ما فعل.

فقالوا له: لم ما سجدت للملك وتركت الآداب ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان ملكًا وكان يسلَّم عليه، وقال الله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً﴾[3]، ولا خلاف بيننا وبينكم أنَّه لا يجوز السجود لغير الله.

(1) Pierre Oleron: Organization et Articulation des Echanges de Paroles, p. 65.
نقلًا عن: بلاغة الاقناع في المناظرة: ٢٠٧.
(٢) المناظرة في الأدب العربيّ الإسلاميّ: ٢٥٥.
(٣) النور: ٦١.

قالوا له: لم جلست عند الملك؟ قال: لم يكن مكان غيره. وكلُّ ما يقول العلَّامة بالعربيّ كان المترجم يترجم للملك»[1].

وهنا أفحمهم بالإجابة من خلال اتِّخاذ الشاهد القرآني دليلًا إقناعيًّا على مصداق ما يقول، أو المصداق الواقعيّ في قوله: لم يكن مكان غيره.

ثمَّ يجرُّهم إلى مصيدة الأسئلة التوريطيَّة في قوله: «قالوا له: لأيِّ شيء أخذت نعلك معك، وهذا ممَّا لا يليق بعاقل، بل إنسان؟ قال: خفت أن يسرقه الحنفيَّة كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

فتأتي الإجابة الفكريَّة الإقناعيَّة من الخصم «فصاحت الحنفيَّة: حاشا وكلَّا، متى كان أبو حنيفة في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله؟، بل كان تولُّده بعد المائة من وفاته صلى الله عليه وآله»[3]، ولا يخفى حدَّة الاجابة الاستفهاميَّة الزمانيَّة (متى)، وتوكيدها بالفعل (فصاحت)، ودلالة (حاشا وكلَّا) مسبقًا بما يركِّز المحجاجة من الخصم ضدَّ منظومته العقديَّة من دون أن يشعر، ويثبت الدليل والبرهان الحجاجيّ الدامغ على نفسه.

ثمَّ يدَّعي النسيان المعرفيّ، فيقول: «فنسيت فلعلَّه السارق الشافعيّ»[4]، لتتعالى الأصوات «فصاحت الشافعيَّة كذلك، وقالوا: كان تولُّد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة، وكانت نشوؤه في المائتين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله»[5].

ويستمر العلَّامة الحِلِّيّ بتوريط بقيَّة علماء المذاهب الأربعة، فيأتي دور المالكيَّة

(١) المناظرات في الإمامة: ٣٣٣-٣٣٤.
(٢) م.ن: ٣٣٤.
(٣) م.ن: ٣٣٤.
(٤) م.ن: ٣٣٤.
(٥) م.ن: ٣٣٤.

والحنبليَّـة، فيقول: «لعلَّه كان مالك، فصاحـت المالكيَّة كالأوَّلين. فقال: لعلَّه كان أحمد ففعلت الحنبليَّة كذلك»[1].

وبعد أن يسـدل العلَّامة الحِلِّيّ الستار على أسـئلته التوريطيَّة، يصل إلى مسك ختام مناظرتـه بإقامة البرهـان القاطع بأحقيَّة مذهب أهل البيـت عليهم السلام في الإمامة وأفضليَّتهم على المذاهب الأربعة، وحلَّ مسألة الطلاق، فـ«أقبل العلَّامة إلى الملك، وقال: أيُّها الملك علمت أنَّ رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله ولا الصحابة، فهذا أحد بدعهم أنَّهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتـب لا يجـوِّزون أن يجتهد بخلاف ما أفتى واحد منهم. فقـال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة؟ فقال الجميع: لا.

فقال العلَّامة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخيـه وابـن عمِّه ووصيِّه، وعلى أيِّ حـال، فالطلاق الذي أوقعه الملـك باطل؛ لأنَّه لم يتحقَّق شروطه، ومنها العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما ؟ قال: لا»[2].

وكانت نتائج هذه المناظرة أن تشـيَّع الشـاه، وأهل البلاد «ثـمَّ شرع في البحث مع العلماء حتَّى ألزمهم جميعًا، فتشيَّع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتَّى يخطبوا بالأئمَّة الاثنـي عشر عليهم السلام، ويضربوا السـكك على أسـمائهم، وينقشـوها على أطراف المسـاجد والمشاهد منهم»[3].

(١) المناظرات في الإمامة: ٣٣٤.
(٢) م.ن: ٣٣٥.
(٣) م.ن: ٣٣٥.

الخاتمة

بعـد حمد الله وتوفيقـه آن لنا ان نختم بحثنا بعد ان نظرنا إلى الاسـتفهام الحجاجي كمقتضى إقناعي بوصفه منهجًا لتحليل الخطاب عبر بنيته واساليبه وآلياته اللغوية، وان نشرع ببيان نتائج بحثنا وهي:

- حدَّدت معاني المناظرة لغةً واصطلاحًا بما يفي دلالتها المعرفيَّة الإشهاريَّة.
- أكَّـد البحث إجرائيًّا مدعمًا بالشـواهد حجيَّة المناظـرة ومشروعيَّتها في القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، ونصوص أهل البيت عليهم السلام.
- للمناظرة آداب معروفة ينبغي للمتخاصمين مراعاتها عند الخوض في الخطاب الحجاجيّ، والاشتغال الإقناعيّ للمناظرة.
- تعـدُّ المناظرة آيقونـة خطابيَّة، فهي فرع من فـروع الخطابة، ولدت من رحمها، ونمت وتطوَّرت حتَّى قيل عنها (خطابة حجاجيَّة)؛ لكنها تميَّزت عن الخطابة في كونهـا تقتضي خطاب الخاصَّـة، كما أنَّها خطابة مشـبعة بالمحاجَّـة الفكريَّة والمذهبيَّة.
- عـدَّ خروج الاسـتفهام عـن حقيقته إلى الاسـتفهام الحجاجيّ، الـذي يرتبط فيهـا بغايـات إقناعيَّـة، في جنسٍ اشـتغل عـلى مقامـات عقديَّة تسـالم عليها المتناظرون.

- أخذ الاستفهام الحجاجيّ في المناظرة دورًا محوريًّا، فمبنى المناظرة قائم على السجال الذي يقتضي اختلاف الذوات في قضيَّة محدَّدة، والاستفهام هو مغذِّي النقاش والشاحن للجدل والمحاجة.
- شغل الاستفهام الحجاجيّ أبعاد المناظرة الشكليَّة في طور الافتتاح، وطورَي المواجهة والمدافعة.
- تجلَّى الإقناع في الاشتغال الحجاجيّ للاستفهام الذي تحوَّل عن دلالته الحقيقيَّة؛ ليصبح أداةً لإيقاع الطرف الآخر، أو استدراجه إلى مقصد التوريط.

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات السيِّد محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- الأمالي، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) تحقيق حسين الأستاذ ولي وعليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- أهمُّ نظريَّات الحِجاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، د. جمادي صمود، ط١، منشورات كليَّة الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م.
- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تقديم وتحقيق حفني محمَّد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، ١٩٦٩م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، د.عبد اللطيف عادل، ط١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣م.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ت.
- تصحيح اعتقادات الإماميَّة، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق حسني

دركاهي، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- الحجاج في الشعر العربيّ القديم من الجاهليَّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريديّ، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠١م.
- الحكايات، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق السيِّد محمَّد رضا الجلاليّ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الخطاب الحجاجيّ السياسيّ في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة- دراسة تداوليَّة، (أطروحة دكتوراه)، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م
- خطاب المناظرة في التراث العربيّ (مقاربات لآليَّات بلاغة الإقناع)، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، مراكش، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمَّد عبد المعين خان، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد، ١٣٤٩هـ.
- دلائل الصدق لنهج الحقِّ، الشيخ محمَّد حسن المظفَّر (ت ١٣٧٥هـ)، ط١، مطبعة ستارة، قم، ١٤٢٢هـ.
- الرسائل الأدبيَّة من القرن الثالث إلى القرن السادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائيَّة)، صالح بن رمضان، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، منوبة، تونس، ٢٠٠١م.

- رسائل الامام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة- دراسة حجاجيَّة، رائد مجيد جبَّار الزبيديّ، (أطروحة دكتوراه)، كليَّة الآداب، جامعة البصرة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- شرح آداب البحث، طاش كبرى زادة، مجلَّة المناظرة، السنة الثانية، العدد٣، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ، يونيه ١٩٩٠م.
- الطراز المتضمِّن لأسرار البلاغة وحقائق علوم الإعجاز.
- الفصول المختارة من العيون والمحاسن، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، ط٤، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الفن ومذاهبه في النثر العربيّ، د. شوقي ضيف، ط٥، دار المعارف، مصر، د.ت.
- في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربيَّة، الخطابة في القرن الأوَّل نموذجًا، د. محمَّد العمريّ، سلسلة الدراسات النقديَّة، ط١، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- القاموس المحيط، الفيروز آباديّ (ت ٨١٧هـ)، د.ط، د.م، د.ت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ت.
- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، ١٩٩٨م.
- المخصَّص، ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ت.

- المناظرات في الإمامة، تأليف وتحقيق الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، قم ١٤١٥هـ.
- المناظرة في الأدب العربيّ الإسلاميّ، د.حسين الصدِّيق، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالميَّة للنشر، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- المنطق، الشيخ محمَّد رضا المظفَّر (ت ١٣٨٣هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين، قم، د.ت.
- المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافيّ ومتَّى، محمَّد حسن عبد الله، مجلَّة البيان الكويتيَّة، العدد٣٦٨، الكويت، مارس ٢٠٠١م.
- منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ه)، تحقيق رضا المختاريّ، ط١، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، د.ت.

توجيه القراءات القرآنيَّة
عند ابن إدريس الحِلِّيّ (ت ٥٩٨هـ)

م.د. عليّ سعيد جاسم
مديريَّة تربية بابل

أ.م.د. رياض رحيم ثعبان المنصوريّ
جامعة بابل/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

Directing Quranic Readings
By Ibn Idris Al-Hali (D. 598 AH)

Dr. Ali Saeed Jassim
Babylon Education Directorate

Dr. Reyadh Raheem Thuban Al-Mansoori
University of Babylon/College of Islamic Sciences

خلاصة البحث

لا يخفى على القارئ ما للقراءات القرآنيَّة من أهميَّة كبيرة وأثر عظيم في الدراسات اللغويَّة؛ لكونها أحد مصادر السماع الرئيسة، وقد اهتمَّ العلماء بها وأولَوها عنايتهم، ومن مظاهر الاهتمام العناية بتوجيه هذه القراءات، ومن العلماء الذين وجَّهوا القراءات القرآنيَّة ابن إدريس الحِلِّيّ، هذا العالم النِّحرير الذي سبر أغوار العربيَّة وخاض في غمارها، وقد جمعنا توجيهات هذا العالم من مظانِّها، وعرضناها في هذا البحث بصورة مسائل متتابعة، ذكرنا في كلِّ مسألةٍ منها توجيه ابن إدريس، وعقدنا الموازنة بين توجيهه وتوجيهات من سبقه من العلماء؛ لغرض الوقوف على مقدار الشبه والاختلاف، والأثر والتأثُّر، ثمَّ أشرنا إلى توجيهات العلماء الذين جاؤوا بعده ممَّن كانت توجيهاتهم قريبة من توجيهه. وتبيَّنَ أنَّ تطبيقات ابن إدريس العمليَّة للتوجيه تشهد له بالبراعة وطول الباع، فهو يذكر أصوب التوجيهات ويعضدها بحجج مقنعة، وقد أفاد في قسم منها ممَّن سبقه، إلَّا أنَّه انماز برقيِّ العرض وجمال السرد، ديدنه التيسير على من قرأ، وقد أجاد أيما إجادة في عرض آراء من سبقه، ولم يكتفِ بالعرض، بل ناقش تلك الآراء، وضعَّف ما يدخله الوهن منها، وأيَّد ما يستحق التأييد، وشفع مناقشته بأدلَّة مفحمة، وحجج متينة.

Abstract

It is clear to the reader what the Quranic readings of great importance and great wealth in the linguistic studies, because it is one of the sources of the main hearing, and was concerned with the first and the first attention, and the attention to care to guide these readings, and scientists who directed readings Ibn Idris al-Hali this liberal world We have collected the guidance of this world from its manifestations and presented it in this research in the form of sequential questions.

We mentioned in every issue the guidance of Ibn Idris, and we held the balance between his guidance and the guidance of his predecessors, in order to determine the amount of similarity, difference, Affected. We then refer to the guidance of the scientists who came after him who were guided close to directing It turns out that the applications of Ibn Idris the process of guidance testify to him brilliance and the long experience, as he mentions the best directives and supports them with convincing arguments, and he has benefited in some of them

from those who preceded him, but he was distinguished by the elegance of the presentation and the beauty of the narration, which made it easier for those who read. He was very good at presenting the opinions of those who preceded him, and he was not satisfied with the presentation, but rather discussed those opinions, and weakened the weaknesses of them, and supported what deserves support, and accompanied his discussion with compelling evidence and solid arguments.

المقدِّمة

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، مُنزِّلِ القرآنِ الكريمِ على صدرِ الصادقِ الأمينِ، وباعثِ نبيِّ الرحمةِ محمَّدٍ خاتمِ الرُّسلِ والنَّبيِّين، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله أجمعين، ورضوانُ اللهِ تعالى على مُتَّبِعِهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

إنَّ القرآن الكريم ليسَ كتابًا يُتعبَّدُ بتلاوتِهِ فحسب، بل هو دستور للحياة بكلِّ تفاصيلِها، ولا شكَّ في أنَّ اختلافَ قراءاتِهِ وأداءِ كلماتِهِ له أهميَّةٌ كبيرةٌ اكتسبَها من أهميَّةِ النصِّ، ولا سيما أنَّ هذا الاختلافَ في الألفاظِ والأصواتِ والحركاتِ مرتبط ارتباطًا شديدًا بطريقة أداء هذا النصِّ وطريقة نطقه- وإنْ كان القرآن الكريم والقراءات القرآنيَّة حقيقَتان متغايرَتان- هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى تمثِّلُ القراءاتُ نصًّا عربيًّا قديمًا، وتتوقَّفُ على حجِّيتها وتواترِها فصاحةُ ما وردَ فيها من ألفاظٍ وتراكيبَ وأصواتٍ، فإذا ثبتتْ صحَّةُ القراءةِ وحجِّيتُها ثبتتْ تبعًا لذلك فصاحتُها وسلامتُها اللغويَّة؛ ممَّا يبيح لنا القياس عليها ومحاكاتها، أو محاولة الاقتداء بقواعدها وقوانينها وأفانين نظمها في استعمالاتنا اللغويَّة الفصيحة. وإذا ثبت أنَّها خاضعة للاجتهاد والخطأ والصواب، لم يمكن الاطمئنان إلى فصاحتها، أو الركون إلى ضوابطها وقواعدها.

والباعث إلى الخوض في غمار هذا الموضوع توجيهات ابن إدريس للقراءات القرآنيَّة، ووقفاته العميقة المتأنِّية عندها، فضلًا عن شخصيَّة ابن إدريس الحِلِّيّ (ت ٥٩٨هـ)، وهو محمَّد بن منصور بن إدريس العجليّ الحِلِّيّ، كان شيخ الفقهاء بالحِلَّة،

متقنًا في العلوم، كثير التصانيف[1].

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُرتَّب بصورة مسائل متتابعة، ذكرنا في كلِّ مسألةٍ منها توجيه ابن إدريس، وعقدنا الموازنة بين توجيه ابن إدريس وتوجيهات من سبقه من جهة، وتوجيهات من جاء بعده من جهة أخرى؛ للوقوف على مقدار الشبه والاختلاف.

وختمنا بحثنا هذا بمجموعة من النتائج، من شأنها أن تسلِّط الضوء على ما ضمَّه البحث، وما توصَّلنا إليه. وذكرنا بعدها أهم المصادر والمراجع التي رجعنا إليها ممَّا ورد ذِكره في هوامش الكتاب.

(١) يُنظر: رجال ابن داوود: ٢٦٩، وجامع الرواة: ٢/ ٦٥، وأمل الآمل: ٢/ ٢٤٤.

توجيه القراءات القرآنيَّة

مفهوم التوجيه

التوجيه لغةً:

توجيه الشيء جعله على جهةٍ فيستقيم، والأصل في الوجه المقابلة، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقابلةٍ لشيء... ووجَّهتُ الشيء: جعلته على جهةٍ»[١]، ووَجَّهَ الأمر: جعل له تدبيرًا من جهة أخرى، إذا لم يستقم على جهته[٢]. فهو تقليب الأمر حتَّى يستقيم له وجه حسن، «وأصل هذا في الحجر يوضع في البناء، فلا يستقيم، فيُقلَبُ على وجهٍ آخرَ فيستقيم»[٣]، وهذا ما يحدث مع القراءة ورواية الشعر، فالموجِّه يقلِّب النصَّ الذي أمامه حتَّى يستقيم.

التوجيه اصطلاحًا:

التوجيه بوصفه مصطلحًا من مصطلحات علم القراءات لم نجد له ذِكرًا عند متقدِّمي العلماء ومتأخِّريهم، على الرغم مِن استعمالهم للفظ التوجيه والوجه، وما شاكلهما، وعند الاطِّلاع على استعمالات القدماء لألفاظ التوجيه يتَّضح أنَّ استعمالهم لها لا يبتعد كثيرًا عن الدَّلالة المعجميَّة والقرآنيَّة، ويبدو للباحِثين أنَّ توجيه

(١) مقاييس اللغة، مادَّة: (وجه): ٦/ ٨٨-٨٩.
(٢) يُنظر: لسان العرب، مادَّة: (وجه): ١٥/ ٢٢٦.
(٣) لسان العرب، مادَّة: (وجه): ١٥/ ٢٢٦.

القراءة القرآنيَّة يُراد به بيان أنَّ القراءة لها وجه في العربيَّة يوافق ضوابط اللغة، فيُقال على سبيل التَّمثيل: توجيه القراءة كذا وكذا، أو وجهها كذا وكذا؛ لإثبات موافقتها لسنن العرب في كلامها، وعدم خروجها عن أحكام اللغة العربية. وإنْ لم يستقم التوجيه من جهة يُصار إليه من جهةٍ أخرى(١).

توجيه القراءات القرآنيَّة عند علماء الحِلَّة

بحسب اطِّلاعنا، لم يبيِّن علماء الحِلَّة معنى التوجيه عمومًا، أو معنى أحد أقسام التوجيه اللغويّ، بَيدَ أنَّنا نجد في كتبهم توجيهات لقراءات عدَّة أجادوا فيها التطبيق، على الرغم من إهمالهم الجانب النظريّ للتوجيه، فالتطبيقات العمليَّة للتوجيه مبثوثة في كتبهم في مواضع كثيرة تشهد على براعتهم، وطول باعهم، ودقَّة عنايتهم، ولطف صنعتهم(٢).

وقد وجَّه عدد من علماء الحِلَّة القراءات القرآنيَّة في مواضع معيَّنة، ومن أبرزهم وأسبقهم ابن إدريس الحِلِّيّ، الذي سنتناول توجيهاته في هذا البحث.

توجيهات ابن إدريس الحِلِّيّ (ت ٥٩٨هـ)

وجَّه ابن إدريس القراءات القرآنيَّة في مواضع عدَّة، أفصحت عن علمٍ جمٍّ واطِّلاعٍ

(١) يُنظر: التوجيه النحويّ للقراءات القرآنيَّة عند السخاوي في كتابه فتح الوصيد في شرح القصيد: ٣.

(٢) كتبتُ في هذا الميدان الأبحاث الآتية: الموقف الفقهيّ لعلماء الحِلَّة من القراءات القرآنيَّة، منشور في مجلَّة المحقِّق الحِلِّيّ، السنة الأولى، المجلَّد الأوَّل، العدد الثاني، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. وبحث التوجيه الصرفيّ للقراءات القرآنيَّة عند المقداد السيوريّ، مقبول للنشر في مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة في جامعة بابل، وموقف علماء الحِلَّة من القراءات القرآنيَّة والمفاضلة بينها (بحث) مقبول للنشر في مجلَّة مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والتاريخيَّة.

واسع على علوم العربيَّة، ومن توجيهاته:

١. **في قولـه تعالى:** ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [سـورة البقـرة: ٣١]: اختلف القـراء في قراءة (أَنۢبِـُٔونِي)[١]، قال ابن إدريـس: «أكثر القرَّاء بهمز، ورُوي عن الأعمش تـرك الهمزة فيه، وهي لغة قريـش»[٢]، وأحال ترك الهمزة فيهـا إلى لهجة قريش، وأراد بهـذا أن يثبـت صحَّة القراءة، إذ إنَّها جرت على وفق لهجـة فصيحة من لهجات العرب، والقراءة منسوبة أيضًا إلى أبي جعفر[٣].

فالاختلاف حاصل بين الهمز والتسهيل، كما اختلفت اللهجات، فمنهم من أجرى عـلى الهمزة أحكام التخفيـف، وهو ما جرى في لهجة قبيلة قريـش؛ للاقتصاد في الجهد المبـذول عند نطقها؛ «لأنَّها نـبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهـي أبعد الحروف مخرجًا، فثقل عليهم ذلك؛ لأنَّه كالتهوُّع»[٤]، وبسبب صعوبة النطق بالهمزة وثقلها؛ «مالت كلُّ اللهجات السـاميَّة إلى التخلُّص منها في النطق»[٥]، وانتقل التخلُّص من الهمز من اللغة السـاميَّة إلى عدد من اللهجات العربيَّة، ولا سـيما الحضريَّة[٦]، فنجد أهل الحجاز وأهل المدينـة والأنصار يميلون إلى التخلُّص من الهمـز، فضلًا عن القبائل (غاضرة، وهذيل، وقريش، وكنانة، وسـعد بن بكر)، في حين مالت إلى الهمز القبائل (تميم، وتيم الرباب، وغنيّ، وعكل، وأسد، وعقيل، وقيس، وبنو سلامة من أسد)[٧].

(١) يُنظر: معجم القراءات: ١/ ٤٣.
(٢) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، وهو ضمن موسوعة ابن إدريس: ٢/ ١٤٨.
(٣) يُنظر: معجم القراءات: ١/ ٤٣.
(٤) كتاب سيبويه: ٣/ ٥٤٨.
(٥) في اللهجات العربيَّة: ٦٨.
(٦) يُنظر: لهجة قبيلة تميم: ٨٥.
(٧) يُنظر: اللهجات العربيَّة في التراث: ٣٣٦.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ اللغة العربيَّة النموذجيَّة جاءت بالهمز[1].

نلاحظ في كلمة (أَنْبِئُونِي) أن الهمزة مضمومة مسبوقة بكسرة، وتقتضي قواعد تخفيف الهمز أن يكون تخفيف مثل هذه الهمزة بجعلها همزة بين بين[2]. ولكن سرعان ما نتفاجأ عندما نجد أنَّ الأعمش حذف الهمزة بدلًا من أن يجعلها همزة بين بين، ويبدو أنَّ مردَّ هذا إلى وقوع الواو بعدها، والواو صوت ثقيل، واجتماع الواو مع ما يشبه الواو- أعني الهمزة التي بين الهمزة والواو- يزيد الثقل، فكأنَّه بمنزلة اجتماع صوتَي واو.

في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [سورة البقرة: ٢٣٦]، اختلف القراء في قراءة (تَمَسُّوهُنَّ)[3]، قال ابنُ إدريس: «ومَن قرأ (تَمَسُّوهُنَّ) بلا ألف؛ فلقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة مريم: ٢٠]، فإنَّه جاء على (فَعَل)، وكذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: ٥٦، ٧٤]، ومَن قرأ (تماسوهنَّ) بألف، فلأنَّ (فاعَل)، و(فَعَل) قد يُراد بكلٍّ واحدٍ منهما ما يُراد بالآخر، نحو: طارقت النعل، وعاقبتُ اللصَّ، ولا يلزم على ذلك في آية الظهارة مِن قبل أن يتماسَّا؛ لأنَّ المماسة محرَّمة في الظهار على كلِّ واحدٍ من الزوجَين للآخر، فلذلك لم يجز إلَّا قبل أن يتماسَّا»[4]. فهو يرى أنَّ المراد بالقراءَتَين معنًى واحد، وأنَّ فاعَل وفَعَل، أي (ماسَّ) و(مسَّ) دلالتهما ههنا واحدة على خلاف دلالة ماسَّ في آية الظهار، ففيها يُراد امتناع المماسَّة من الطرَفَين (الرجل وزوجه)، وهي التفاتة دقيقة غرضها التفريق بين الصيغَتَين الصرفيَّتَين (فَعَل)، و(فاعَل).

(١) يُنظر: في اللهجات العربيَّة: ٦٩، وفصول في فقه العربيَّة: ٨٣-٨٥.

(٢) يُنظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٥٤٢.

(٣) بحر العلوم: ١/ ١٥٥.

(٤) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، وهو ضمن موسوعة ابن إدريس: ٣/ ١٢٥.

ولتوجيه ابن إدريس أصلٌ عند الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، إذ قال: «تماسُّوهنَّ وتمسُّوهنَّ واحد، وهو الجماع، المماسَّة والمسُّ»[١]، فهو يذهب إلى اتِّحاد المعنى.

وفي حقيقة الأمر أنَّ زيادة المبنى تؤدِّي- غالبًا- إلى زيادة المعنى، واختلاف المعاني هنا لا يوجب اختلافًا في الحكم، فإذا قيل له: مسست زوجي، يعني هذا أنَّ الممسوسة قد لاقى من بدنها بدن الماسِّ، مثل ما لاقاه بدن الماسِّ من بدنها. فكلُّ واحدٍ منهما ماسٌّ للآخر، وممسوس منه[٢]، فالحكم واحد وإن اختلفت تفصيلاته.

وللسمرقنديّ (ت ٣٧٣هـ) إيضاح لطيف لهذه المسألة، إذ يقول: «قرأ حمزة والكسائيّ (تَمَاسُّوهُنَّ) بالألف من المفاعلة، وهو فعل بين اثنين، وقرأ الباقون بغير ألف؛ لأنَّ الفعل للرجال خاصَّة»[٣]، وعند التأمُّل في النصوص القرآنيَّة التي وردت فيها اللفظَتان نجد ما يعضد قوله، فالمسُّ ورد حيثما أُريد أن يكون من جهة الرجال فقط، والمماسَّة وردت حيثما أُريد لها أن تكون من الطرفَين، أي إفادة المشاركة، أي تشاركا في رغبة الجماع والمبادرة إليها. فهي على نحو: (قَتَلَ)، و(قاتَلَ). وقد وردت المماسَّة في موضعَين فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [سورة المجادلة: ٤].

وصفوة القول: إنَّ توجيه ابن إدريس له أصل عند علماء سبقوه، إذ ورد عند

(١) معاني القرآن: ١/ ١٥٥.
(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ١١٩.
(٣) بحر العلوم: ١/ ١٥٥، وتابعه كلٌّ من الثعلبيّ، وابن عطيَّة. يُنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/ ١٨٨، والمحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣١٨.

الفـرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، والطبريّ (ت ٣١٠هـ)، والسـمرقنديّ (ت ٣٧٣هـ)، والثعلبيّ (ت ٤٢٧هـ)، وابن عطيَّة (ت ٥٤٢هـ).

ونحـا هذا المنحـى في توجيه القراءَتَين عـدد من المتأخِّرين، منهـم: الفخر الرازيّ (ت ٦٠٦هـ): وأبو البقاء العكبريّ (ت ٦١٦هـ)، والقرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، وأبو حيَّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، والسمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)[١].

٢. **في قولـه تعـالى:** ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾ [سـورة المائدة: ٨٩] اختلف القرَّاء في قـراءة (عَقَّدتُّمُ)، قال ابن إدريس: «قرأ (عاقدتـم) بالألف ابن عامر، و(عَقَدتُّمُ) بلا ألف مع تخفيف القاف حمزة، والكسـائيّ، وأبـو بكر عن عاصم، الباقون بالتشـديد. قال الحسـين بن عليّ المغربيّ[٢]: في التشـديد فائـدة، وهـو أنَّه إذا كرَّر اليمين على محلوفٍ واحدٍ، فإذا حنث لم يلزمه إلَّا كفَّارة واحدة، وفي ذلـك خـلاف بين الفقهـاء، والذي ذكره قـوي. ومَن قرأ بالتخفيف جـاز أن يريد الكثـير من الفعل والقليـل، إلَّا أنَّ فعَّل يختصُّ بالكثير، كما أنَّ الركبة تختصُّ بالحال التي يكـون عليها الركوب. فأمَّا قراءة ابن عامر فتحتمل أمرَين: أحدهما أن يكون (عاقدتم) يُـراد به (عقدتم) كما أنَّ عافاه الله، وعاقبت اللـصَّ، وطارقت النعل بمنزلة فعلت»[٣]،

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب: ٦/ ٤٧٤، والتبيان في إعراب القرآن: ١/ ١٨٨، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١٩٩، والبحـر المحيـط في التفسـير: ٢/ ٥٢٨، والـدرُّ المصـون في علوم الكتـاب المكنون: ٢/ ٤٨٦.

(٢) ابن النعمان، أبو عبد الله الحسين ابن قاضي القضاة أبي الحسن عليّ ابن قاضي القضاة أبي حنيفة النعـمان بن محمَّد المغربيّ، العبيديّ، الشـيعيّ. ولي بعد موت عمِّه محمَّد بأيام، وَتمكَّن، واسـتمرَّ، فحكم خمس سـنين ونصفًا، فعُزِل في رمضان، سـنة ٣٩٤هـ بابن عمِّه أبي القاسم عبد العزيز بن محمَّد، وجرى له أمرٌ كبير مع الحاكم، ثمَّ ضُربَت عُنُقه في أوَّلِ سنة خمسٍ وتسعين، وأُحرق. يُنظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٤٥-١٤٦.

(٣) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، وهو ضمن موسوعة ابن إدريس: ٣/ ٤٢٢.

فهو يستحسن التشديد؛ لأنَّ (فعَّل) يختصُّ بالكثير، والتخفيف جاز فيه الكثير والقليل.

والقراءة بالتخفيف عند غيره أولى القراءَتَين بالصواب في ذلك؛ وذلك أنَّ العرب لا تكاد تستعمل (فعَّلت) في الكلام، إلَّا فيما يكون فيه تردُّدٌ مرَّة بعد مرَّةٍ، مثل قولهم: شدَّدت على فلان في كذا، إذا كُرِّر عليه الشدَّة مرَّة بعد أخرى. فإذا أرادوا الخبر عن فعلِ مرَّة واحدةٍ قيل: شَدَدت عليه، بالتخفيف[١].

ولتوجيه ابن إدريس أصل عند غيره، وإنْ اختلفت عباراتهم[٢].

٣. في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٥] اختلف القراء في قراءة (دَرَسْتَ)، قال ابن إدريس: «قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (دارست) بألف وفتح التاء، الباقون بلا ألف (دَرَسْتَ) بفتح التاء. أصل الدرس استمرار التلاوة. قال أبو عليّ النحويّ: مَن قرأ (دارست) معناه دارست أهل الكتاب وذاكرتهم»[٣]. فمن قرأ (دَرَسْتَ) قصد استمرار التلاوة، ومَن قرأ (دارستَ) قصد المذاكرة ومدارسة أهل الكتاب. ويبدو أنَّه أفاد من قول الفرَّاء: «وقرأ بعضهم (دارست) يريدُ: جادلت اليهود وجادلوك. وكذلك قَالَ ابن عبَّاس. وقرأها مُجَاهد (دارَسْت) وفسَّرها: قرأت على اليهود وقرؤوا عليك. وقد قرئت (دُرِسَتْ) أي: قُرِئت وتليت. وقرءوا (دَرُسَتْ) وقرؤوا (دَرَسَتْ) يريد: تقادمت، أي هَذَا الَّذِي يتلوه علينا شيء قد تطاول ومرَّ بنا»[٤]، فدارست بمعنى ذاكرت أهل الكتاب

(١) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠/ ٥٢٤.
(٢) يُنظر: إعراب القرآن للنَّحاس: ١/ ٢٨٠-٢٨١، وبحر العلوم: ١/ ٤١٤-٤١٥، و التفسير البسيط: ٧/ ٥٠١، والمحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٢٢٩.
(٣) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، وهو ضمن موسوعة ابن إدريس: ٣/ ٤٨٥.
(٤) معاني القرآن: ١/ ٣٤٩، ويُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٢٨.

ودارستهم[١]، وهو يحمل معنى المشاركة، و(دَرَسْتَ) أي: قرأتَ الكتب[٢]. قال الزجَّاج (ت ٣١١هـ): «وقوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾. فيها خمسة أوجه، فالقراءَة (دَرَسْتَ)، بفتح الدال وفتح التاءِ ومعناه: وليقولوا قرأت كتُبَ أهل الكتاب، وتُقرأ أيضًا (دَارَسْتَ)، أي ذاكرت أهل الكتاب. وقال بعضهم: (وليقولوا دَرَسَتْ) أي هذه الأخبار التي تَتْلُوهَا عَلَينَا قديمة قد دَرَسَتْ، أي قد مضت وامَّحَتْ»[٣]، وعلى هذا غير واحد من العلماء[٤].

وزاد عليهم النحاس أنَّ «مَن قرأ (دَرَسَتْ) فأحسن ما قيل فيه: إنَّ المعنى ولئلَّا يقولوا: انقطعت وامَّحت،... وأحسن ما قيل في (دارستَ): إنَّ معناه: دارستنا، فيكون معناه كمعنى (دَرَسْتَ»)[٥]، فعنده (دَرَسْتَ) و(دارسْتَ) بمعنى واحد.

ويبدو أنَّ ابن إدريس قد اطَّلع على آراء العلماء ممَّن سبقه، فهو لم يبتعد كثيرًا عمَّا ذكروه، فأكثر التوجيهات ورودًا تذكر أنَّ (دَرَسْتَ) بمعنى قرأتَ، و(دارستَ) بمعنى المذاكرة، أو المجادلة.

وإذا ما تتبَّعنا آراء من جاء بعد ابن إدريس، فسنجد أنَّ هذا الوجه الذي ذكره قد ورد عند عدد من العلماء الذين جاؤوا بعده، ومنهم: العكبريّ[٦]، والقرطبيّ[٧]،

(١) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.
(٢) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.
(٣) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.
(٤) يُنظر: تأويلات أهل السنَّة: ٤/ ٢٠٣-٢٠٤، وبحر العلوم: ١/ ٤٧٣، والتفسير البسيط: ٨/ ٣٤١-٣٤٢، والكشَّاف: ٢/ ٥٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٣١.
(٥) إعراب القرآن: ٢/ ٢٦.
(٦) يُنظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٥٢٨.
(٧) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٥٨-٦٠.

والبيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)[١]، والسمين الحلبيّ[٢].

٤. في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾ [سورة الواقعة/ ١٧-٢٢]، اختلف القرَّاء في قراءة ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[٣]، قال ابن إدريس: «فأمَّا قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ في قراءة من جرَّهما؛ فليس بمجرور على المجاورة، بل يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكونَ عطفًا على قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [سورة الواقعة/ ١٧-١٨] إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ عطف على أكواب، وقولهم: إنَّه لا يُطاف إلَّا بالكأس غير مسلَّم، بل لا يمتنع أن يطاف بالحور العِين كما يُطاف بالكأس، وقد ذُكر في جملة ما يُطاف به الفاكهة واللحم.

والثاني: أنَّه لـمَّا قال: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [سورة الواقعة: ١١-١٢] عطفَ بحور عين على جنَّات النعيم، فكأنَّه قال: هم في جنَّات النعيم، وفي مقاربة أو معاشرة حور عين»[٤]، فذكر توجيهَين لقراءة الجرِّ:

أحدهما: العطف على (أكواب) أي بمعنى، يطوف الولدان المخلَّدون بأكواب وبحور عِين، وذهب إلى أن الطَّواف بالحور ممَّا لا يمتنع. فكأنِّي به أراد أن يردَّ على من لجأ إلى التأويل هربًا من جعل (الحور) ممَّا يُطاف به، لما استقرَّ في أذهانهم من قبح هذا المعنى في الحياة الدنيا. فحملوا الجنَّة محمل الدُّنيا، وظنُّوه قبيحًا في الجنَّة أيضًا، بَيدَ أنَّ

(١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٧٦.
(٢) يُنظر: الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: ٥/ ٩٦.
(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/ ١٠٥-١٠٦.
(٤) إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان، وهو ضمن موسوعة ابن إدريس: ٣/ ٣٦١-٣٦٢.

أحكام الآخرة تختلف عن أحكام الدُّنيا، ولعلَّ أدلَّ دليل على اختلاف أحكام الدُّنيا عن أحكام الآخرة، قُبح طواف الولدان بالخمر في الحياة الدُّنيا بين المؤمنين، في حين جعله الله ممَّا يُثاب به في الجنَّة، وهو بمنزلة الجائزة لهم؛ لتركهم للخمر في الحياة الدُّنيا، والله أعلم.

والآخر: العطف على جنَّات، وكأنَّ المعنى المراد: في جنَّات النعيم، وفي حور عين. وهذا الوجه فيه نظر، من جهتَين:

الأولى: طول الفصل بين التابع والمتبوع، إذ إنَّ المتبوع (جنَّات) في آية (١٢)، والتابع (حور) في آية (٢٢)، وتفصل بينهما تسع آيات، وهذا فيه بُعدٌ، ويفكِّك أواصر كلام قد ارتبط بعضه ببعض[١].

والثانية: لا يستغني هذا الوجه عن التأويل، إذ لولا التأويل؛ لكان معناه صيرورة (السَّابقين) منهن، فأنت عندما تقول: دخلتْ زينب في نساء المدينة، فالمعنى: أنَّها صارت واحدة منهنَّ، وهذا لا يصحُّ مع جماعة الذكور، ولو جاء في غير القرآن: السَّابقون يدخلون على حور عين لجاز؛ لأنَّ معنى (على) غير معنى (في)، فيصحُّ دخولهم على حور عين، ولا يصحُّ دخولهم فيهنَّ، إلَّا إذا حُمِل على التَّأويل. والله أعلم بالصَّواب.

أمَّا العلماء الَّذين سبقوا ابن إدريس، فقد اختلفوا في توجيه قراءة الخفض، إذ قال الفرَّاء: «والخفض على أنْ تتبع آخر الكلام بأوَّله، وإنْ لم يحسن في آخره ما حسن في أوَّله، أنشد بعض العرب[٢]:

(١) يُنظر: البحر المحيط: ١/ ٨٠-٨١، والدرُّ المصون: ١٠/ ٢٠٢.

(٢) البيت للرَّاعي النَّميريّ. يُنظر: ديوانه: ١٥٠.

إذا مَا الغَانيات بَرَزْنَ يَوْمًا
وَزَجَجْنَ الحَواجِبَ وَالعُيُونَا

فالعين لا تزجج إنَّما تُكَحَّل، فردَّها على الحواجب؛ لأنَّ المعنى يُعرف»[(١)]، فجعل (حور) معطوفة على (أكواب)، وذهب إلى أنَّ الحور لا يصحُّ الطّوفان بهنَّ، كما يصحُّ مع الأكواب، غير أنَّ (حور) عُطِفَت على الأكواب؛ لوضوح المعنى المراد، فهذا الموضع ممَّا لا لبس فيه، ولهذا الوجه ما يقوِّيه، ويعضِّدهُ من أشعار العرب كأمثال البيت الَّذي استشهد به الفرَّاء، إذ عطف الشَّاعر العيون على الحواجب، مع أنَّ العيون لا تزجج، وساغ هذا العطف لوضوح المعنى، إذ يهتدي القارئ الفطن بيسر إلى أنَّ المقصود، وكحلن العيون، لا زججنهن. وذكر هذا الوجه بعد الفرَّاء عدد من العلماء[(٢)].

وقال الطبريّ: «اختلف القرَّاء في قراءة قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ فقرأته عامَّة قرَّاء الكوفة وبعض المدنيِّين (وحُورٍ عِينٍ) بالخفض إتباعًا لإعرابها إعراب ما قبلها من الفاكهة واللحم، وإن كان ذلك ممَّا لا يُطاف به، ولكن لما كان معروفًا معناه المراد أتبع الآخر الأوَّل في الإعراب، كما قال بعض الشعراء.

إذا مَا الغَانيات بَرَزْنَ يَوْمًا
وَزَجَجْنَ الحَواجِبَ وَالعُيُونَا

فالعيون تكَحَّل، ولا تزجَّج إلَّا الحواجب، فردَّها في الإعراب على الحواجب؛ لمعرفة السامع معنى ذلك»[(٣)].

(١) معاني القرآن: ٣/ ١٢٣.
(٢) يُنظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١١/ ٦٣٢، والكشف والبيان: ٦/ ٧٧، والمُكتفى في الوقف والابتدا/ ٣٤٥، والتبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٠٤.
(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/ ١٠٥-١٠٦.

وقال الـزَّجَّاج: قُرِئَ بالخفـض؛ «لأنَّ معنـى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ ينعمون بهـذا، وكذلك ينعمون بلحم طير، وكذلك ينعمون بحور عـين»[1]، ويبدو أنَّ الزَّجَّاج قـد جعل معنى الفعـل (يَطُوفُـونَ) بمعنـى ينعمون هربًا مـن إقرار الطـواف بالحور، وقريـب منه ما ذكـره النحَّاس، إذ قال: «والخفض جائز عـلى أن يُحمل على المعنى؛ لأنَّ المعنـى ينعمون بهذه الأشـياء وينعمون بحور عين، وهذا جائـز في العربيَّة كثير»[2]. ثم ردف حديثـه بأربعة من أبيات الشـعر العربيّ تعضد ما ذهب إليـه[3]، وتابعهما عدد من العلماء[4].

وذهـب ابن خالويه إلى وجه يبـدو قريبًا لأوَّل وهلة من الوجه الَّـذي ذكره الفرَّاء إذ قـال: «والحجَّة لمن خفض: أنَّه أشركهـنَّ في الباء الدَّاخلة في قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ...﴾ بـكأسٍ من معـين، وبحورٍ عين، فقطعهنَّ بالـواو، ولم يفرِّق بين أنْ يُطـاف به، وبيَّن أنْ يطوف بنفسـه»[5]، فجعل الحور معطوفة على الكأس، فهما شريكان في الطَّواف، غير أنَّ الكأس يُطاف به، والحور تطوف بنفسـها، فأُشركا في الطَّواف، وغُضَّ النَّظرُ عن الفرق بين طـواف هذا وطوف ذاك، فالشراكة في الطَّـواف لا في طريقته ونوعه، وبهذا خالف الفـرَّاء في أنَّه لم يجعل المعنى على تقدير فعل يلائم المعطوف، وأشرك الانباريّ بين الحور والأكواب في الطَّواف من دون أنْ يشـير إلى وجود فرق بين الطَّوافَين، ويبدو من ظاهر كلامه أنَّه جعل طواف الأكواب وطواف الحور على ضربٍ واحد[6].

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٨٨.
(٢) إعراب القرآن: ٣/ ٣٢٥.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٤) يُنظـر: معاني القـراءات: ٤٧٦، ومشـكل إعراب القـرآن: ٢/ ٧١٢، والكشَّـاف: ٤/ ٤٥٩، والمحرّر الوجيز: ١٤/ ٢٤٢.
(٥) الحجَّة في القراءات السبع: ٣٤٠.
(٦) يُنظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٢/ ٤١٥.

وقال السمرقنديّ: «قرأ حمزة، والكسائيّ ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالكسر عطفًا على قوله: بِأَكْوابٍ وَأَبارِيقَ والباقون وَحُورٌ عِينٌ بالضمِّ. ومعناها: ولهم حور عين»(١).

وقال أبو عليّ الفارسيّ: «ووجه الجرِّ أنْ تحمله على قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [سورة الواقعة: ١١-١٢]، والتَّقدير: أولئك المقرَّبون في جنات النَّعيم، وفي حور عين، أي: في مقارنة حور عين، ومعاشرة حور عين، فحذفتَ المضاف»(٢)، فذهب أبو عليّ إلى أنَّ (حور عين) معطوفة على (جنَّات)، على الرغم من طول الفصل، وقد ذكر الباحث آنفًا أنَّ الدخول في حور العين لا يصحُّ، ويبدو أنَّ أبا عليّ التفتَ إلى هذه المسألة؛ فقدَّر مضافًا، ليكون المعنى في جنات النَّعيم، وفي مقارنة حور عين، أو في معاشرة حور عين، وقريب مِن هذا الوجه ما ذكره بعده عدد من العلماء(٣)، منهم الزَّمخشريّ، وظاهر ما ذهب إليه أنَّه يجيز العطف على جنَّات من غير تقدير مضاف، إذ قال: «كأنَّه قال: هم في جنَّات النَّعيم، وفاكهة ولحم وحور»(٤).

بعد هذا العرض لآراء ابن إدريس، ومن سبقه، وتوجيهاتهم لقراءة الخفض، يتَّضح أنَّ **الوجه الأوَّل** من بين الوجهَين اللذَين ذكرهما ابن إدريس أعني: (العطف على أكواب) قريب من الوجه الَّذي ذكره الفرَّاء والزَّجَّاج ومَن تابعهما، وانفرد ابن إدريس بتجويز الطواف بحور عين، وكان قريبًا ممَّا ذكره بعد ابن إدريس ما ورد عند عدد مِن العلماء(٥).

(١) بحر العلوم: ٣/ ٣٩٢.
(٢) الحجَّة للقرَّاء السَّبعة: ٤/ ٢١.
(٣) يُنظر: حجَّة القراءات: ٦٩٥، والمُكتفى في الوقف والابتدا: ٣٤٤-٣٤٥.
(٤) الكشَّاف: ٤/ ٤٥٩.
(٥) يُنظر: إبراز المعاني: ٦٩٧، التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن:=

و**الوجه الثاني** الذي ذكره ابن إدريس، أعني: (العطف على جنَّات)، كان قريبًا إلى حدٍّ ما من الوجه الذي ذكره أبو عليّ الفارسيّ، وهو أكثر قربًا من الوجه الذي ذكره الزَّمخشريّ، وقريب منه ما ذكره بعد ابن إدريس عدد مِن العلماء[1].

=١٧/ ٢٠٤، وتفسير البيضاويّ: ٤/ ٢٣٢، والبحر المحيط: ١٠/ ٨٠، وإرشاد العقل السَّليم: ٦/ ٢٣٦، وفتح القدير: ٥/ ١٨٧، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧/ ٣٩٦.

(١) يُنظر: شرح شعلة: ٣٦٧، وإبراز المعاني: ٦٩٧، وتفسير البيضاويّ: ٤/ ٢٣٢، وإرشاد العقل السَّليم: ٦/ ٢٦٣، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧/ ٣٩٦.

نتائج البحث

بعد صحبة ابن إدريس الحِلِّيّ العالم المتبحِّر النحرير، وبعد الاطِّلاع على توجيهاته، توصَّلنا إلى مجموعة من النتائج، من أهمِّها:

١. اتَّضح أنَّ علماء الحِلَّة- ومنهم ابن إدريس- لم يتحدَّثوا عن التوجيه بوصفه مصطلحًا لغويًّا، ولم يولوا الجانب النظري شطرًا من عنايتهم، ولكن مَن يقلِّب صفحات كتبهم يجد فيها المزيد من التوجيهات السديدة، وكان ابن إدريس سبَّاقًا في هذا الميدان.

٢. تصحُّ القراءة عنده؛ لموافقتها لسنن العرب في كلامها، فيستقيم التوجيه عنده، إذا لم تخرج القراءة عمَّا جرت عليه لهجة فصيحة من لهجات العرب.

٣. ظهر أنَّه أفاد ممَّن سبقه في توجيهاته في مواضع، إلَّا أنَّه انماز برُقيٍّ عرضه وجمال سرده، ديدنه التيسير على مَن قرأ. وقد أجاد أيما إجادة في عرض آراء من سبقه، ولم يكتفِ بالعرض، بل ناقش تلك الآراء، وضعَّف ما يدخله الوهن منها، وأيَّد ما يستحق التأييد، وشفع مناقشته بأدلَّة مفحمة، وحجج متينة.

٤. وصف بعض التوجيهات بالبطلان؛ لمخالفتها علمه باللغة أو عقيدته، وقد يصف التوجيه بعدم الجواز، وهو في ذلك كلِّه ذهب معللًا.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقيّ (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩١م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المسمَّى تفسير أبي السعود، القاضي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى العماديّ الحنفيّ (ت ٩٨٢هـ)، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه وضبط نصَّه ووضع فهارسه الشيخ محمَّد صبحي حسن حلَّاق، إشراف مكتب البحوث والدرسات، ط١، دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، بعناية يوسف عليّ بديوي، ط١، مطبعة سليمان زاده، قم، طهران، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمَّد إسماعيل بن النحَّاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥. إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (مطبوع ضمن موسوعة ابن إدريس الحِلِّيّ)، الشيخ الجليل أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن إدريس العجليّ الحِلِّيّ

(ت ٥٩٨هـ)، تحقيق وتقديم السيِّد محمَّد مهدي السيِّد حسن الموسويّ الخرسانيّ، مكتبة الروضة الحيدريَّة، العتبة العلويَّة المقدَّسة، العراق، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٦. أمل الآمل، الحرُّ العامليّ (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق السيِّد أحمد الحسينيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، ١٣٦٢ش.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشيرازيّ البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمَّد عبد الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٨. بحر العلوم (تفسير السمرقنديّ)، أبو الليث نصر بن محمَّد بن إبراهيم السمرقنديّ (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق د. محمَّد مطرجي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).

٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيَّان أثير الدين الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

١٠. البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات عبد الرحمن بن محمَّد بن أبي سعيد الأنباريّ النحويّ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعه مصطفى السقَّا، دار الكاتب العربيّ، القاهرة، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١١. تأويلات أهل السنَّة، المسمَّى تفسير الماتريديّ، أبو منصور محمَّد بن محمَّد بن محمود الماتريديّ (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٢. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت ٦١٦هـ)، تحقيق عليّ محمَّد البجاويّ، عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه.

١٣. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمَّد بن عليّ الواحديّ، النيسابوريّ، الشافعيّ (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق لجنة علميَّة في جامعة الإمام محمَّد ابن سعود، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٤. تفسير البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشيرازيّ البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٥. التوجيه النحويّ للقراءات القرآنيَّة عند السخاويّ في كتابه فتح الوصيد في شرح القصيد (رسالة ماجستير)، رياض رحيم ثعبان الجبوريّ، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة بابل، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد، محمَّد بن عليّ الأردبيليّ الغرويّ الحائريّ (ت ١١٠١هـ)، مكتبة المحمَّديّ، (د.ت).

١٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمَّد الأنصاريّ القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، تصحيح أحمد عبد العليم البردونيّ وآخرين، ط٢، دار الكتب المصريَّة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

١٩. جامع الرواة، محمَّد عليّ الأردبيليّ (ت ١١٠١هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ١٤٠٣هـ.

٢٠. الحجَّة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١. حجَّة القراءات، أبو زُرعة عبد الرحمن بن محمَّد بن زنجله (ت في حدود ٤٠٠هـ)، تحقيق سعيد الأفغانيّ، ط٥، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٢. الحجَّة للقرَّاء السبعة أئمَّة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر ابن مجاهد، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفَّار الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)، وضع حواشيه وعلَّق عليه كامل مصطفى الهنداويّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣. الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العبَّاس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور أحمد محمَّد الخرَّاط، دار القلم، دمشق، سوريا (د.ت).

٢٤. رجال ابن داوود، ابن داوود الحِلِّيّ (ت ٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم السيِّد محمَّد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ الألوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق عليّ عبد الباري عطيَّة، دار

الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٦. السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العبَّاس بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق د. شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

٢٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٨. شرح شعلة على الشاطبيَّة المسمَّى كنز المعاني في حرز الأماني، أبو عبد الله محمَّد ابن أحمد ابن محمَّد بن أحمد بن الحسين الموصلِّيّ المعروف بشعلة (ت ٦٥٦هـ) تحقيق زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٩. فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد الشوكانيّ (ت ١٢٥٠هـ)، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٠. فصول في فقه العربيَّة، د. رمضان عبد التوَّاب، ط٦، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣١. في اللهجات العربيَّة، د. إبراهيم أنيس، ط٣، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، مصر، ١٣٩٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٢. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق د. عبد السلام محمَّد هارون، مطبعة المدنيّ، القاهرة، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٣. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود ابن عُمر الزمخشريّ الخوارزميّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ، ومؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبيّ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٥. كنز العرفان في فقه القرآن، الشيخ جمال الدين أبي عبد الله المقداد بن عبد الله السيوريّ (ت ٨٢٦هـ)، تحقيق السيِّد محمَّد القاضي، إشراف آية الله الشيخ واعظ زادة الخرسانيّ، نقَّحه وشارك في تحقيقه محمَّد الساعديّ، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، طهران، إيران، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٦. لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تصحيح أمين محمَّد عبد الوهاب، ومحمَّد الصادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربيّ، ومؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، (د.ت).

٣٧. اللهجات العربيَّة في التراث، د. أحمد علم الدين الجنديّ، الدار العربيَّة للكتاب، ليبيا، تونس، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

٣٨. لهجة قبيلة تميم وأثرها في الجزيرة العربيَّة، د. غالب فاضل المطَّلبيّ، ط١، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٩. مجاز القرآن، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التميميّ (ت ٢١٠هـ)، عارضه بإصوله وعلَّق عليه د. محمَّد فؤاد شزكين، تصدير أمين الخوليّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

٤٠. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمَّد عبد الحقِّ بن غالب بن عبد الرحمن بن تمَّام بن عطيَّة الأندلسيّ المحاربيّ (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤١. مشكل إعراب القرآن، أبو محمَّد مكّيّ بن أبي طالب القيسيّ، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط١، دار البشائر، دمشق، سوريا، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٢. معاني القراءات، أبو منصور محمَّد بن أحمد بن الأزهريّ الهرويّ، ط١، مركز البحوث في كليَّة الآداب، جامعة الملك سعود، السعوديَّة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٤٣. معاني القرآن، أبو زكريَّا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، ج١، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمَّد عليّ النجَّار، تصدير محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ج٢ تحقيق ومراجعة محمَّد عليّ النجَّار، ج٣ تحقيق عبد الفتَّاح إسماعيل شلبي، مراجعة عليّ النجديّ ناصف، دار السرور، (د.ت).

٤٤. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجَّاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، خرَّج أحاديثه الأستاذ عليّ جمال الدين محمَّد، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٥. معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ الرازيّ الملقَّب بفخر الدين الرازيّ، خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤٧. مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريَّا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٨. المُكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الدانيّ، تحقيق جايد زيدان مخلف، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينيَّة، بغداد، العراق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

شعر الخليعيّ في أهل البيت عليهم السلام
دراسة في الموضوع والفن

أ.د. عدنان كاظم مهدي
جامعة الكوفة/كليَّة الآداب
أ.د. صادق فوزي دبَّاس
جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

Al-Khalia'i's Poetry in Ahl al-Bayt (PBUT)
A Study in the Subject and Art

Prof. Dr. Adnan Kadhem Mahdi
University of Kufa/College of Arts
Prof. Dr. Sadeq Fawzy Dabbas
University of Kufa/College of Basic Education

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمَّدٍ خير الخلق أجمعين، وعلى أهل بيته الأطهار الميامين.

وبعد..

يتناول هذ البحث شاعرًا مهمًّا من شعراء الحِلَّة في القرن السابع الهجريّ، وهو أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز بن أبي محمَّد الخليعيّ الموصلِّيّ الحِلِّيّ المتوفَّى سنة ٦٥٠هـ، وهو شاعرٌ عُرِف بصلابة موقفه العقائديّ، وانتمائه لأهل البيت عليهم السلام، وقد أوقف شعره كلَّه في رثائهم وتعداد فضائلهم وكراماتهم، ولاسيما أمير المومنين عليه السلام، وقد أسهب كثيرًا في تصوير مأساة كربلاء وواقعة الطفِّ بأسلوبٍ شجيٍّ مؤثِّر، وبنفس ملحميّ ومنهج سرديّ يعتمد على سرد الوقائع والأحداث، فكان يصوِّر الواقعة تصويرًا مأساويًّا مفعمًا بالألم والحسرة؛ وكأنَّها تجري للتوِّ أمام أعيننا.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على النسخة التي حقَّقها الدكتور سعد الحدَّاد، واقتضت طبيعة البحث دراسة الموضوع في مقدِّمة ومبحَثَين، الأوَّل يعنى بدراسة الموضوعات التي تحدَّث فيها عن أهل البيت عليهم السلام، ويضمُّ هذا المبحث فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وتصوير واقعة الطفِّ بما تحويه من مواقف عديدة لسيِّد الشهداء عليه السلام، والعقيلة زينب عليها السلام، والإمام السجَّاد عليه السلام، وما جرى لهما من أحداثٍ بعد السبي. أمَّا المبحث الثاني فيتضمَّن دراسة فنيَّة لشعر الخليعيّ في أهل البيت عليهم السلام، ودراسة أهمِّ

الأساليب الواردة فيه، كالأسـلوب الخطابيّ، والسرد الشعريّ. وقد اعتمدنا في البحث منهجا تحليلًا يقوم على الاستقراء والتتبُّع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، إنَّه نِعم المولى ونِعم النَّصير.

Abstract

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and prayers and peace be upon Muhammad, the best of all creation, and upon his pure and faithful family, and after:

This research deals with an important poet of Al-Hilla in the seventh century AH, who is Abu Al-Hasan Ali bin Abdul Aziz bin Abi Muhammad Al-Khali'i Al-Mawsili Al-Hilli, who died in the year 650 AH. He was known for his solid ideological position and his affiliation with the Ahl al-Bayt (PBUT). He paused all his poetry in lamenting them and enumerating their virtues and dignity, and in particular the Commander of the Faithful (PBUH). He elaborated a great deal in depicting the tragedy of Karbala and the incident of Tuff in a melodious, touching, and epic style, and a narrative method that relies on narrating the facts and events. He depicted the incident in a tragic way full of pain and sorrow. As if it was just happening right in front of our eyes.

In our study, we have relied on the version achieved by Dr. Saad Al-Haddad. The nature of the research necessitated the

study of the subject in an introduction and two chapters. The first is concerned with studying the topics in which he spoke about Ahl al-Bayt (PBUT). This topic includes the virtues of the Commander of the Faithful (PBUH) and depicts the incident of al-Tuff with its many positions of the Master of the Martyrs (PBUH) and Aqila Zainab (PBUH) and Imam al-Sajjad (peace be upon him) and what happened to them after the captivity. As for the second topic, it includes a technical study of Al-Khali'i's poetry in Ahl al-Bayt (PBUT) and a study of the most important methods contained in it, such as the rhetorical style and poetic narration. In the research, we have adopted an analytical approach based on induction and tracking.

And our last prayer is that praise be to God, Lord of the worlds, for He is the best Lord and the best helper.

المبحث الأوَّل

المضامين

هذا الشاعر المتعطِّش لمحبَّة أهل البيت عليهم السلام، كان يتوسَّل بكلِّ ما أوتي في سبيل الكشف عن فضائل أهل البيت، وبيان مظلوميَّتهم، والتعريف بفضلهم، وإزاحة الستار عن أحقيَّتهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو لم يألُ جهدًا في بيان ذلك، مسخِّرًا إمكاناته الشعريَّة وقدراته الفنيَّة في سبيل ذلك. وفي هذا المبحث سنتناول موضوعَين، هما فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وواقعة الطفِّ.

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

يقول الخليعيّ مخاطبًا أمير المؤمنين عليه السلام متوجِّهًا إليه بالتحية والإعظام[1]:

مـــولاي يـا جـنـب الإلـــه وعـيـنـه
يـا ذا المـنـاقـب والمـراتـب والـعـلى
وخـضـوعـهـا لـك في الخـطـاب وقـولها
يـا قـــادرًا يـا قـاهـرًا يـا أوَّلا

وبعد هذه التحيَّة، يسترسل الشاعر في خطاب الإمام، ويدخل مدخلًا جميلًا في بيان فضائله، فيقول:

(١) الديوان: ٤٠.

وكـــلام أصـحـاب الـرقـيـم وردهـــم
منك الـسـلام ومـا استـنـار ومـا انجلى
وحـــديـــث ســـلـــمان ونـــصرتـــه عـلى
أســد الـفـرات وعـلـم مـا قـد أشكـلا
لا يـسـتـقـر ذوو الـنـهـى ويـقـل من
أن يـرتـضي ويجـلُّ مـن أن يـذهـلا

وهنـا يبـدأ في تعـداد تلك الفضائـل، ومنهـا تكليمـه لأصحاب الرقيـم، وقصة سلمان رضي الله عنه والأسد على نهر الفرات[1].

ومن ثمَّ ينتقل الشاعر لتوكيد مكانة الإمام عليه السلام عند الله، من أنَّ الله عز وجل قد نصَّبه وليًّا على المسلمين، وقد أخذ العهود منهم لهذا الأمر، فيقول[2]:

أَخّـذَ الإلـهُ لَكَ العُهُودَ عَلَى الورى في الـذَّرِّ لـمَّا أنْ بَـرَا وبِـكَ ابْتَـلى
في يَـوْمِ قَـالَ لَـهُمْ: أَلستُ بِرِبِّكُمْ وَعَـلِيٌّ مَـولاكُـم معًـا؟ قـالـوْا: بَلى

وكان الشاعر يستدعي شخصيَّة الإمام عليه السلام، ويُجري خطابًا على لسانه، فيقول[3]:

فـــأنـــا مـــســـتـــودع الأســـ
ـــــرار والـــغـــيـــب المـــصـــون
وأنـــــا الهـــــادي إلى سـبـ
ـــــل الهـــــدى فـــاتَّـــبـــعـــوني
وأنـــــا الـــــوارث عـــلـــم الـــ
ـــمـــصـــطـــفـــى، فـــاســـتـــبـــقـــوني

(١) الديوان: ٤٠.
(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٠.
(٣) الديوان: ٦٧.

فـــاســـألـــوا الـــتـــوراة والأنـــ

ـــجـــيـــل عـــنِّـــي تجـــدوني

واطـــلـــبـــوا في حـــكـــم الـــقـــر

آن وصـــفـــي تـــعـــرفـــوني

ويزيد الشـاعر من الأدِّلة الواضحة في بيان فضائله، من إشـارته إلى حادثة مباهلة وفد نصارى نجران، فيقول[1]:

وأنـــــا الـــحـــجَّـــة في الخـــلـــ

ـــق إذا هـــم بـــاهـــلـــوني

وهنا الشـاعر يحاجج الآخريـن في أفضليَّة الإمام ومكانته، مـن خلال ما جاء من ذِكـره في التـوراة والإنجيـل، وهذا دليل عـلى أن مكانتـه معروفة عنـد أصحاب أهل الكتاب قبل المسـلمين، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنَّما يدلُّ على أن الإمام له امتداد واسـع في النصوص المقدَّسـة، وتاريخ قديم في الإمامة والتكليف مـا بعد النبوَّة، ما يجعله على قَدَرٍ موازٍ في الإيمان بعد الرسول، ومن ثمَّ يقرن هذا كلّه بتأكيد استمراريَّة هذا الامتداد النـورانيّ الإيمانيّ الوجوديّ للإمام مـن خلال النصِّ القرآنيّ، لـذا يطلب من أصحاب العقول النيِّرة أن يبحثوا عن وصفه في القرآن، ويستدلُّ على هذا الوصف بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[2]، فيقول[3]:

وإلى عـــلـــمـــي أشـــــار الـــلَّـــ

ـــــه ذو الـــعـــــرش المـــكـــين

(١) الديوان: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة يس: ١٢.

(٣) الديوان: ٦٧-٦٨.

حـيـث أحـصى كـلَّ شيء
في إمـام مـبـينِ

ويشير الشاعر إلى المكانة الأخرويَّة للإمام عليّ عليه السلام من خلال الأحاديث المرويَّة التي تحدَّثت عن كونه الذائد عن حوض يوم القيامة، كما جاء في الحديث الشريف، إذ يقول الرسول له مخاطبًا: «**إنَّك الذائد عن حوضي يوم القيامة، تذود عنه رجالًا كما يذاد البعير الضال عن الماء، يعطى لك قضيب من عوسج، كأنِّي انظر إلى مقامك من حوضي**»[1]، وأنَّه قسيم الجنَّة والنار[2]، فيقول متحدِّثًا على لسان الإمام عليه السلام[3]:

وأنـا الـقـاضي بـأمـر الـلَّـ
ـهِ ربِّـي فـاعـرفـوني
وأذودُ الحـوض قـومًـا
أجمـعـوا أن يـنـكـروني
وأنـا الـقـاسـم لـلـنِّـيـ
ـران قـومًـا أنـكـروني

ويذكر الشاعر بطرفٍ خفيٍّ الحديث النبويّ المرويّ عن الرسول، وهو قوله: «**إنِّي تارك فيكم الثَّقَلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[4]، فيقول[5]:

يـوم قـالـوا احـفـظـوا مـقـالي ولا تر
مـوه جـهـلًا مـنـكـم بـرجـم الـظـنـونِ

(١) مناقب الخوارزميّ: ٦٠.
(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ٣/ ٩٧، وشرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٦٠ و٩/ ١٦٥.
(٣) الديوان: ٦٩.
(٤) الغدير، الشيخ الأمينيّ: ١٠/ ٢٧٨.
(٥) الديوان: ٩١-٩٢.

إنَّـني قـد تـركـت فيكـم كـتـاب اللَّـ

ـــهِ فـاسـتـمـسـكـوا بـــه واسـمـعـوني

فـهـو نـــور وعـــترتي أهـــل بـيـتـي

فـانـظـروا كـيـف فـيـهـا تخـلـفـوني

ومن الفضائل الأخرى التي أشـار إليها الخليعيّ، قصة ردِّ الشـمس للإمام في أثناء عودته من إحدى غزواته، وقد فاتته صلاة العصر[1]، فيقول[2]:

وردُّك الـشـمـس بـعـد الـغـروب ونشـ

ـر الميـت لـو عـلـمـوا مـعـلـوم عـنـوان

وممَّا يتَّصل بفضائل الأمام عليه السلام بيعة يوم الغدير، فقد أشار في مواضع عدَّة من ديوانه إلى هذا العظيم، فهو من أهم أعياد الشيعة، فيقول[3]:

حـــبَّـــذا يـــــوم الـــغـــديـــر

يـــــوم عـــيـــد وسرورِ

إذا أقـــــام المـصـطـفـى مـن

بـــعـــده خـــير أمـــيـــرِ

قـــائـــلًا هـــذا وصـــيـــيِّ

في مـغـيـبـي وحـضـوري

وظـــهـــيري ونـــصـــيري

ووزيـــــــــري ونـــظـــيري

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٦/ ٨٥.

(٢) الديوان: ١١٨.

(٣) الديوان: ٦٢.

وهـــــو الحـــــاكـــــم بـــعـــدي
بـــالـــكـــتـــاب المـــســـتـــنـــيـــرِ

ويسرد لنا الخليعيّ بأسلوبٍ قصصيٍّ تفاصيل واقعة الغدير، فيقول[1]:

ممَّـا روتـه الـثـقـاة في صـحَّـة الـنَّـقـ
ـــلِ ومـــا أســـنـــدوا إلى عـمـرِ
قـد رقـى المصطفى بـخـمٍّ عـلى الـ
أقـتـاب لا بـالـواني ولا الحـصرِ
إذا عـاد مـن حـجَّـة الـوادع إلى
مـنـزلـه وهـي آخـر الـسَّـفـرِ
وقـالَ يـا قـوم إنَّ ربِّـي قد
عـاودني وحـيـه عـلى خـطـرِ
إن لم أبـلِّـغ مـا قـد أُمـرتُ بـهِ
وكـنـتُ مـن خـلـفـكـم عـلى حـذرِ
وقـال: إن لم تـفـعـل محـوتـك من
حـكـم الـنَّـبـيِّـين فـاخـشَ واعـتـبرِ
إن خفتَ من كيدهم عصمتكَ فاسـ
ـتبشـر فـإنِّـي لـخَـير منتصـرِ

وفي هـذا الـسرد القصـصي نجـد توكيـدًا للشـاعر في بيـان حقيقة مهمَّـة، وهي أنَّ النبـي كـان يواجه صعوبة ومشـقَّة في إعـلان البيعـة للإمام عليه السلام من قبـل المنافقين، وكـان يخشـى ردَّة فعلهـم؛ ولـذا جـاء الدعـم الإلهـيّ للرسـول للجهـر والتصريـح

(١) الديوان: ١٣٣.

على الملأ بالبيعة[1]:

ثـــمَّ تـــلا آيـــةَ الـــبـــلاغِ لهـم
والـسَّـمـع يـعـنـو لهـا مـع الـبـصرِ
وقـــال: قـد آن أن أجـيـب إلى
داعـــي المـنـايـا وقـد مـضى عـمـري
ألـسـتُ أولى مـنـكـم بـأنـفـسـكـم؟
قـلـنـا بـلى فـاقـض حـاكـمًا ومُـرِ
فـقـال الـنـاس محـدقـون بـه
مـا بـين مـصـغٍ وبـين مـنـتـظـرِ
مـنَ كـنـتُ مـولًـى لـه فـحـيـدرة
مـولاهُ يـقـفـو بـه عـلى أثـري
يـا ربُّ فـانـصر مـن كـان نـاصره
واخـذل عـداهُ كـخـذلِ مـقـتـدرِ
فـقـمـت لمـا عـرفـت مـوضـعـه
مـن ربِّـه وهـو خـيـرة الخـيـرِ

وهنا الشاعر يشير إلى قوله تعالى في آية التبليغ وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، فهذا التحذير الشديد للرسول يبيِّن مدى أهميَّة هذا التبليغ للمسلمين، فبدونه لا تتمُّ الرسالة المحمَّديَّة، وأنَّ الرسول يخاطب المسلمين بقوله:

(١) الديوان: ١٣٤.
(٢) سورة المائدة: ٦٧.

«ألستم تعلمون أنّي أولى من المؤمنين بأنفسهم؟»[1]، وما دام الأمر هكذا، فلا بدَّ من أن يُطاع هذا الأمر، وقد خيَّر الرسول المؤمنين بين اتِّباع وصيِّه أمير المؤمنين عليه السلام أو خذلانه، ومن يخذله فهو الخاسر.

وبعد سرد هذه الرواية، يستنكر الشاعر من ينكر هذه الرواية، ويعاند في أمر الولاية، فيقول[2]:

فليتَ شِعري يا من يجادلني
في أمرِهِ وهو غير ذي نظرِ
هل كان منهم ذاك الكلام ريًا
إذ لم تمكِّنهمو يد القدرِ؟
أم عدل الرسول عن الـ
ـحقِّ وولَّاهُمُو على الغدرِ
أم أحدثَ المرتضى بهم بدعًا
فغيَّرتهمُ عنه يد الغيرِ
أم غلُّ الصدور أعقبهم
كُفرًا فأمضى بهم إلى سقرِ

فالشاعر يصل إلى نتيجة مفادها أنَّ الحقد والضغينة قد أعمى قلوب هؤلاء المعاندين.

(١) سنن ابن ماجه: ١/ ٤٣، أنساب الأشراف، البلاذري: ٢/ ٣٥٦.
(٢) الديوان: ١٣٥.

واقعة الطفِّ

وقد شغلت واقعة الطفِّ حيِّزًا كبيرًا في شعر الخليعيّ، وتمثِّل جزءًا مهمًّا من وفاء الشاعر لأهل البيت عليهم السلام، فهذه الواقعة الأليمة تركت أثرها في فكره وحسِّه؛ ولذا كانت حاضرة في ذهنه وقلبه في كلِّ وقت، وبالخصوص العقيلة زينب عليها السلام، فهذه المرأة قُدِّر لها أن تنهض بأعباء الثورة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأن تتحمَّل كلَّ المصائب والفواجع بعزمٍ وثباتٍ، وأن تلمَّ شتات ما تبقَّى من أهل البيت؛ لذا شغلت مكانةً مهمةً في أدب الطفِّ، وهو لا ينسى المصائب التي جرت على العقيلة، فيخاطبها قائلا[1]:

لستُ أنسى زينبًا ذا
تَ عويل وانتحابِ
تلطمُ الخدَّ وتبكي
للرزياتِ الصِّعابِ
وتُنادي يا أخي لي
تَ الرَّدى كان بدا بي
يا أخي يا واحدي ما
كان هذا في حسابي

والشاعر يتمنَّى الموت قبل أن يرى زينب في هذا الموقف[2]:

وابكِ على زينب تنادي
وا طولَ حزني ويا زفيري

(١) الديوان: ٨٠.
(٢) الديوان: ١٠١.

يـــا لـيـتـنـي مـــتُّ قـبـل هـذا
ولـيـتـنـي كـنـت في الحـفـيرِ

وينقل لنا الشاعر مناجاة زينب لأبيها وجدها[1]:

ثـــمَّ تـــنـــادي إلى أبـيـهـا
وجـــدِّهـــا المـصـطـفـى الـبـشـيرِ
يـا جـــدُّ مـا كـــان ذا جـزاكـمُ
مـن عـصـبـةِ الـكـفـرِ والـفـجـورِ
قـــد قـابـلـونـا بـيـــومِ بـــدرٍ
وأبـــــــردوا غـــلَّـــة الـــصـــدورِ

وفي وصفه لواقعة الطفِّ، يسرد لنا وصيَّة الإمام الحسين عليه السلام لزينب[2]:

ومـضى يـقـصـد الخـيـام ودمـــع الـ
ـعين منه كـالـلـؤلـؤء المكـنـونِ
فـاسـتـرابـت لـــذاك زيـنـب فـارتـا
عـت وقـالـت لـه بـخـفـضٍ ولـينِ
سـيِّـدي مـا الـــذي دهـــاك أبـــن لي
يـا ابـن أمِّـي ونـــاصري ومعـيـني
قـال يـا أخـتُ إنَّ قـومـي وأهـلي
قـد تـفـانَـوا قـتـلًا وقـد أوحـدني

(١) الديوان: ١٠١-١٠٢.
(٢) الديوان: ٩٣.

فاسمعي ما أقول يا خيرة النِّسـ
ـوان فيما أُوصي به واحفظيني
لا تشُقِّي جيبًا ولا تلطمـ
ـي خدًّا وإن عزك العزا فانديبني
واخلفيني على بناتي وأوصيـ
ـك بزين العبادِ فهو أميني
واعلَمي أنَّ جدَّك المصطفى والـ
ـمرتضى والبتول ينتظروني

أما الامام السجاد عليه السلام فالصورة التي نقلها إلينا الشاعر صورة مؤلمة له وهي تصور مأساة الأسر والمعاناة والقسوة التي مارسها بحقِّه أعوان يزيد بها[1]:

وابكِ الأسيرَ العليلَ يكبو
في القيدِ من شدَّة العناءِ

وهو يتحسَّر ويتألَّم لمنظر الإمام السجاد، وهو يُضرب ويُهان[2]:

بنفسي السيِّد السجَّاد يبلى؟
ويشكو ثقل قيد واضطرابِ
إذا ما أنَّ منْ ألمٍ وضَربٍ
يُجابُ بِقُبحِ شتمٍ أو سبابِ

وعلى الرغم من ثقل المصيبة وفداحتها، فإنَّ الامام السجاد عليه السلام يواسي عمَّته زينب ويدعوها أن تصبر[3]:

(١) الديوان: ١٠٨.
(٢) الديوان: ٩٨.
(٣) الديوان: ١٨٢.

والسيِّد السجَّاد يدعوها ألا اصـ
ـطَبري فآتٍ كلُّما هو آتِ
كفِّي الدموع وراقبي ربَّ العلى
فعليكِ منهُ أفضل الصلواتِ
وتيقَّني أنَّ الشهيدَ مخلَّدٌ
لا تحسبيهِ يُعدُّ في الأمواتِ
واستبشري يا عمَّتي فلكِ الهنا
بقيامِ دولةِ آخذِ الثَّاراتِ
القائمُ المهديُّ والمولى الذي
يستأصلُ الأعداءَ بالنقماتِ

المبحث الثاني

ظواهر فنيَّة

هنـاك ظواهر فنيَّة عدَّة وردت في شـعر الذي قاله الخليعـيّ بحق أهل البيت، منها التكرار وأسلوب الخطاب والسرد. ولعلَّ ظاهرة السرد من الأكثر الظواهر الفنيَّة ورودًا في شعره.

والسرد يعني «هو قصُّ حادثة واحدة أو أكثر، خيالية أو حقيقية»[1].

وهـذا يعنـي أن «الـسَّرْدَ لا يوجد إلاَّ بواسـطة الحكايـة، كما أنه عرض لتسلسـل الأحـداث أو الأفعـال في النـص»[2]، وهـو يعني وجـود عنصَرين رئيسَـين في النَّص: الأوَّل:الراوي (السارد)،والثاني: الحدث (الفعل)، و«تَقْدِمَةُ شيء إِلى شيء تأْتي به متَّسقًا بعضُه في أَثر بعض متتابعًا، ويقال: سَرَد الحديث ونحوه، يَسْرُدُه سَرْدًا: إذا تابعه، وفلان يَـسْرُد الحديث سردًا: إذا كان جيد السـياق له. والسرد الخـرز في الأديم، وقيل سردها: نسـجها، وهو تداخل الحلـق بعضها في بعض، وسرد خفَّ البعـير سردًا: خصفه بالقد قيـل: ألاَّ يجعلَ المسـمار غليظًا، والثقـب دقيقًا، فيفصم الحلق، ولا يجعل المسـمار دقيقًا، والثقب واسـعًا، فيتقلقل أو ينخلع، أو ينقصف، اجعله عـلى القصد وقَدْرِ الحاجة»[3].

ونلمح من هذا التعريف المعجمي سـمات يقوم السَّرد بإبرازها، وهي الاتِّساق والتتابع

(١) معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، محمَّد عناني: ٥٩.

(٢) خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينت: ٤٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة (سرد).

والإحكام. وفي العصر الحديث نجد تعريفًا للسرد- لا يكادُ يبتعد كثيرًا عن التعريفات التراثيَّة- مثل تعريف (الرافعيّ)؛ حيثُ قال عن السرد: إنَّه «متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به، وقد يراد به أيضًا جودة سياق الحديث، وكأنه من الأضداد»[1]. وقد يكون السرد شكلًا لغويًّا معبِّرًا، يقوم بـ«نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغويَّة»[2].

والسرد عند الخليعيّ يتَّضح من خلال تصويره لواقعة الطفِّ، فكان دقيقًا في ذكر الجزئيَّات، ويميل إلى الحوار والتحدُّث على لسان الشخصيَّات، ومن ذلك قوله[3]:

ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا
يودع أهليه ويوصي ويعجل
ينادي ألا يا أهل بيت محمَّد
أصيخوا لما أوصيكم وتقبلوا
عليكم بتقوى الله لا تتغيروا
لعظم رزياكم ولا تتبدلوا
ودموا على أعمالكم وابتها لكم
وقوموا إذا جن الدجى وتنفلوا
وفاطمة الصغرى تقول لأختها
هلمِّي إلى التوديع فالأمر مهول
أرى والدي يوصي بنا أخواته
وعيناه من حزن تفيض وتهمل

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ: ٢٩٧.
(٢) الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: ١٨٧.
(٣) الديوان: ١٨٥-١٨٧.

وتـدعـوا ألا يـا سـيِّـدي بـلـغ الـعـدى
بـنـا مـا تـمـنـوا في الـنـفـوس وأمـلـوا
ومـــر إلى حـــرب الـطـغـاة ولم يـزل
يـفـلـق هـامـات الـعـدى ويـفـلـل
إلى أن هـــوى فـــوق الـــتراب مجـدَّلا
قـتـيـلًا وراح المـهـر يـنـعـى ويـعـول
فـقـمـن الـنـسـاء الـفـاطـمـيَّـات وُلَّـهًـا
فـأبـصـرن مـنـه مـا يـسـوء ويـذهـل
وخـــرت عـلـيـه زيـنـب مستغيثة
ومـعـجـزهـا مـن نـحـره متبلِّل

وفيما يخصُّ التكرار، فإنَّه في الشعر من أهم البواعث النفسية التي يعتمدها الشاعر في إثارة السامع عن طريق موسيقى الألفاظ المكرَّرة، أو تكرير بعض الحروف؛ لما تمتلكه من جرس موسيقيّ إيحائيّ.

وفي هذا النوع من التكرار يلجأ الشاعر إلى «تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغمًا موسيقيًا يتقصده الناظم في شعره»[1]. ولتكرار الألفاظ مواضع يحسن فيها وأخرى يقبح فيها، والتكرار في الألفاظ هو الأكثر ورودًا في العربية دون المعاني[2]، والشاعر يكرِّر بعض الألفاظ التي تثير في نفسه تشوقًا واستعذابًا؛ ولذلك يعمد إلى تكرارها[3]. وهذا الأسلوب استخدمه الشعراء الجاهليُّون والإسلاميُّون والأمويُّون

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: ٢٣٩.
(٢) ينظر: العمدة: ٢/ ٧٣.
(٣) ينظر: جرس الألفاظ: ٢٣٩.

فكانوا يكرِّرون أسماء الأشخاص أو المواضع؛ لإشاعة لون عاطفي يقوِّي الصورة التي عليها بنية القصيدة[1]، وكان الخليعيّ يكرِّر الألفاظ التي تثير الحزن والشجن والأسى، ممَّا يثير عواطف المتلقِّي، فيقول[2]:

لقتيل أبكى النبي وأذكى
حُرق الحزن في فؤاد البتول
لقتيل بكت عليه السماوا
ت وأملاكها بدمع هموله
لقتيل عزّى به جدّه وهـ
ـو ربيب على يدي جبريل

ومن التكرار نشعر بمدى الحرقة والتوجُّع في نفس الشاعر، فيقول[3]:

لهف نفسي لسبي فاطمة الصغـ
ـرى ولهفي لقلبها المرعوب
لهف نفسي على سكينة من خو
ف الأعادي تبكي بدمع صبيب
لهف نفسي لأم كلثوم من سلـ
ـب نقاب ومعجز منهوب

ومن الظواهر الفنية الأخرى الخطاب، وهو يُطلَق في اللغة العربية على: «مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابًا، وهما

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب:٢/ ٧٣-٧٥.
(٢) الديوان: ١٥٨.
(٣) الديوان: ١٦٦

يتخاطبان»[1]. أما المعجم الوسيط، فلا يشير إلى تطوُّر هذه الكلمة في العربيَّة المعاصرة، وإنَّما يكتفي بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام، والخطاب بمعنى الرسالة[2]. ويظهر من المعنى اللغويّ لـ(الخطاب) اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة،ويضاف إلى ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأنَّ (التواصل) في مفهوم هذه الكلمة أمر أساسي في تحقُّق معناها. و(الخطاب) من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويُرَاد به «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام»، كما تتردَّد في كتب أصول الفقه مصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب.

وتأخذ كلمة (خطاب) عند المحدثين أبعادًا دلاليَّة أخرى تصل أحيانًا إلى حدِّ الإلباس.

ويشير مفهوم الخطاب، عند الغربيِّين إلى شموليَّته واتِّساعه، فهو يكشف عن الرغبة الحقيقيَّة في الصراعات السياسيَّة، ومحاولة فرض السيطرة والاستيلاء والهيمنة على الطرف الآخر[3]، حيث تدخل فيه جميع العلامات الكلاميَّة وغير الكلاميَّة، وأيَّة ممارسة رسميَّة أو أيَّة تقنيَّة يتحقَّق فيها وعِبرها الإنتاج الاجتماعيّ للمعنى[4].

وممَّا تقدَّم، نجد أنَّ الخطاب يختلف ويتنوَّع، فربَّما يكون سياسيًّا أو اجتماعيًّا أو أدبيًّا أو دعويًّا، وهو يرتبط بالطرف الآخر المخاطب والظروف النفسيَّة والاجتماعيَّة المرافقة للنصِّ الخطابيّ. ولا ريب أنَّ الخطاب كي يتمَّ توصيليه للطرف المقابل، ويؤدِّي الوظيفة المبتغاة، والمهمَّة المناطة، به فلا بدَّ من اعتماد أساليب محدَّدة يتمُّ عن طريقها

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (خطب)

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: مادة: (خطب)، معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٢٤٦.

(٣) ينظر: مقدِّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل: ٦٧- ٧٠.

(٤) ينظر: نظام الخطاب، ميشيل فوكو: ٩.

الإبلاغ والإقناع والتوصيل، وهذه الأساليب منها ما يتَّخذ البيان ووسائله، ومنها ما يتَّخذ الوسائل العقليَّة المعتمدة على الحجاج والمجادلة.

وكان الخليعيّ يتَّخذ من الخطاب وسيلة في إيصال رسالته الفنيَّة في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وإقامة الحجَّة على خصومهم، فيقول[1]:

أنتم الآمرون للناس بالتقـ
ـوى وأهل التنزيل والتأويل
حكمكم في العباد ماض فهم بيـ
ـن ضلال مُرْدٍ وظل ظليل
فاقسموني إذا قسمتم نعيما
وجحيمًا على ثوابٍ جزيل

(١) الديوان: ١٦٤

الخاتمة

من خلال ما تقدَّم وجدنا بعض النتائج المهمَّة، منها:

١. إنَّ شعر الخليعيّ يجري على سنن القدماء في المضامين والأفكار والأساليب والتعبير.

٢. إنَّ السمة الغالبة على شعر الخليعيّ وصف الأحداث وتصوير المواقف، ممَّا جعل شعره يقترب أحيانًا من التقريريَّة.

٣. كان الخليعي يوظِّف القرآن والأحاديث النبويَّة في توضيح أفكاره، وإثبات أدلَّته، والدفاع عن أحقيَّة أهل البيت.

٤. أظهرت الدراسة ثقافة شعر الشاعر الدينيَّة بشكلٍ واضح، على الرغم من أنَّ الشاعر لم يكن من طلَّاب العلم.

٥. كشف شعره عن جوانب مهمَّة من السمات التي اتَّسم بها الشعر الحِلِّيّ في تلك المدَّة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأدب وفنونه، د. عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر العربيّ، ط٦، د.ت.

٢. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ (من أعلام القرن الثالث الهجريّ)، حقَّقه وعلَّق عليه الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١هـ.

٤. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٤م.

٥. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب، د. ماهر مهدي هلال.

٦. خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جينت، ترجمة محمد عبدالجليل الأزديّ وعمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م.

٧. ديوان الخليعيّ، أبي الحسن عليّ بن العزيز بن أبي محمَّد الخليعيّ الموصلّيّ الحِلّيّ، تحقيق د. سعد الحدَّاد، مطبعة دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠١٠م.

٨. سنن ابن ماجه، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء الكتب العربيَّة، مصر، ١٣٧٢هـ.

٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائنيّ (ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠. العمدة، ابن رشيق، تحقيق محمَّد محيي الدين، دار الجيل، لبنان، ط١، ١٩٧٢م.

١١. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأمينيّ (ت ١٣٩٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

١٢. الفائق في غريب الحديث، الزمخشريّ (ت ٥٨٣هـ)، عيسى البابي، مصر، ١٩٤٧م.

١٣. لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف، د.ت.

١٤. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيِّب المجذوب.

١٥. معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٦. معجم المصطلحات الأدبيَّة الحديثة، د. محمَّد عناني، الشركة المصريَّة العالمية للنشر (لونجمان)، ط٣، ٢٠٠٣م.

١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة، مكتبة الشروق، ط٤، ١٤٢٥هـ.

١٨. مقدِّمة في نظريَّات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة د. عزّ الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديميَّة، القاهرة، الطبعة العربيَّة الأولى، ٢٠٠١م.

١٩. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر رشيد الدين محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، المطبعة العلميَّة، قم، د.ت.

٢٠. مناقب عليّ بن أبي طالب، الخوارزميّ (ت ٥٨٦هـ)، مطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٣٨٥هـ.

٢١. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة د. محمَّد سبيلا، نشر دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دار الفارابيّ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

النزعة الإنسانيَّة
في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ

الباحث إياد نيسي

طالب دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس

في بوشهر/الجُمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة

Humanism in the Poetry of Sayyid Haider Al-Hilli

Researcher Ayad Neissi

A PHD Student of Arabic Language and Literature

Major at Persian Gulf University of Bushehr/Iran

Islamic Republic

المُلخَّص

تكتسب النزعةُ الإنسانيَّةُ في العصر الحديث زخمًا جديدًا؛ نتيجةً لأمورٍ كثيرة، منها اتِّساع البعد الثقافيّ والمعرفيّ لدى الأدباء والشعراء، وزيادة التمازج الحضاريّ بين الشعوب، وتطوُّر الدراسات الفكريَّة والفلسفيَّة والاجتماعيَّة، وظهور تيَّارات متعدِّدة ومتناقضة تسعى لِقيادة المجتمعات، من رؤى وأفكار ومبادئ في السياسة والمعتقدات وغيرها، ممَّا كان الإنسان محورها وأساسها.

خلصت هذه الدراسة إلى عرض أبرز الملامح والظواهر المختلفة لِلنزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، ونحن في هذا البحث اعتمدنا على المنهج الوصفيّ التحليليّ، وقسَّمنا جوانب القيم الإنسانيَّة في شعره، ثمَّ استخرجنا مواطن جماليَّتها، وأشرنا إلى المزيَّات البارزة والأساسيَّة لِلنزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

وَقد انعكست هذه القيَّم بشكلٍ جليٍّ على صفحات شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، بحيث كان لهذه المظاهر أصداء كبيرة فيه. هذا البحث يحاول إلقاء الضوء على ما في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ من آراء قيِّمة حول القيم الإنسانيَّة تتمثَّل في مواضيع عديدة، مِنها: الحميَّة، والغيرة، والحريَّة، والحلم، والصفح، والشجاعة، والشهامة، والكرم، والوفاء، والهمَّة، والإباء.

الكلمات الدَّاليَّة:

الأدب العربيّ، النزعة الإنسانيَّة، الشعر، السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

Abstract

Humanism in the modern era is gaining new momentum as a result of many things, including the expansion of the cultural and cognitive dimension of writers and poets, the increase of civilizational blending among peoples, the development of intellectual, philosophical and social studies, and the emergence of multiple and contradictory currents that seek to lead societies from visions, ideas and principles in politics, beliefs and other things that have man as the center and foundation.

This study concluded by presenting the most prominent features and various phenomena of humanism in the poetry of Sayyid. Haider Al-Hilli.

In this research, we relied on the descriptive analytical method, and divided the aspects of human values in his poetry, then extracted the places of their aesthetics, and pointed out the salient and basic features of humanism in the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli.

These values were clearly reflected in the pages of the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli, as these manifestations had great echoes in it. This article attempts to shed light on the valuable opinions in the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli about human values represented in many topics, including: fervor, jealousy, freedom, mercy, forgiveness, courage, magnanimity, generosity, loyalty, determination, and pride.

Keywords:

Arabic literature, humanism, poetry, Sayyid. Haider Al-Hilli.

المُقَدِّمَة

بسم الله والحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، والصَّلَاةُ والسَّلامُ على خاتَم الأنبياء والمرسَلِين، وصَفوَةِ خَلق اللهِ أجمَعِين، سَيِّدنا مُحَمَّدﷺ الَّذي قالَ فيه الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

الإنسان بما هو إنسان، غايته التامة، المعرفة بنفسه وبربِّه، فالقيم المكنونة في وجوده هي التي جاء الأنبياء من أجل إشاعتها، بحيث تحمَّلوا الصعاب في مسير تعليمها ونشرها بين الناس؛ هذا لأنَّها تعطي الإنسان مقام الكرامة والمعرفة والكمال والسير إلى الله الذي لا حدَّ له حتَّى تقف المعرفة دونه، فلابدَّ للإنسان المتعالي أن يصل إلى غاية خلقته، ألَا وهي العبوديَّة، وَقال الله تعالى فيها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، أي ليعرفون، فالذي أحيا بنفسه هذه القيم هو أقرب إلى الكمال من غيره؛ لأنَّ الفلاسفة تعتقد أنَّ الكمال هو سرُّ الخلقة، بقولهم: لولا الكمال لما خُلق الوجود، فعندما نقول: إنَّ محمَّدًا وآل محمَّدﷺ هم العلَّة الغائيَّة للوجود، بدليل أنَّهم مظهر للقيم الإنسانيَّة، وهذا ما أشار إليه السيِّد حيدر الحِلِّيّ في قصائده مرارًا وتكرارًا، وكانت الإشارات منه مبتنية على دلائل عقليَّة ودلائل نقليَّة، وهذا الأمر يخبرنا عن إحاطته بالروايات الواردة في فضل أهل البيتعليهم السلام، وتنوُّع قصائده بمواضيعها تُنبئ بأنَّ هذه القيم لو حصلت عند أهل مجتمع لكان ذلك المجتمع هو المجتمع المثاليّ الذي

(١) القرآن الكريم، سورة القلم: الآية ٤.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

رسمه لنا النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله.

تتجلّى أهميَّة هذا البحث في الكشف عن النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، التي لم يتناولها الباحثون وَدارسو الأدب. وَالقيم الإنسانيَّة هي من المفاهيم التي يتميَّز بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وَيمكننا أن نقول: بفضل هذه القيم وَالمُثل يُصبح الإنسان إنسانًا، فلولا هذه المفاهيم السامية كالكرم، والشجاعة، والصبر، والإيثار والشهامة، لما استطعنا أن نميِّز بين الحيوان والبشر، وأصبح مصيرنا مصير سائر الحيوانات، لكن الله سبحانه وتعالى ميَّز الإنسان بميزة العقل والذات البشريَّة بحيث يستحقُّ أن تسجد له الملائكة، فالبحث عن النزعة لهذه القيم الإنسانيَّة، وترسيخها في المجتمعات هو واجب كلِّ شخصٍ منَّا؛ حفاظًا على الروح البشريَّة والمُثل الرفيعة التي تفصلنا عن الحياة الحيوانيَّة. فنحن توخَّينا أن ندرس هذه النزعة الإنسانيَّة الموجودة في الشعر، بما أنَّه يزخر بكثير من المفاهيم الإنسانيَّة الرفيعة، وَاخترنا لدراستنا هذه أحد أعلام شعراء الحِلَّة، وَهو السيِّد حيدر الحِلِّيّ؛ وذلك لما في ديوانه مِن كنوز إنسانيَّة رفيعة، حثًّا لاقتداء المتمعِّنين بهذه القيم.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث للوصول إلى النتائج الآتية:

١. الكشف عن مدى وجود النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

٢. دراسة القيم الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحلِّيّ، وتحليلها.

أَسئلة البحث

هذه الدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية:

أ. السؤال الأصلي:

هل هناك اتِّجاهات إنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ؟.

ب. السؤال الفرعيّ:

كيف عبَّر الشاعر عن هذه النزعات الإنسانيَّة؟.

توطئة عن الإنسانيَّة في الأدب العربيّ

إنَّ الشعر من أرقى الفنون التي عرفها الأنسان، لاسيما الوجدانيّ منه، فهو يعدُّ الفن الحقيقيّ؛ لأنّه يقوم على صدق العاطفة التي ينتج عنها صدق التجربة وَعمقها، وَلا يكون كذلك إلَّا إذا كان نابعًا من أعماق الحياة الإنسانيَّة.

وَالإحساس بصدق الشاعر لا يتمُّ إلَّا إذا اهتزَّ المتلقِّي وتفاعل مع ما يشدو به الشاعر، «فإنَّ التعبير الشعريّ إذا كان يصل إلينا من خلال الانطباع الذاتيّ أو المعاناة الشخصيَّة للأديب، فإنَّ هذا الانطباع أو تلك المعاناة تتمُّ في إطار التجربة التي يعيشها ويمارسها المجتمع الذي يوجد فيه الشاعر»[1].

والشاعر المرهف لا ينفصل عن مجتمعه ولا يبتعد عنه بفنِّه، وَإنَّ من أكبر الدوافع المحرِّكة للعواطف الإنسانيَّة الكامنة في نفس الشاعر هو أن يمرَّ بلحظةٍ من تلك اللحظات التي يخيِّم فيها اليأس والألم على المجتمع، «فليست حياة الإنسان الباطنة سوى صورة للحياة الاجتماعيَّة تنعكس على مرآة النفس، وفيها يبذل الفنَّان من نفسه للفن، وليست نفسه هذه سوى صورة من المجتمع الذي لا يستطيع أن يتجرَّد منه أو ينقطع عنه»[2].

(١) أحمد الصاوي، مفهوم الجمال في النقد الأدبيّ؛ أصوله تطوُّره، ط١، ١٩٨٤م: ٢٨٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢٨٧.

وَمن هنا كان جمال الشعر وَرُقيُّهُ مرتبطًا بمدى اتِّصاله بالبيئة والمجتمع، وملامسته لقضايا النفس والواقع. وإذا ما حاولنا أن نصل إلى حقيقة أيِّ مجتمع، وَأردنا أن نقف على ما يتوشَّح به أفراده من أخلاق، فإنَّنا سنجد قول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]، ماثلًا في أخلاق جميع البشر، فقد خلق الله الإنسان وَفي طيَّات نفسه الخير والشرّ، وهذه سنَّة الله في الكون لابدَّ أن تنفذ، وحتمٌ لها أن تتحقَّق، فليس هناك مجتمع خير بأكمله، وَآخر شرٌّ برمته، وحتَّى الإنسان نفسه قد يكون خيِّرًا بطبيعته، وقد يسقط في شراك الشرِّ حينًا آخر، إذ ليس من المعقول أن تطرح الأشجار جميع ثمارها يانعة لذيذة، أو تكون كلُّ أغصانها فارعة باسقة، فقد يكون من بين الثمار ما هو فاسد أو عديم الطعم، وقد يكون من بين أغصانها ما هو متكسِّر أو جاف، كما قد يكون إنسانٌ نازعًا إلى الخير، توَّاقًا لكلِّ ما هو نبيل، يصطدم بآخرَ ماضٍ في طريق الشَّرِّ، موغلٍ في دروب الظلم والطغيان؛ فيحتدم الصراع، وتعصف العواطف بين هذَين العنصرَين اللذَين تقوم على أساسهما أخلاق البشريَّة جمعاء.

وَمِن هنا نشأ الحديث عن الإنسانيَّة التي تعني الدعوة إلى الخير، وَلكلِّ ما تحتضنه هذه الكلمة من دعوة إلى الحبِّ والتآلف والتصالح مع الذات ومع الآخرين، والتي تنادي بكلِّ خلقٍ نبيلٍ وَصفةٍ سامية، فهي تعني بهذا المفهوم تلك النزعة الأصليَّة وتنزيهها من التعصُّب والتحزُّب، بحيث تكون عاطفة شاملة تحتوي البشر جميعًا بلا تفرقة ولا تمييز، لا تميِّز العرق أو الجنس أو الدين اعتبارًا[2].

أمَّا في المجال الأدبيّ، فإنَّ الإنسانيَّة هي اتِّجاهٌ عامٌّ شاملٌ، لا يختصُّ بها مذهب

(١) سورة البلد: الآية ١٠.

(٢) عمر دقَّاق، الاتِّجاه القوميّ في الشعر المعاصر، جامعة الدول العربيَّة، معهد الدراسات العربيَّة العالية، ١٩٦١م: ١٤٧.

أدبيّ معيَّن دون سواه، فهي كالأدب وليدة العواطف الإنسانيَّة والفعل الإنسانيّ، وأقرب المذاهب إليها أكثرها قربًا من الإنسان، وأشدُّها اعتناقًا له، واهتمامًا بقضاياه[1].

ومن هنا كانت النزعة الإنسانيَّة التي يرمي البحث الوصول إليها هي تلك العواطف الراقية النبيلة التي تحدو بالإنسان إلى التحليق في سماء الحبِّ والخير والعطاء والنَّماء، وتُعينه على نُبذِ الشَّرِّ، ومحاربة الطغيان، ونَبذِ الذلِّ والهوان، فكان مراد هذه الدراسة منطلقًا للبحث عنها في شعر شاعرٍ من مبدعي العصر الحديث.

لقد كان الشعراء بمختلف العصور في طليعة المنادين والمترنِّمين بالإنسانيَّة، يفوح شعرهم بعِطر معانيها النبيلة، ويصدح صوتهم بقيمها السامية.

ولقد نشأ شعرنا العربيّ وَترعرع في حضن بيئته ومجتمعه، فكان غنيًّا بالمعاني الإنسانيَّة النبيلة، والقيم الروحيَّة الأصيلة. لذا عندما أنارَ الإسلام الكون بتعاليمه؛ رسَّخَ تلك المعاني النبيلة والقيم الأصيلة في رحابه، وَانصهرت في بوتقة قيمه الإلهيَّة والرفيعة، فقال الله عَجَّلَ في محكم تنزيله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[2]، ومن هنا نجد أَنَّ القرآن الكريم ركَّز على أَهمية الإنسانيَّة بوصفها ركيزة خلقية للمسلم، تتمحور حولها مشاعره وعواطفه، وتنطلق تصرُّفاته وسلوكيَّاته.

واحتضن الحديث الشريف من النبيِّ الأَكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وآل بيته الأَطهار كلَّ المعاني الإنسانيَّة النبيلة، وبثَّها في نفوس أبناء الإسلام من اليوم الأوَّل لانضمامهم تحت لواء الحقِّ.

(١) مفيد قميحة، الاتِّجاه الإنسانيّ في الشعر العربيّ للمعاصر، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م: ٥١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

وقد غزت هذه المعاني جميعها قلوب الشعراء منذ عصر صدر الدعوة، فكان شعرهم صوتًا للحقِّ وَنداءً للإنسانيَّة، بدءًا بالدفاع عن هذا الدين- دين الإنسانيَّة- دفاعًا حارًّا، فهذا حسَّان بن ثابت، وَذاك كعب بن مالك، وَهناك عبدالله بن رواحة، وغيرهم كُثر ممَّن دافع ونافح عن دين الحقِّ والعدل والسَّلام، وكذلك تغنُّوا بمزاياه و تعاليمه ومُثله التي ما أتت إلَّا لتواكب الفطرة السليمة، والإنسانيَّة القويمة، وَها هو الإمام عليّ عليه السلام الذي تربَّى على يد الرسالة في مدرسة الإسلام يقول[1]:

«إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ
فالدِّينُ أوَّلها والعقل ثانيها
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها
والجُود خامسُها والفضل ساديها
والبرُّ سابعُها والصبرُ ثامنُها
والشكرُ تاسعُها واللين باقيها»

وَله في الإباء والكرامة التي حفظها الإسلام لجميع البشر أبيات رائعة يقول فيها[2]:

«إذا أظمأتْكَ أكفُ الرِّجالِ
كفَتَك القناعة شبعًا وَريَّا
فَكُن رجلًا رجلُه في الثرى
وَهامة هِمَّته في الثريَّا
أبيًّا لنائلِ ذي ثروةٍ
تراه لما في يديه أبيَّا

(١) يوسف فرحات، شرح ديوان الإمام عليّ عليه السلام، ط٨، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ٢٠٠٢م: ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

فـــــإنَّ إراقـــــــة مـــــاءِ الحـــيـــاةِ

دونَ إراقـــــــةِ مـــــاءِ المـحـيَّـا»

خصال رائعة ينادي بها الإمام عليّ عليه السلام، فمن مزايا الإنسانيَّة هي ما تنادي به مبادئ الدين الحنيف، وَهي: القناعة، والتجمُّل بالإباء، وبذل الحياة الرخيصة في سبيل صيانة الكرامة وحفظ ماء الوجه.

المبحث الأَوَّل

وقفةٌ على حياة السيِّد حيدر الحِلِّيّ وشخصيَّته في شعره

هو أبو سليمان السيِّد حيدر بن سليمان بن داوود بن سليمان بن داوود... بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الحسينيّ الحِلِّيّ[1]، ولد السيِّد حيدر في الحِلَّة، وينتهي نسبه إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. كان مولده (١٥) شعبان سنة (١٢٤٦هـ)، الموافق لِسنة (١٨٣٠م)، وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره، فَقَدَ والده، فعاش يتيمًا وتولَّى تربيته عمُّه السيِّد مهدي، وكانت وفاته بالحِلَّة يوم التاسع من ربيع الثاني، وحُمِل إلى النجف فدُفِن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف[2]. لهُ ديوان سمَّاه الدُّرَّ اليتيم في بومبي، وهو مطبوع على الحجر، وكتاب العقد المفصَّل في نعت قبيلة المجد المؤثَّل، وهو مطبوع أَيضًا، وكتاب الأَشجان في مراثي خير إنسان، هذا الكتاب ما يزال مخطوطًا، وكتاب دمية القصر في شعراء العصر، وهذا الكتاب أَيضًا ما يزال مخطوطًا، وتُعدُّ حوليَّاته في الإمام الحسين عليه السلام أشهر شعره[3].

(١) السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م: ٦/ ٢٦٦.

(٢) جواد شبَّر، أدب الطفِّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ط١، مؤسَّسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م: ٨/ ٨.

(٣) خير الدِّين الزركليّ، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م: ٢/ ٢٩٠.

ويقول عنه الدكتور الشيخ أحمد الوائليّ (عليه الرَّحمة): «يظلُّ شعر السيِّد حيدر الأُفق الَّذي تحتدم أَجواؤه بما لا يسع البيان تصوُّره مِن الأَبعاد الملتهبة»[1]. ويقول عنه صاحب كتاب أعيان الشيعة أَنَّهُ كان لغويًّا عارفًا بالعربيَّة، شهمًا أديبًا، وقورًا تقيًّا، عليه سمات العلماء الأبرار، كثير العبادة والنوافل، كريم الطبع[2]. كان له ولأسرته دور بارز في أدب مدينة الحِلَّة وشعرائها، ويقول الشيخ اليعقوبيّ عنه: كان أبيَّ النفس، واسع الجاه، عظيم القدر[3]، شعره حسن، ترفَّع به عن المدح والاستجداء، وكان موصوفًا بالسخاء[4]، وكان شاعرًا بارعًا غير منازع، وأَديبًا أَريبًا لم يدافع، وكان ذا إلمامٍ بالعربيَّة، مصنِّفًا، ضمَّ إلى الأدب نسكًا وتقوى[5]، وكان يتمتَّع بمكانة سامية في الأوساط العلميَّة والأدبيَّة[6].

وممَّا لا غبار عليه، أَنَّ الشاعر تأثَّر بعبقريَّة الشاعِرَين الشريف الرضيّ، ومهيار الديلميّ، لذا كانت للشاعر صلة وطيدة بالشاعِرَين الرضيِّ ومهيار، وأنَّ لهما تأثيرًا قويًّا على شاعريَّته؛ وذلك لأنَّه درس شعر الرضيّ دراسة تحليليَّة، وَدوَّن معظم قصائده والمختار من ديوانه في مجاميعه الأدبيَّة، ونسخ ديوان مهيار بكامله في أربعة أجزاء بالقطع الكبير، كتبه وهو ابن ٢٥ سنة، وكتب في آخره: تمَّ الجزء الرابع من ديوان

(١) السيِّد حيدر الحِلِّيّ، الديوان، تحقيق الخاقانيّ، ط٢، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤م: ١/ ١٢.

(٢) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦.

(٣) الشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، مطبعة الزهراء، النجف الأَشرف، بلاتا: ٢/ ١٥٥.

(٤) الزركليّ، المصدر السابق: ٢/ ٢٩٠.

(٥) الشيخ محمَّد السماويّ، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبُّوريّ، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م: ١/ ٢٩٧.

(٦) اليعقوبيّ، المصدر السابق: ٢/ ١٥٥.

مهيار الديلميّ على يد المحتاج إلى ربِّه الغنيّ حيدر بن سليمان الحسينيّ يوم الاثنين، وهو اليوم السابع عشر من شوَّال ١٢٧١هـ.

ومن ثمَّ تجده قد ألـمَّ بكثير من معاني الشريف ومهيار، وأودعها في قصائده بقوالب من الألفاظ ربَّما تكون أحيانًا أقوى وأجزل من الأصل[١].

السـيِّد حيدر الحِلِّيّ هُوَ مِن مفاخر شعراء العراق وكبار شعرائه في العصر الحديث، فإنَّـهُ خطيب مفـوَّه وأديب كبير، ويمتلـكُ ثقافةً متنوِّعة، ومُتضلِّـع في الفقه والأصول والأدب العربيّ. وممَّا يُلفت النظر هُوَ أنَّ الشعر في هذه المدَّة، وبِالتحديد في مدينة الحِلَّة، لم يكن مقصورًا على طبقة خاصَّة مِن المجتمع، ممَّا تمخَّض عن ظهور العديد من الشعراء الذين كانوا بِالأصل كبار الفقهاء والعلماء في هذه الحقبة الزمنيَّة.

هيمنـت على شـعره العاطفـة الدينيَّة، فاتَّخذ مـن أعلام المذهـب وتاريخه مصدرًا يسـتقي منـه الموضـوع والفكـرة والصـورة والسـياق والمعنـى، ويحـرص عـلى إيراد مصطلحاتـه ومواقفـه عـبر التاريـخ. قصيدته في رثاء ولده تكشـف عن مـدى اتِّكائه عـلى الشـعر القديـم، ومع مـا فيها مـن لوعة، فإنَّهـا لم تتغلَّب عـلى التصنُّـع البادي في تفاصيلها[٢].

يجـب ألَّا ننسـى بِأنَّ الشـاعر أصلُهُ مِن الحِلَّـة، وكانت النجف وما تـزال مِن أَهم مراكز الشيعة على صعيد العلم والأدب والثقافة. فكان لِلشاعر السيِّد حيدر الحلِّيّ دورٌ مهـمٌّ وإيجابيّ في نُهـوض الأدب الملتزم في هـــذه الحقبة، فإنَّهُ دافَعَ عن العقائد الشـيعيَّة

(١) شبَّر، المصدر السابق: ٨/ ١٥.

(٢) عبد العزيز سـعود بابطين، شـعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشـعراء العربيَّة في القرنَين التاسع عـشر والعشرين، جمعهُ وعلَّـق عليه مهدي عبدالأمير مفتـن الكطرانيّ، مركز بابل للدراسـات الحضاريَّة والثقافيَّة، بابل، بلاتا: ١١٢.

وأفكارهم، وتجلَّى هـذا الأمر مِن خِلال أَشعاره ومعانيه الشعريَّة التي هي في مدح أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام ورثائهم وذكر فضائلهم.

شـبَّ السـيِّد حيدر الحلِّيّ شاعرًا مجيدًا، ثمَّ صار أشهرَ شـعراءِ عصرِهِ، وأديبًا ناثرًا، وكاتبًا مترسِّـلًا، فتألَّق نجمه الأدبي أكثرَ في الشـعر ولا سيما في رثاءِ الإمام الحسين عليه السلام، وكـان لغويًّا عارفًـا باللغة متضلِّعًا فيها، وقـورًا ورعًا تقيًّا، عليه سـيماءُ العلماء الأبرار، وكان كثيرَ العبادة من الفرائض والنوافل، كريم الطبع.

انتـشر شـعره في حياته، وبقـى خالدًا متألِّقًـا بعد مماتـه، يتناقله الأدباء مـن النقَّاد وغيرهـم وتَـرَدّدهُ المنابـر فيلقـى استحسـان المتلقـين وإعجابَهـم. قـال الشـيخ محمَّد السـماويّ رحمة الله عليه: أخبرني العلَّامة السـيِّد حسـن بن العلَّامة السيِّد هادي الصدر (ت ١٣٥٤ هـ)، قـال: أخبرني السـيِّد حيـدر الحِلِّيّ قائـلًا: كنت بصدد إعـداد قصيدة لـ(محرَّم)، وقد شـغلني التفكير بإعدادها واختيـار مطلعها، ثمَّ آويت إلى فراشي فرأيت فيما يرى النائم السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام فأتيت إليها مسلِّمًا عليها، مُقبِّلًا يديها، فالتفتت إليَّ وقالت[1]:

«أَنـاعِـيَ قَتلى الـطَّفِّ لا زِلـتَ ناعِيا
تُهـيـجُ عـلى طـولِ الـلَّـيـالي البَـواكِـيـا
أَعِـدْ ذِكـرَهُـم فِي كَـربَـلا إِنَّ ذِكـرَهُـم
طَـوَى جَـزَعًـا طَـيَّ الـسِّـجِـلِّ فُـؤَادِيَـا»

فانتبهت باكيًا متأثِّرًا وأنا أحفظ البيتَين وأردِّدهما؛ فكتبتهما وجعلت أعيدهما ماشـيًا في بَهو منزلي حتَّى فتح الله عليَّ، فقلت منشدًا[2]:

(١) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦؛ شبَّر، المصدر السابق: ٨/ ٨.
(٢) المصدر نفسه.

«وَدعْ مُقلتي تحمرُّ بعد ابيضاضها
بِعَدِّ رزايا تترك الدمع دامياً»

وهذه القصيدة مِن غرر قصائده، وفيها يقول[1]:

«وَممَّا يزيل القلب عن مُستَقرِّه
ويترك زند الغيظ في الصدر وارياً
وقوفُ بناتِ الوحيِّ عندَ طليقِها
بحالٍ به يُشجين حتَّى الأعاديا
أبا حسنٍ حربٌ تقاضتك دينها
إلى أن أساءت في بنيكَ التقاضيا»

إلى تمام القصيدة المثبتة في الديوان. وكانت هذه القصيدة من بعدُ من أحبِّ قصائدِهِ إليهِ، حتَّى أوصى أن تُكتبَ وتُوضعَ في كفنِهَ بعدَ موته[2]، ومن أجل هذا كان يقول: كلُّ شعري لي إلَّا بَيتَين، هما لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، مشيرًا إلى البيتَين المذكورَين في صدر هذه القصيدة.

وفي وصف منزله الخاص بسكنِهِ، وسكن أُسرته، فلهذا المنزل دارٌ متَّصلة بِه، يستقبل فيها ضيوفه، كعادة آبائه وأجداده، وهي دارٌ واسعةٌ جدًّا متَّصلة بمسجد أبي حواض، ولها باب على المسجد، كما لها باب على منزله الخاص، الذي ورثه من بعده ولده السيِّد حسين، ثمَّ السيِّد عبَّاس بن السيِّد حسين، وبجوارها دار عمِّه السيِّد مهدي التي آلت إلى حفيده الشاعر السيِّد عبد المطلب الحِلِّيّ، والدار التي كان السيِّد حيدر يستقبل فيها ضيوفه كانت تستقبل مواكب الحِلَّة بمحلَّاتِها التِّسع التي تحضر في داره في شهر

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٥.
(٢) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦، بابطين، المصدر السابق: ٢/ ١٥٦.

محرَّم الحرام؛ لإقامة العزاء في ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، واستمرَّت هذه الحال في حياة ولده السيِّد حسين بن السيِّد حيدر الحِلِّيّ (ت ١٣٣٩هـ).

تفوَّق السيِّد حيدر الحلِّيّ على شعراء عصره، وبقي شعره موضع إعجاب المتلقِّين وإكبارهم، وصار من المتسالم عليه أَنَّ شعره بلغ حدَّ الإعجاز، حتَّى عَدَّهُ العلَّامة السيِّد محمَّد القزوينيّ (ت ١٣٣٥هـ) أشعر الشعراء الطالبيِّين[١]. وقال له السيِّد مرزا صالح القزوينيّ: إنَّ رثاءك يجبِّب إلينا الموت[٢]. وَوصفه الشيخ حسين النوري بأَنَّه إمام شعراء العراق، بل سيِّد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق، وخِرِّيتُ صِناعَةِ الشعر[٣].

وترجم له أصحاب التراجم، فقد ذكره الشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والشيخ محمَّد السماويّ في الطليعة والسيِّد محسن الأمين في أعيان الشيعة[٤]، والشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة[٥]، وقال عنه الشيخ حسين النوريّ: «السيِّد الصالح الصَّفيّ، إمام شعراء العراق، بل سيِّد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق السيِّد حيدر بن السيِّد سليمان الحلِّيّ، فقد جمع أَيَّده الله بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى وقوة الإيمان بحيث لو يراه أحد لا يتوهم في حقِّه القدرة على النظم، فكيف بأعلى مرثيَّة، وهو خِرِّيتُ صِناعَةِ الشعر الأديب اللبيب فخر الطالبيِّين وناموس العلويِّين»[٦].

(١) محمَّد مهدي البصير، نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م: ٤٢.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠.
(٣) الشيخ حسين النوريّ، جنَّة المأوى، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٣٠٤هـ: ٣/ ٢٩٠.
(٤) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٧٠-٢٦٦.
(٥) آقا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ: ٨/ ٨٧، ٩/ ٢٦٩.
(٦) النوريّ، المصدر السابق: ٣/ ٢٩٠.

وَقال عنه الزركليّ: «السيِّد حيدر الحِلِّيّ شاعر أهل البيت في العراق... ترفَّعَ عن المدحِ والاستجداء، وكان موصوفًا بالسخاء، له ديوان اسمه الدرُّ اليتيم، وأشهر شعره حوليَّاته في الحسين عليه السلام»[1].

وترجم له الدكتور محمَّد مهدي البصير في نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر[2]، والشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ في البابليَّات[3]، والشيخ عليّ الخاقانيّ في شعراء الحِلَّة[4]، وترجم له عبد الرزَّاق البيطار[5]، وذكره الشيخ الأمينيّ في موسوعة الغدير[6]، وذكره الدكتور يوسف عزِّ الدين في كتابه الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه[7]، والأستاذ إبراهيم الوائليّ في كتابه: الشعر السياسيّ العراقيّ[8]، وترجم له الدكتور جواد علوش في كتابه أدباء حِلِّيُّون[9]، وكتبت عنه المجلَّات والصحف، منها مجلَّة البيان النجفيَّة، والآداب البيروتيَّة، ومجلَّة كليَّة بير زيت في الأردن (الغدير)، ومجلَّة النجف والعرفان والمنبر والديوان، وجُمع ديوان شعره وطُبع عدَّة مرَّات. وعُقِدَ له مؤتمر

(١) الزركليّ، المصدر السابق: ١/ ٢٨١.
(٢) البصير، المصدر السابق: ٤٠.
(٣) بابطين، المصدر السابق: ٢/ ١٥٣.
(٤) عليّ الخاقانيّ، شعراء الحِلَّة، مطبعة الزَّهراء، بغداد، ١٩٥٣م: ٢/ ٤٣.
(٥) عبد الرزاق حسن بيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار الصادر، بيروت، ١٤١٣هـ: ١/ ٥٦٦.
(٦) عبدالحسين الأمينيّ، موسوعة الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ط٣، مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٤٣١هـ: ٢/ ٢٣.
(٧) عزّ الدين يوسف، الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه، الدار القوميَّة، القاهرة، ١٩٦٥م: ٦٢-٦١.
(٨) إبراهيم الوائليّ، الشعر السياسيّ العراقيّ في القرن التاسع عشر، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٨م: ٢٢٠.
(٩) جواد أحمد علوش، أُدباء حِلِّيُّون، ط١، مكتبة الفكر الجامعيّ، بيروت، ١٩٧٨م: ٢١٧-٢٠٩.

في طهران في اليوم الثامن من ربيع الثاني عام (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م). وَوصف الدكتور أحمد الوائليّ السيِّد حيدر الحِلِّيّ بأنَّه استأثر بقصب السبق، وتميَّز ببصمات أعطت شعره وجهًا خاصًّا، ونبرةً لا تخطئها الأُذن إذا سمعتها[١]، وقال: وبحكم طول مسيرتي في الخطابة، فقد وعيت مئات النصوص، ولكنَّ شعر السيِّد حيدر يظلُّ الأُفق الذي تحتدم أجواؤه بما لا يسع البيان تصويره[٢]، وقال: إنَّ الجملة عنده مركَّبة من مفردات مكهربة، تحسُّ بحرارتِها وأنت تقرؤها[٣].

وَكان لتفوُّق السيِّد حيدر في مجال الأدب عوامل عديدة أخرى، وهي:

١. تلمذته على عمِّه السيِّد مهدي السيِّد داوود الحِلِّيّ، وكان عمُّه من كبار شعراء عصره، له ديوان ضخم يقع في جزأين، فكان يجمع شعر عمِّه ويحفظه ويرويه فكان راوية شعر عمِّه المهدي.

٢. البيئة التي نبغ فيها، فقد كانت الحِلَّة في المدَّة التي عاش فيها الشاعر زاخرة بالأدباء والشعراء، ينشد الشعر في مدارسها ومجالسها الأدبيَّة، وكان يحضر هذه المجالس، ويعي في صدره ما يسمع، ثمَّ يدوِّن ويجمع.

٣. أسرته العلميَّة الأدبيَّة، فقد كان عمُّه وشيخه المهدي من كبار الشعراء، وكان أبوه سليمان شاعرًا، وجدُّه داوود كان شاعرًا، وكان جدُّ أبيه سليمان الكبير شاعرًا، وعمُّ جدِّه الحسين بن سليمان المعروف بالحكيم كان شاعرًا، وفي أسرته عدد كبير من الشعراء، فقد نشأ في أسرة شاعرة.

(١) أحمد الوائليّ، تجاربي مع المنبر، ط١، دار الزهراء، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦.

٤. جَـمْعُهُ بخطِّه شعرَ عدد من كبار الشعراء، فقد كانت له مجاميع أدبيَّة يجمع فيها المختار من جيِّد الشعر لكبار الشعراء، ودرس شعر عدد منهم دراسة تحليليَّة، أمثـال أبي تمَّام (ت ٢٣١هـ)، والبحتريّ (ت ٢٤٨هـ)، والمتنبِّي (ت ٣٥٤هـ)، وابن هاني الأندلسيّ (ت ٣٦١هـ)، والشريف الرضيّ (ت ٤٠٦هـ)، والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، والمهيار الديلميّ (ت ٤٢٦هـ).

٥. صراعه مع كبار شـعراء عصره، من أمثال عبد الباقـي العمريّ، وعبد الغفَّار الأخرس، والسـيِّد محمَّد سعيد الحبُّوبيّ، وكانت الحركة الأدبيَّة قائمة آنذاك في بغداد والحِلَّة والنجف وسامراء والكاظميَّة، وكلَّما ظهرت رائعة للسيِّد حيدر قُرِئَتْ في مجالس هذه المدن وكلَّما ظهرت خريدة للسـيِّد محمَّد سعيد الحبُّوبيّ أو لعبد الباقي العمريّ ولغيرهما، أُنشدت في هذه المجال.

وكان السيِّد حيدر الحِلِّيّ حاضرًا، فلمَّا رأى الإعراض عنها، التفت إلى الـمُنشد، وقال له: على رَسـلِكَ! التفت إلى الشاعر الشيخ عبد المحسن الخضريّ، وقال له: إذا كان هؤلاء خشبًا مسندة، أنت ما أخرسك عن الحقِّ؟! فلم يجد الشاعر الشيخ عبد المحسن الخضري إلَّا أن يرتجل البيتَين الآتيَين[1]:

«ميَّـزتـني بـالـعـتـب بـين مـعـاشرٍ
سـمـعـوا ومـا حـيٌّ سـواي بسامع
أَخرَسْتَني وتقول ما لك صامتًا؟
وأَمَـتَّـنـي وتـقـول مـا لـك لا تعي»

ثمَّ اعترفَ أنَّ الإعراض عن القصيدة كان مقصودًا، واستعيدت القصيدة من أوَّلها.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩.

٦. الشعور بالظلم والدعوة إلى الثورة على من سَفَك دماء آبائه وأجداده في الطفِّ، فهو يرثي جدَّه الحسين عليه السلام بأُسلوب الثائر الأروع الموتور، الذي رأى أنَّ أسرته بزعامة جدِّه أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد تُباد على أيدي وحوش البشر في يومٍ واحدٍ، فلم يهدأ له بال.

وَفي كلِّ عام يجدِّد له المحرَّم الأحزان والأشجان، وإنَّ الشجي يبعث الشجي، فيصرُّ على تسجيل هذه الفاجعة بقصيدة حوليَّة يفجِّر فيها كلَّ آلامه وأوجاعه وأحاسيسه الملتهبة، حتَّى كتب ثلاثًا وعشرين حوليَّة غير المقطَّعات، وكان لا يفوته أن يسجِّل في شعره عيوب بني أميَّة ومثالبهم، قاتلي جدِّه الحسين عليه السلام، ومنتهكي حُرمته، ويفضح تاريخهم بأنواع من القول تجاوز حدَّ التصوُّر، وسنذكر نماذج منه قريبًا.

المبحث الثاني

أَهم جوانب النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ

سنسلِّط الضوء في هذا المبحث على النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وتشتمل على هذه العناوين، منها: الحميَّة، والحريَّة، والحلم، والشجاعة، والشهامة، والكرم، والهمَّة، والإباء.

أَوَّلًا: الحميَّة والغيرة

ذكر علماء الأَخلاق في تعريف الغيرة أَنَّ الغيرة والحميَّة تعني السعي في حفظ ما يكون حفظه ضروريًّا، وهذه الصفة في إطارها المطلوب تنشأ من الشجاعة وكرامة الإنسان وقوَّة نفسه.

ويمكن تقسيم الغيرة على قسمَين:

١. **الغيرة الإنسانية**: فإنَّ النفس الإنسانية، وبسبب ميولها وَرغباتها، تسعى للدفاع عن بعض الأُمور والحفاظ عليها أمام الآخرين أو المنافسين. إنَّ هذا الحفظ والدفاع هو معنى الغيرة. وَتختلف هذه الغيرة في الناس بحسب نوع التربية والتعليم والأذواق والبيئة و...، فقد تظهر أحيانًا بشكلٍ إيجابيٍّ، وأحيانًا بشكلٍ سلبيّ. ومن المصاديق البارزة لهذه الغيرة هي الغيرة الوطنيَّة.

٢. **الغيرة الدينيَّة**: تعني هذه الغيرة كون الإنسان المسلم حسَّاسًا بالنسبة إلى كيان الإسلام وما يتعلَّق به، ويسعى بكلِّ قدرته لإثباته وتنفيذه وحمايته من

أي اعتداءٍ وتجاوز. وعلى هذا الأساس فإنَّ الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحقِّ والصبر والتعليم والتعلم و... يمكن إدراجها في إطار الغيرة الدينيَّة. وقد كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله النموذج والأُسوة البارزة لهذه الغيرة، وقد سار على هذا المنوال الأئمَّة عليهم السلام الذين صبُّوا جهودهم، ودفعوا بكلِّ ما يملكون من أجل إقامة الدين الإلهيّ، واستحكام قواعده.

وَهي إحدى الملكات النفسانيَّة الشريفة[1]. وَتعدُّ الغيرة، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، مِن جملة الصفات التي يُمتدَح عليها الإنسان، بل ورد في الأَحاديث وصف الله تعالى بالغيور[2].

وَواقعة عاشوراء أيضًا هي نموذج آخر من الغيرة الدينيَّة، فقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام هذه الحقيقة، وسعى لإحياء دين الله بالتضحية بدمه في هذا السبيل، والحقيقة هي أنَّ سبب خلود واقعة كربلاء وعظمتها يكمن في تضحية الإمام الحسين عليه السلام بكلِّ ما يملك في سبيل الله، وَالرِّضا بقتل رجاله وسبي نسائه، ولأجل هذه الغيرة الدينيَّة رضيت أسرة الإمام عليه السلام أيضًا بتحمُّل مشاقِّ الأَسْر ومصائبه وآلامه، والتي قالت عنها السيِّدة زينب عليها السلام: «**ما رأيت إلَّا جميلًا**»[3].

وَأمَّا شاعرنا السيِّد حيدر الحِلِّيّ فيذكر الحميَّة الدينيَّة في الأبيات الآتية بهذا الشكل، إذ يقول[4]:

(١) مهدي النراقيّ، جامع السعادات، ط٤، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، بلاتا: ١/ ٣٠١.
(٢) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، تصحيح عليّ أكبر غفاري، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٦٥ش: ٥/ ٥٣٥.
(٣) السيِّد عليّ بن موسى بن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، منشورات جهان، طهران، ١٣٤٨ش: ١٦٥.
(٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.

«مـــاذا الـقـعـود وفي الأُنـــوفِ حميَّةٌ
تـأبـى المـذلَّـةَ والـقـلـوبُ حِـــرارُ
قـومـي الأُولى عـقـدت قِـدمًـا مـآزرهـم
على الحميَّة ما ضيموا ولا اهتضموا»

في هـذه الأبيـات إشـارة إلـى أنَّ أصحاب الحميَّـة نفوسـهم تأبى المذلَّـة، لذلك يُرغِّبهـم الشـاعر في القيام ضدَّ الذلِّ؛ لأنَّهم ذوات حميَّة، وقلوبهم حرار، أي ليسـوا مِن الرقيق، بل إنَّهم أحرار، واسـتخدم الشـاعر هذه المفردة في مكـان ثانٍ وثالث للترغيب والعتاب.

في الشطر الأَول من البيت الأَوَّل هناك سؤال استنكاري، أي انكار القعود الفاسد والباطل. ما لنـا والقعود وَفي أُنوفنا الحميَّة، دلالة على أوج الحميَّة الصحيحة في مقابل الحميَّـة المحكومـة في القرآن في قوله تعالـى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1]، حتَّـى يخـرج بهذه الحميَّة تأبـى المذلَّة وعدم قبولها اسـتدلالًا بقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه منشدًا[2]:

«نـحـن الـكـرام بـنـو الـكـرا م وطـفـلـنـا في المـهـد يكـنى
إنَّـــا إذا قـــعـــدَ الـلـئـا م عـلـى بـسـاط الـعـزِّ قُـمـنـا»

وَأيضًا يقول في هذا المضمار[3]:

«الله يـا هـاشـــم أيـــن الحـمـــى
أيـن الحـفـاظ الـــمـرُّ؟ أيـن الإبـا؟»

(١) سورة الفتح: الآية ٢٦.
(٢) فرحات، المصدر السابق: ٥٦.
(٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.

ويبقى شاعرنا يثير الهمم ويستنهضها، ويطلب من يأخذ معه الثأر من الظالمين، بعد أن نفد الصبر، وطفح الكأس، وبلغ السيل الزبى، فلا هوادة مع الظالمين، ولا بُدَّ من الثورة عليهم، وأخذ الثأر للدماء التي سُفكت، والخدور التي نُهِبَتْ، والأطفال المروَّعة المذعورة، ويلتفت إلى قومه الشجعان الأبطال ويسأل: أين هم؟ وماذا جرى لهم؟، فيقول الشاعر[1]:

«قومي الأُولى عقدت قِدمًا مآزرهم
على الحميَّة ما ضيموا ولا اهتضموا
قف منهمُ موقفًا تغلى القلوبُ به
منفورة العتب واسأل ما لذيبهم؟
جفَّتْ عزائم فهر أم ترى بردتْ
منها الحميَّة أم هل ماتتِ الشيمُ؟»

ثانيًا: الحريَّة

الحريَّة هي فكر وتصوُّر مرتبط بالروح الإنسانيَّة، وهي غذاؤها الحقيقيّ، فلا يوجد أثمن وأعز للإنسان من حريَّته المرتبطة بالثورة والتغيير، ومن ثمَّ الإبداع، فحديث الحريَّة في القرآن الكريم، وفي الأحاديث، وفي الفقه الإسلاميّ متواتر، بل فوق التواتر. قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[3]، وفي آية أُخرى: ﴿إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[4]، وفي

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.
(٢) سورة الغاشية: الآية ٢١-٢٢.
(٣) سورة ق: الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

آيـة خامسـة، قـال سـبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]، وفي حديـث عـن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا»[2].

وقال الإمام الحسين عليه السلام للحرِّ بن يزيد الرياحيّ: «أنت الحرُّ كما سمَّتك أمُّك، وأنَّت الحرُّ في الدنيا وفي الآخرة»[3]. بل إنَّ الإسـلام إذا رأى الإنسـانَ لا يقبـلُ الحريَّة المطلقة في الآخـرة، يطلب منـهُ أن يكون حرًّا في الدنيا، فقال: قال الإمام الحسـين عليه السلام: لمن جاء لمحاربتـه: «إن لم يكـن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونـوا أحرارًا في دنياكم»[4].

وقال عبد الله بن سنان، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان الإمام عليّ عليه السلام يقول: الناس كلُّهم أحرار إلَّا من أقرَّ على نفسه بالعبوديَّة، وهو مُدرك من عَبد أو أمة، ومن شهد عليه بالرقِّ صغيرًا كان أو كبيرًا[5].

الإمام الحسـين عليه السلام خير مُعبِّرٍ عن روح المجتمع الإسـلاميّ؛ لما له من قدسيَّة دينيَّة واجتماعيَّة وسياسـيَّة، فقد اسـتطاع بانتصاره للحريَّة من تأسيس بُعدٍ ثوريٍّ إنسانيٍّ ضدَّ كلِّ أنواع الظلم والاسـتبداد في جوانـب الحياة كافَّة، وذلك بالتضحيات الجِسـام التي بذلها دفاعًا عن السـلام والحرية، إذ ضحَّى بدمـه الشريف مع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام، وعرَّض نسـاءه للسـبي على يدِّ القوم الظالمين، فالحرية عند الإمام الحسـين عليه السلام وسـيلة لتحقيق أهداف إنسـانيَّة سـامية عن طريق الشـهادة في سـبيل الحريَّة، تعطي الإنسـان دافعًا للتحرُّر والكرامة. يقول المفكر المغربيّ عبد الله العراوج: «لا يجب أن نسـأل إنسانًا

(١) سورة الكافرون: الآية ٦.
(٢) محمَّد عبدة، شرح نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بلاتا: ٣/ ٥١.
(٣) محمَّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ: ٤١/ ١٤.
(٤) المصدر نفسه، ٤١/ ٥١.
(٥) محمَّد بن الحسـن، الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، دار نشر آل البيت عليهم السلام، قم المقدَّسة، ١٤١٤هـ: ١٦/ ٣٣.

مـا هي الحريَّة؟ بل كيف تفهـم أو تتصوَّر الحريَّة». فالحرية هـي أن تحقِّق أهدافك التي تـودُّ تأكيدهـا في الواقع، فذلك هو الدافع الحقيقيّ للإمام الحسـين عليه السلام لرفع شـعارات الحريَّة.

فالخـلاف بين الإمام الحسـين عليه السلام وبـين أعدائه لم يَدُر على الصراع حول سـلطةٍ أو مكسـبٍ شـخصيٍّ أو مزاجٍ خاصٍّ، وإنَّما كان حول مبادئ خالـدة لا تتطرَّق إليها رغبة جامحـة، ولا تشـين نقاءها نـزوة هوجاء، فاستشـهاده عليه السلام كان فلسـفة للعيـش بحريَّة وكرامـة، وبُعـدًا روحيًّـا عاليًا للحريَّة، فشـعارات الإمام الحسـين عليه السلام، كلُّهـا تؤكِّد أن لا حياة بدون الحرية، وأنَّنا أمام الله سواسية.

وَأمَّا شـاعرنا السـيِّد حيدر الحِـلِّيّ، فقد جاء بذكـر هذه القيمة في أبياته، ورسـمها بأحسن صورة، إذ قال[1]:

«وَإذا تَرَجَّلَتِ الضُحى شَهِدَتْ لَهُمْ
بِيْضُ الـقَـواضِـبِ أَنَّـهُـمْ أحـرارُ»

أشار الشاعر إلى أنَّ لمعان السيوف في النهار وأيضًا في الضحى؛ لشدَّة نور الشمس، وكثرة لمعان السـيوف، شـهادة على حريَّة من رفعها ضدَّ الظلـم والجَور؛ لأنَّ في البيت السابق كان الحديث حول العباد الخُشَّع[2]:

«سـمـة الـعـبـيـد مِـن الخـشـوع عليهم
للهِ أن ضـمَّـتـهـم الأسـحـار»

ومن المعلوم أنَّ العباد الخشَّع لا يرفعون القواصب إلَّا ضدَّ الظلم والجور، والقيام ضدَّ الظلم والجَور من علائم الأحرار.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٨٤.

ثالثًا: الحلم والصَّفح

خلق من أخلاق الإسلام العظيمة، يتمثَّل في تربُّث الإنسان وتثبُّته في الأمر، ويعني الأناة وضبط النفس[١]، وهو ضبط إرادي للانفعال في مواجهة إساءات الآخرين، ابتغاء وجه الله، وهذا الضبط الإرادي يعطي الحليم الفرصة للتفكير الهادئ والتقدير السديد لتلك الإساءات، فيقرِّر بطريقة سليمة خلقيًّا ودينيًّا أن يقابلها بمثلها، أو يعفو عنها، وهكذا يكفل الحلم لصاحبه البقاء ضمن إطار القانون والفضيلة، ويجنِّبه تجاوزهما. أمَّا الخير الذي يجنيه الغير من حلم الحليم، فهو الأمن من الظلم أو انتهاك الفضيلة والقانون بالاعتداء أو بالعقاب المخالف لهما، وكذلك يتيح الحلم للآخرين الفرصة لنيل العفو والصفح عن إساءته[٢].

وعندما نتأمل آيات القرآن الكريم التي تعالج الحلم، نجد أنَّها تذكره كصفة لله ﷻ، ثمَّ لأنبيائه، وأنَّها تقرنه غالبًا بالمغفرة. يقول تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٤]، وأمر بذلك في عدَّة آيات، كقوله سبحانه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[٧]، ويلاحظ أنَّ الصيغة اللغويَّة التي ذكر بها الحلم في القرآن هي الصفة؛ ولكنَّها مع ذلك تشير إلى حثٍّ القرآن على الحلم بطريقة غير مباشرة، فهي صفة رفيعة وصف الله بها ذاته

(١) إبراهيم مصطفى، حسن الزيَّات، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستانبول، ١٩٨٩م: ١/ ٢٠١.
(٢) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م: ٤/ ٤٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.
(٥) سورة النور: الآية ٢٢.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٧) سورة الحجر: الآية ٨٥.

تعالى، ثمَّ وصف بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام[1]. إنَّ عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «إنَّه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»[2].

إنِ اللهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَلِيمَ[3]، وأنَّه ما أذلَّ بحلم قط[4]، وكفى بالحلم ناصرًا، وهو وزير المرء، وإذا لم تكن حليمًا فتحلَّم[5]، وأنَّ الحليم أقوى الخلق[6].

فضل الحلم والصفح:

بالتأمل في صفة الحلم نجد أنَّها تعود على صاحبها بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة، نجمل منها:

١. جعل الله عزَّ وجلَّ الحلم والعفو من صفات المتَّقين الذين يسارعون إلى مغفرة الله، وإلى الجنَّة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[7].

٢. الحلم يحيل العداوة مودَّة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[8].

(١) إبراهيم أحمد عبدالرحمن، الفضائل الخلقيَّة في الإسلام، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٩م: ٢٤١.
(٢) الكلينيّ، المصدر السابق: ٢/ ١١٢، المجلسيّ، المصدر السابق: ٧١/ ٤٠٤، الحرُّ العامليّ، المصدر السابق: ١١/ ٢١٠.
(٣) الكلينيّ، المصدر نفسه: ٢/ ١١٢، المجلسيّ، المصدر نفسه: ٧١/ ٤٠٤.
(٤) الكلينيّ، المصدر نفسه: ٢/ ١١٢، الحرُّ العامليّ، المصدر السابق: ١١/ ٢١١.
(٥) المجلسيّ، المصدر السابق: ٧١/ ٤٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ٧١/ ٤٠٦.
(٧) سورة آل عمران: الآيات ١٣٣-١٣٤.
(٨) سورة فصِّلت: الآيات ٣٤-٣٥.

٣. جعل الله سبحانه وَتعالى الصفح، والعفو، والحلم من علامات القوَّة، وليس من علامات الضعف والعجز، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[١].

٤. الحلم من صفات الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالى واصفًا سيِّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٢]، ويقول واصفًا النبيّ إسماعيل عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[٣].

وَأمَّا شاعرنا السيِّد حيدر الحِلِّيّ، فَذكر تلك القيمة، وأكمل حديقة أشعاره بها، ومن هذا المنطلق نشير هنا إلى نموذج منها[٤]:

«فَلا وصَفحِكَ إنَّ القومَ ما صَفحُوا
ولا حِلمِكَ إنَّ القَومَ ما حَلموا
فحمل أمك قدمًا أسقطوا حنقًا
وطفل جدِّك في سهم الردى فطموا»

في البيت الأوَّل أشار الشاعر إلى خِصلَتَين من خصال أهل التَّقوى، كما عبر القرآن الكريم عنها، وَهي الصفح والحلم من ضروريَّات المجتمع؛ لضمان أمنه وتعاطف أهله. ومن الملاحَظ بأنَّ في البيت الثاني توجد إشارة واضحة إلى أن الذين أسقطوا حمل الزهراء عليها السلام، والذين رموا عبدالله الرضيع، لم يتَّصفوا بصفات أهل التقوى، وفيه دلالة على عدم قبولهم للإسلام؛ لأنَّ الإسلام دين الرحمة والشفقة.

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.
(٢) سورة هود: الآية ٧٥.
(٣) سورة الصَّافَّات: الآية ١٠١.
(٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٤.

رابعًا: الشجاعة

الشـجاعة خُلق فضيل امتدحه العرب قبل الإسلام، وكان الفارس مفخرة لقبيلته وعشيرته، وكان السبب الرئيس لشجاعة العرب أنَّهم دائمًا يستعدُّون للدفاع عن النفس من عدوِّهم، وكانت الغلبة فيهم، يكرمون الشـجاع ويتفاخرون بالشجعان، وينظرون إلى الجبان نظرتهم إلى النسـاء، بل هو دونهنَّ. قال ابن خلدون عن شـجاعة العرب:... وأهـل البـدو لتفرُّدهم عـن المجتمع، وتوحُّشـهم الضواحـي، وبعدهم عـن الحامية، وانتبادهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقـون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السـلاح... إلى أن قـال: قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجيَّة. وكانوا يتمادحون بالموت قطعًا، ويتهاجون بالموتِ على الفراش، ويقولون فيه: مات فلان حتف أنفه، وعن بعضهم وقد بلغه قتل أخيه: إن يُقتَل فقد قُتِل أبـوه وأخوه وعمُّه، وإنَّا والله لا نموت حتفًا، ولكن قطعًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف، وقال السمؤال مُنشدًا[1]:

«وَمـا مـاتَ مِـنَّـا سَـيِّـدٌ حَـتـفَ أَنـفِـهِ
وَلا طُـلَّ مِـنَّـا حَـيـثُ كـانَ قَـتـيـلُ
تَـسـيـلُ عَـلى حَـدِّ الـظُّـبـاتِ نُـفـوسُـنـا
وَلَـيـسَـت عَـلى غَـيـرِ الـظُّـبـاتِ تَـسـيـلُ»

ثمَّ إنَّهم لـمَّا أسـلموا لم يتركوا هذه الصفة؛ لأنَّ الإسـلام رحَّب بها وأقرَّها، بحيث ربَّـى القرآنُ الكريم المؤمنين على الشـجاعة، فكانت آياته المنبـع الذي شربت منه الأُمَّة معنـى الشـجاعة وقيمتها، فقـال الله مخاطبًـا الأُمَّة ورسـولها: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) الراغـب الأصبهانـيّ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء والبلغاء، منشـورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بلاتا: ٢/ ١٤٥.

﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[1]، إنَّ حياة رسول الله ﷺ القوليَّة والعمليَّة كانت أنموذجًا عاليًا في الشجاعة، فعند التأمُّل في سيرة الرسول الأعظم ﷺ نَجدهُ يتعامَل مع كل المواقف والمصاعب بقلبٍ ثابتٍ، وإيمانٍ راسخٍ، وشجاعةٍ نادرة؛ لذلك خاطبه الله قائلًا: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾[2].

وقد كانت هذه الشجاعة خُلقًا فطريًّا مزروعًا في قلب رسول الله ﷺ من نشأته الأولى؛ فها هو ذا يشارك أعمامه في (حرب الْفِجَار)، وهو لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره[3]، ويُعلِّم أُمَّته الشجاعة في كلِّ الميادين، بدايةً من ميدان الكلمة، وانتهاءً بميدان الجهاد في سبيل الله، ومن أعظم هذه الميادين التي يُؤَكِّدها النبيّ ﷺ ميدان مواجهة الظالمين، فيقول: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[4]، وهذا هو الحسين عليه السلام ريحانة المصطفى وَوارث الأَخلاق المحمَّديَّة والشجاعة الحيدريَّة وقف بكربلاء مع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام بصرامة أمام جلاوزة يزيد (لعنة الله عليهم)، وعلَّموا الأجيال الشجاعة والوقوف ضدَّ الظلم، وَمن هذا المنطلق، تطرَّق أيضًا سيِّدنا الراحل إلى هذه القيمة في أبيات عديدة، جاءت بوصف شجاعة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ومنها قوله[5]:

(١) سورة النساء: الآية ٧٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٣) الفجَّار: حرب وقعت بين قريش وحلفائها وبين هوازن قبل البعثة بعشرين سنة تقريبًا، وكانت في الأَشهر الحرم، فلمَّا قاتلوا فيها قالوا: قد فَجَرْنا. فسُمِّيَتْ فِجارًا. أُنظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١م: مادة فجر ٥/ ٤٥.

(٤) عليّ بن موسى ابن طاووس، كتاب الملاحم، ط٥، شريف الرضيّ، قم المقدَّسة، ١٩٧٨م: باب الأمر والنهي (٤٣٤٤).

(٥) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.

«أســـدٌ تـــردُّ المـــوتَ دهـــشـةُ بـأسـهِ
ولـــه بـــــأرواح الـــكُـــماة عِـــثـــارُ»

يُصوِّر الشاعر شجاعة الإمام الحسين عليه السلام عند لقائه مع الأعداء، فهوَ كالأَسد الذي تجسَّـد الموت في شـدَّة غضبه وبأسه، فَسلب أرواح الشـجعان من أجسادهم حتَّى صار يتعثَّر بالأشلاء من كثرة القتلى، وهذه دلالة على أنَّ الإمام وأصحابه شجعان، أصلابٌ في العقيدة؛ لأنَّ ثبات العقيدة هي أكبر دافع لخوض الصعاب.

وَفي مكان آخر يصوِّر لنا صورة مميَّزة من شجاعة الإمام الحسين عليه السلام، فَيقول[1]:

«يـلـقـى الـكـتـيـبـةَ مـفـردًا
فـتـفـرُّ دامـيـةَ الجِـــرَاحِ
وبِهـامِـهـا اعـتـصَـمَـتْ مَخَـا
فَـةَ بـأسِـاهِ بِـيـضُ الـصِّـفـاحِ
وتـســاتَّـرت مـنـهُ حـيـا
ءً في الحـشـا سـامـر الـرمـاحِ»

أرأيت هذه الصورة الجميلة؟ أرأيت الأسـد يطارد قطعان الماشية، فتحُاول أن تجد لها مهربًا منه، فهربت أمامه دامية الجراح، وهكذا فعل الإمام الحسـين عليه السلام بجيش الكفر الذي كان يقاتله، وكانت السـيوف تعتصم في هامات الرجال خوفًا منه، وسُمر الرماح كانت كالغيد الحِسـان السُّمر خجولة من الحسـين عليه السلام؛ فتستَّرت في أَحشاء الرجال. في الحقيقـة إنَّها صورٌ فريدةٌ من نوعها، عزَّت على الشـعراء مِن قبلـه، فانفردوا باقتناصها. فالسـيِّد حيدر الحلِّيّ كصاحب الجواهر الثمينة الذي يعرف كيف يختار جواهره، وكيف يناسق بينها، وَمن الملاحظ أنَّ الألفاظ لا تنافرَ فيها، ولا تغريب في تناسقها.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٢٨.

خامسًا: الشهامة

الشـهامة اصطلاحًا: عزَّة النفس وحرصها على مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذِّكر الجميل[1]، وَوجه الشـهامة في الحديث أَنَّ الرسـول الأعظمﷺ، على الرغم من عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين، لـمَّا جاءه أبو سـفيان يطلب منه الاستسقاء، لم يرفض؛ لحسن خلقه وشـهامته ورغبته في هدايتهم، فإنَّ الشـهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء لها أثر كبير في ذهاب العداوة أو تخفيفها.

والشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ أيضًا يتطرَّق لهذه القيمة في شعره، فَيقول[2]:

«أيـن الشهامة أم أين الحفاظ أما
يـأبى لها شرفُ الأحسـابِ والكـرم»

الشـهامة هي خصلة مـن خصال المؤمنين الذيـن يعتقدون بأنَّ المـوت والحياة بيد الله، أو الذيـن ينظرون إلى الموت بأنَّه خير، وَرابط بـين الدنيا والعالم الثاني، لذلك ترى أهل الشـهامة يخوضون بالموت خوضًا، فالشاعر أَيضًا بدوره يدعو أهل الشهامة وأهل الـشرف والكرم من النـاس، إلى الدفاع عن حرائر النبـيعليه السلام وآل البيتعليهم السلام، وَفي هذه إشـارة إلى أنَّ الذين سَـبوا حرائر آل بيت الرسـولﷺ بعيدون كلَّ البُعد عن الشرف، وَأنَّهم لئام ليسوا بكرام.

سادسًا: الكرم

الكـرم والسـخاء من الصفـات التي كـان يتحلَّى بها كثـير من أهـل الجاهليَّة قبل الإسـلام، ويمتـازون بها، حتَّـى صارت مادَّة يتغنَّى بها الشـعراء، وتصـدح بها حناجر

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المصدر السابق: ١/ ٤٩٨.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.

الخطبـاء ويتفاخر بهـا أولاد الكرماء، فعدُّوهـا من مفاخرهم، واعتبروهـا من تراثهم، وعابوا من لم يمتلك تلك السجيَّة، وعدُّوها عليه منقصة ومثلبة، وراحوا أبعد من ذلك، فصـاروا يعيِّرونه، بل إنَّ العار قد يلحق حتَّى ذريَّته ونسـله ما لم يظهر فيهم من يتَّصف بالكـرم والسـخاء؛ ليمحو ما لحقهم مـن البخل والجفاء. ولـمَّا جاء الإسـلام حثَّ على الكرم والسـخاء والضيافة، وأكَّدها في موارد عدَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[2].

وكذلك شـجَّع المعصومـون عليهم السلام الناسَ على إكـرام الضيـف، ورغَّبوهم في آداب الضيافـة التي حثَّ الإسـلام عليها، ذلك أنَّ الضيافة والسـخاء من الأمـور التي تزيد الترابط والودَّ بين الناس، وتقوِّي أواصر المحبَّة والأُلفة بين الأصدقاء، وتستلُّ الضغينة إن وجِدت من القلوب، وتبعث على التراحم والعطف وتُرقِّق القلوب وتهذِّب النفوس؛ لمـا فيها من تواضع وتأدُّب واحترام يُظهـره المضيِّف أمام الضيف[3]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قـال: «**ليلة الضيف حقٌّ واجبٌ على كلِّ مسـلم، ومن أصبح إن شـاء أخذه، وإن شـاء تركـه، وكلُّ بيـتٍ لا يدخل فيه الضيـف لا تدخله الملائكة**»[4]، وعـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يسمع بِهمسِ الضيف ويفرح بذلك إلَّا غُفرت له خطاياه، وإن كانت مطبقـة ما بين السـماء والأرض**»[5]، وعن عاصم بن ضمـرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

(١) سورة هود: الآية ٦٩.
(٢) سورة الذاريات: الآيات ٢٦-٢٤.
(٣) محمَّد بن محمَّد الشعيريّ، جامع الأخبار، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، بلاتا: ١/ ١٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٣٦.
(٥) المصدر نفسه: ١/ ١٥٩.

«مـا من مؤمن يحبُّ الضيـف إلَّا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البـدر، فَيَنْظُرُ أَهْلُ اَلْجَمْعِ فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَيَقُولُ مَلَكٌ: هَذَا مُؤْمِنٌ يُحِبُّ اَلضَّيْفَ وَيُكْرِمُ اَلضَّيْفَ وَلاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى أَنْ يدخل الجنة»(١).

وهـذه القيمـة لها دور خاص في مدائح ورثاء السـيِّد حيدر الحِـلِّيّ لآل البيت عليهم السلام، ومن تلك الأبيات قوله(٢):

«وهـم خـيرُ مـن تحـت السـماء بأسرهم

وأكـــرمُ مَـن فـوق الـسَّـماء وأشرفُ»

أشار الشاعر إلى أنَّ بني الزهراء عليها السلام هُم أكرمُ وأشرف أهل الأرض بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ شرفهم يمتدُّ من الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا الاتِّصـال هو دليل عقليّ على شرفهم وفضلهم على أهل السـماوات، والدليل على قوله هـذا، الروايات الكثيرة التي نصَّت على أنَّهم هُم العلَّة الغائيَّة للوجود.

سابعًا: الوفاء

الوفاء بالعهد فضيلة من الفضائل التي أكَّدها الإسلام، وحثَّ الناس عليها، وَرغَّب فيها؛ لأنَّ الوفاء من السجايا الكريمة المركوزة في الفطرة السليمة النقيَّة، وحقيقة الوفاء أن تؤدِّي ما التزمت به نحو الله تعالى، ونحو نفسـك، ونحو أهلك وعشيرتك، بل نحو الناس أجمعين، أداءً كاملًا غير منقوص.

أمَّـا فضله: فإنَّ الوفاء وليـد الأمانة، وعنوان الصدق، ودليل الشـجاعة والصبر، وقـوَّة الاحتـمال، وإنَّ الوفـاء لا يوجد إلَّا حيث توجـد الجرأة والصراحة والشـجاعة

(١) محمَّد بن محمَّد الشعيريّ، جامع الأخبار: ١/ ١٣٦.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩٣.

والصبر على ما يكلِّف به؛ فربَّما كلفك الوفاء بالعهد أعزَّ ما تملك.

إنَّ الوفاء خلق عظيم لا يتَّصف به إلَّا العظيم؛ ولذلك وصف الله تبارك وتعالى نفسه بهذا الفضل، بحيث إنَّ الله ﷻ يخبرنا بأنَّه لا يظلم مثقال ذرَّة، فقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، ولقد أثنى الله على رُسله وأنبيائه بالوفاء، يقول الله سبحانه في سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[2]. ولنا في وفاء إمام المرسلين وأهل بيته الأئمَّة الميامين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أُسوة حسنة، فلقد عُرِفوا صلوات الله عليهم بالوفاء واشتهروا به، ولا يسعنا التطرُّق إلى وفائهم؛ لأنَّ لا مجال لذلك في هذا البحث القصير. ولكن نشير هنا إلى نموذج واحد من وفاء الرسول صلى الله عليه وآله، فقد رويّ أنَّه كانت تأتيه المرأة فيبشُّ في وجهها ويكرمها، وربَّما أعطاها الشاة كلَّها أو يعطيها معظم أعضائها؛ فتقول له عائشة: يا رسول الله! من هذه المرأة؟ أتعرفها؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: «**أنَّها كانت تأتينا أيَّام خديجة**، يعني أنَّها من صويحبات خديجة، **وإنَّ حسن العهد من الإيمان**»، ومن أعظم الأدلَّة على وفائه لزوجه خديجة (سلام الله عليها)، ما رُوِي في الصحيح أنَّ عائشة أخذها الحسد من كثرة ذكره لخديجة (سلام الله عليها) وثنائه عليها، فقالت له يومًا: يا رسول الله تقول: (خديجة.. خديجة) هَلْ كانَتْ إلَّا عَجُوزًا، وَقَدْ اَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْها؛ فتألَّم لذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وظهر ذلك على وجهه، وقال: «**ما أبدلني الله خيرًا منها**»، ثمَّ جعل يعدِّد ما امتازت به زوجته خديجة على غيرها من المآثر والفضائل، فقال: «**لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وَواستني بمالها إذ حرمني الناس، وَرزقني الله منها الولد؛ فلا والله ما أبدلني الله خيرًا منها**».

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٩.
(٢) سورة النجم: الآيات ٣٧-٣٦.

لقد أوجب الإسلام على معتنقيه الوفاء بالعهد والالتزام به واحترام المواثيق، ونصَّ دستور حياتهم على ذلك في غير آية من آيات القرآن الحكيم، يقول الله تعالى بهذا الصدد: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[2].

وَأمَّا في تاريخ الأدب العربيّ، فإنَّ مُعظم الشعراء أثنوا ثناءً جميلًا على الموفين بعهودهم، وشاعرنا أيضًا قام بتصوير تلك القيمة بشكلٍ جيِّدٍ، إذ قال[3]:

«نَعى الروحُ جبريلٌ بأنَّ ذوي الغدرِ
أراقوا دمَ الموفينَ للهِ بالنذرِ»

جبرائيل عليه السلام نعى من مدحهم الباري في سورة الإنسان، وشهد فيها بأنَّهم أوفوا بالنذر، وهم آل بيت الرسول عليهم السلام، وأخبر بنعيه عليه السلام أنَّ الذين قتلوهم هم أهل الغدر، وهذه إشارة إلى أنْ لا حقَّانيَّة لقاتل الحسين عليه السلام.

ثامنًا: الهمَّة

تُعدُّ الهمَّة من المقومات الأساسيَّة في بناء شخصيَّة الإنسان، وهي من أَهمِّ العوامل الرئيسة في نجاحه في حياته العلميَّة والعمليَّة، وعندما نبحث في حياة الناجحين من العلماء والمبدعين، ومن خلدة التاريخ، نجد أنَّ من أهم أسباب نجاحهم هي همَّتهم العالية، وسعيهم الحثيث نحو التقدُّم والرُّقيّ.

والأمر الجليُّ في أصحاب الهمَّة العالية أنَّ كلَّ شخصٍ منهم يكون إنجازه على قدر همَّته، وطموحه الذي أراد أن يصل إليه، وذلك لحالة التوافق بين النشاط والهدف المرام

(١) سورة النحل: الآية ٩١.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
(٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٠.

إليه، لهذا نحن بدورنا أردنا أن نبحث أيضًا في هذا الجانب، حتَّى نستطيع أن نحقِّق ما نصبو إليه في حياتنا العمليَّة من طموحات وآمال.

الهمَّة لغةً: وردت كلمة الهمة في كتب اللغة بعدَّة معانٍ، من بينها ما جاء في لسان العرب لابن منظور، إذ يقول: «والهمَّة واحدة الهمم، والمهمَّات من الأمور الشدائد المحرقة»، إلى أن يقول: «وَهمَّ بالشيء يهمُّ همًّا، نواه وأراده وعزم عليه»[1]. وقد عرَّفها الجرجانيّ بقوله: «الهمُّ هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خيرٍ أو شرٍّ»[2]، وقال الفيروز آباديّ: «الهمَّة ما همَّ به من أمر ليفعل»[3].

وقد عرفها الجاحظ اصطلاحًا بقوله: «هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطيَّة، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلب الغايات، والتهاون بما يملكه، وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به»[4]، فهي تأتي بقصد العزيمة، وطلب المعالي، وغيرها من المعاني التي تعدُّ لمن عنده أرادة قويَّة وثابتة؛ لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان. الإسلام يحثُّ على كلِّ ما هو خير وصلاح للإنسان، وعلوُّ الهمَّة من الجوانب التي أولاها الاهتمام؛ لأنَّها ركيزة عمل الإنسان، ولذلك سنذكر مقتطفات قصيرة في هذا الجانب، فقد ورد في القرآن الكريم عدَّة آيات في هذا المضمار، منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[5]،

(١) ابن منظور، المصدر السابق: ١٢/ ٦٢٠.
(٢) عليّ بن محمَّد الجرجانيّ، التعريفات، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م: ٣٢٠.
(٣) محمَّد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آباديّ، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م: ١٥١٢.
(٤) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، ١٣٤١هـ: ١/ ٢٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وقولـه ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1]، ومنها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3]، فنجد التعبيرات في التسـابق والسرعة، فهذه الآيات تدعو إلى التسـابق والتنافس في الخيرات، وَهي تكون بالهمـم. عـن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام قـال: «**قدر الرجل على قـدر همّته**»[4]، وقال: «**المؤمن بشره في وجهه.. بعيد همُّه**»[5]، وقال: «**من رقى درجات الهمم عظمّته الأمم**»[6].

وجاءت هذه القيمة على لسان الشاعر السيِّد حيدر الحلِّيّ، إذ قال مُنشدًا[7]:

«هـمـامٌ لـه عـزمٌ بـه الـشُّـمُّ في الـوغـى
تَـعُـودُ أعـالـيـهُـنَّ وَهـي أسـافِـلُ»

وَمِن الملاحظ في البيت السالف بأَنَّ الهمَّة هي من خصال أصحاب الطموحات؛ لأنَّها لازمة تتحقَّق من خلالها الطموحات، وَهي على مستويات، وكان عليها نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وآله، لذلك أرسله الله لكلِّ الدنيا دون سائر الأنبياء، وذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[8]، وقد استورثها سبطه الإمام الحسين عليه السلام؛ لذلك يشير شاعرنا إلى الهمَّـة التي كانت عند الإمام الحسـين عليه السلام، واصفًـا إيَّاها أنَّ بها يعلى السـافل، وهذه من ضروريَّات بناء المجتمع؛ لأنَّ الذي يقوم ببناء مجتمع لا بدَّ أن تكون له أعلى همَّة.

(١) سورة المطفِّفين: الآية ٢٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦١.
(٣) سورة الواقعة: الآية ١٠.
(٤) ابـن أبي الحديـد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمَّـد ابراهيم، ط١، دار الكتـاب العربـيّ، بغداد، ٢٠٠٧م: ١٦/ ٢٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٣٣.
(٦) المصدر نفسه: ١٦/ ٦٦١.
(٧) الحِلِّـيّ، المصدر السابق: ١/ ١٤٢.
(٨) سورة سبأ: آيه ٢٨.

تاسعًا: الإباء

إنَّ إبـاء الإمام الحسـين عليه السلام للضَّيم، ومقاومته للظلم، واسـتهانته القتل في سـبيل الحقِّ والعزِّ، ضُربت به الأمثال، وسـارت به الركبان، ومُلِئَت به المؤلَّفات، وخَطبت به الخطباء، ونظمته الشعراء، وكان قدوةً لكلِّ أَبيٍّ، ومثالًا يحتذيه كلُّ ذي نفس عاليةٍ وهمَّةٍ ساميةٍ، ومنوالًا ينسج عليه أهل الإباء في كلِّ عصرٍ وَزمان، وطريقًا يسلكه كلُّ من أَبتْ نفسـه الرضا بالدنيَّة وتحمُّل الذلِّ والخنوع للظلم، وقد أتى الإمام الحسـين عليه السلام في ذلك بـما حيَّر العقول وأذهـل الألباب وأدهش النفـوس وملأ القلوب وأعيـا الأمم عن أن يشـاركه مشارك فيه، وأعجز العالم أن يشابهه أحدٌ في ذلك أو يضاهيه، وأعجب به أهل كلِّ عـصر، وبقي ذكره خالدًا ما بقي الدهر. ولـمَّا أحيط به بكربلاء وقيل له: أنزل على حكـم بني عمَّك، قال: «**لا والله! لا أعطيكم بيدي إعطـاء الذليل ولا أقرُّ إقرار العبيد، فأختـار المنيَّة على الدنيَّة، وميتة العزِّ على عيش الـذلِّ**»، وَقال: «**ألا إنَّ الدعيَّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: السلة والذِّلة، وهيهات منا الذلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حميَّة ونفوس أبيَّة لا تؤثِر طاعة اللئام على مصارع الكرام**». أقدم الحسـين عليه السلام على الموت مقدِّمًا نفسـه وأولاده وأطفالـه وأهل بيته للقتل قربانًا وفاءً لدين جدِّه بكلِّ سـخاءٍ وطيبةِ نفْسٍ وعدم تردُّدٍ، وتوقَّف قائلًا بلسان حاله: **إن كان دين محمَّد لم يسـتقم إلَّا بقتلي فيا سيوف خذيني**. وهذا هو الإباء، وقد تجلَّى أكثر تجليًّا في شعر السيِّد حيدر الحلِّيّ لآل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام[1]:

«بـنـفـسي وآبـائـي نـفـوسًـا أبـيَّـةً
يُـجَـرِّعُـهَـا كـأسَ المـنـيَّـةِ مـترفُ»

الشـاعر يتفدي بنفسـه ونفوس آبائه التي أَبَت في الظلم والذلَّ والهوان والرذائل،

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩٣.

أي رفضت كلَّ ذلك؛ لأنَّهُ يتنافى مع الإنسانيَّة، ويشير أيضًا شاعرنا الفاضل من خلال ذلك إلى أنَّ الذي جَرَّعَ تلك النفوس كأس المنيَّة هو شخص مُترف، لا يعلم ما هي الآلام الإنسانيَّة، وما هي الجروح التي مرَّ بها الإنسان، ونستنبط أنَّ آل البيت عليهم السلام مرُّوا بما مرَّت به الإنسانيَّة من لوعات وآلام وجروح، بل أشدَّ من ذلك.

أيُّها القارئ العزيز، تعال هنا لنستمع إلى أبيات السيِّد حيدر الحلِّيّ وهو يصوِّر معركة الطفِّ أروعَ تصوير، والصوَّر تتلاحق، بحيث يقتنصها الواحدة بعد الأُخرى، ويجمع في سِلالِهِ أجملَ الزهور حين يقول[1]:

«فإمَّا يُرى مذعنًا أو تمو
تُ نفسُ أبى العزُّ إذعانَها
فقال لها: اعتصمي بالإبا
فنفسُ الأبيِّ وما زانَها
إذا لم تجد غير لبس الهوا
نِ فبالموتِ تخلع جثمانَها
رأى القتلَ صبرًا شعارَ الكرا
مِ وفخرًا يُزين لها شانَها
فشمَّرَ للحربِ في معركٍ
به عرك الموتُ فرسانَها
فأضرمها لعنان السما
ءِ حمراءَ تلفح أعنانَها
ركينٌ ولا للأرض تحت الكما
ةِ رجيفٌ يزلزل ثهلانَها

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٨.

أقــرُّ عــلى الأرض مــن ظـهـرهـا
إذا مـلـمـل الـرعــب أقــرانَهــا

*****

تــركــتُ حــشــاك وسـلــوانَهــا
فــخــلِ حــشــايَ وأحــزانَهــا
كــفــاني ضـنــىً أن تُــرى بـالحسيـ
ــن شـفـت آلُ مــروانَ أضـغـانَهـا
فــأغــضــبــتِ اللهَ في قـتـلـه
وَأرضــــت بــذلــك شـيـطـانَهـا
عــشــيــةَ أنهــضــهــا بـغـيُـهـا
فــجــاءتــه تــسـحـبُ طـغـيـانَهـا
بـجـمـعٍ مــن الأرض سـدَّ الـفـرو
جَ وغـطَّـى الـنـجـودَ وغـيـطـانَهـا
وطــا الــوحــش إذ لم يجـد مـهـربًـا
ولازمــــتِ الــطــيـرُ أوكــانَهــا
وحـفَّـتْ بِـمـن حـيـثُ يـلـقى الجمو
عَ يُـثـنَّـي بِـمـاضـيـه وحـدانَهـا
وسـامـتـه يـركـبُ أحــدى اثـنـتـيـ
ــنِ وقـد صرَّتِ الحـربُ أسـنـانَهـا

*****

كــــأنَّ المـنـيـة كـانـت لـدي
ــهِ فـتـاةٌ تـواصـل خـلـصـانَهـا

جلتها له البِيضُ في معركٍ
به أثكل السمر خرصانَها
فبات بها تحت ليل الكفا
حِ طروبَ النقيبة جذلانَها
وأصبح مشتجرًا للرما
حِ تُحلِّي الدما منه مُرانَها
عفيرًا متى عاينته الكما
ةُ يختطف الرعب ألوانَها
فما أجلتِ الحربُ عن مثلهِ
صريعًا يجبِّنُ شجعانَها
تزيد الطلاقة في وجهه
إذا غير الخوف ألوانَها
ولمَّا قضى للعلى حقها
وَشيَّد بالسيف بنيانَها

*****

تَرَجَّلَ للموت عن سابقٍ
له أخلتِ الخيلُ ميدانَها
غريبًا أرى يا غريبَ الطفو
فِ توسدَ خديك كثبانَها
ألستَ زعيمَ بني هاشمٍ
ومطعامَ فهرٍ ومطعَانَها»

هذا الحشدُ من الصور الرائعة تطالع المتلقِّي، تشدُّه صورة فيبدي إعجابه بِها، وقبل

أن يُعـرِبَ عـن سروره بِهـا، تبهره أُخرى أكثر روعـة، وكأنَّه في روضـة جميلة الأزهار، صورة جيش سـدَّ مطالعَ الآفاق وفروج الأرض، فلم تجد الطير غير قممِ الجبال مأوى لهـا، وقد أحاط هذا الجيش بفارس إذا نازل البطل شـطره نصفَـين، وأرادوه أن يخضع لرغبتهم فيستسـلم لهم، فأراهم عجبًا حين نازلهم منفردًا، فهزم جمعهم، لا يخشى المنيَّة، وكأنَّها غادة جميلة سار للقائها في ساحة الحرب، ولـمَّا أدَّى رسالته وأنجزَ مهمَّته القتاليَّة، عانـق حبيبته المنيَّة، تحمل له بُردَ الشـهادة، وبات بِها في سـاحة المعركة، وأصبح صريعًا تحلِّي دماؤه رماحَ المقاتلين، صور عجيبة متلاحقة من الروعة والجمال لم يرسمها غير يراع السيِّد حيدر الحِلِّيّ، أسمعتَ راثيًا قبله أو بعده يقول[1]:

«عـفـيـــرًا مـتـى عـايـنـتـــه الـكـما
ةُ يخـتـطـف الـــرعـــبُ ألـــوانَهـــا
فـــما أجـلـــت الحـــرب عـــن مثـلـه
صريـــعًـــا يجـبِّـــن شُـجـعَـــانَهـــا؟»

هـذا رثاء من نوع جديد طلع به علينا هذا الشـاعر ما عهدنـاه من قبلُ، أمَّا الإيقاعُ فكـان عذبًـا جميلًا في لفظٍ متناسـق، هـل لاحظته يقـارن بين السـلوان والأحزان؟ وأغضبت وأرضت؟ والطلاقة والخوف؟ والبِيض والسُّـمر؟ ومطعام ومطعان؟. كـان الشـاعر يمزج عـواطفـه الصادقة التي تتدفَّـق ينابيعها من داخله بـألفـاظه السـهلة البسـيطة التي تحمل معاني كبيرة وأغراضًا سـاميةً، فكان شـعره يتميَّز بالدقَّة في التعبير، وبلاغة البيان وفصاحته وروعته وقوَّته، وجزالة الأسلوب ورصانته ونصاعته، وحسن الصياغة والديباجة، والوضوح في الألفاظ، والبراعة في التصوير؛ ليتَّخذ الشـعرَ وسيلةً للوصولِ إلى أهدافه العالية، ألَا وهي بيان القيم الإنسانيَّة.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٠.

الخاتمة

إنَّ النزعة الإنسانيَّة عند السيِّد حيدر الحِلِّيّ تجلَّت في مواضيعَ شتَّى، وهنا نختصرها لكي نصل إلى ما نبتغيه؛ لأجل توضيح الفكرة، لذا نذكر بعضها فيما يأتي:

بدايةً حينما نقرأ عن الحميَّة والغيرة في شعر شاعرنا، نراه يستنكر الجلوس مكتوف اليدَين مقابل الفساد والطاغوت، فهو يرى أوج الحميَّة الصحيحة هي الحميَّة على الإسلام والقرآن وآل بيت النبوَّة عليهم السلام، وكذلك الوقوف ضدَّ الظلم والظالم الذي يسعى لفساد الأمَّة، وانتهاك حرمات الإسلام، وهتك القرآن، وغصب حقِّ أهل البيت عليهم السلام. ومِن جانبٍ آخر، يرى بأنَّ الحريَّة لا تؤخذ إلَّا بالسيف، ولا بدَّ لها من تضحيات، فهو يرى أبا الأحرار عليه السلام حامل لواء الحريَّة لكلِّ الأجيال، ولن تحصل هذه إلَّا أن تُدرس في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام، ومن هذا المنطلق تَربَّت الأحرار في هذه المدرسة من يوم عاشوراء إلى يومنا هذا.

يرى شاعرنا أنَّ شجاعة الإمام الحسين عليه السلام في الدفاع عن العقيدة هي أكبر الدوافع لخوض معركة كربلاء، ويسعى الشاعر في شعره إلى التذكير بشجاعة سيِّد الشهداء عليه السلام لأجل الدين، وأراد من ذلك تربية الأجيال القادمة للدفاع عن الإسلام، ومن حيث الكرم يبيِّن لنا أنَّ كرامة أهل البيت والإمام الحسين عليه السلام هي آية سماويَّة، فهُم أكرم أهل الأرض، وكرمهم وفضلهم شمل أهل الأرض والسماوات، والدليل على ذلك الروايات المتعدِّدة الواردة في الأحاديث.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابـن أبي الحديد (٢٠٠٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمَّد ابراهيم، ط١، دار الكتاب العربيّ، بغداد.

٢. ابن طاووس، السيِّد عليّ بن موسى (١٣٤٨ش)، اللهوف على قتلى الطفوف، منشورات جهان، طهران.

٣. ابن طاووس، السـيِّد عليّ بن موسى (١٩٧٨م)، كتاب الملاحم، ط٥، شريف الرضيّ، قم المقدَّسة.

٤. ابـن فارس، أحمد (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السـلام محمَّد هارون، دار الفكر، بيروت.

٥. ابن منظور، جمال الدين (١٩٩١م)، لسان العرب، ط١، دار الفكر، بيروت.

٦. أبـو حلفة، أحمـد (١٩٧٩م)، الإلتزام في الشـعر العـربيّ، دار العلم الملايين، بيروت.

٧. الأصبهانيّ، الراغب (بلاتا)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٨. الأمين، السيِّد محسن (١٩٨٣م)، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٩. الأمينيّ، عبد الحسين (١٤٣١هـ)، موسوعة الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ط٣، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم المقدَّسة.

١٠. بابطين، عبد العزيز سعود (بلاتا)، شعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنَين التاسع عشر والعشرين، جمعهُ و علَّق عليه مهدي عبد الأمير مفتن الكطرانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والثقافيَّة، بابل.

١١. البصير، محمَّد مهدي (١٩٤٦م)، نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر، ط١، مطبعة المعارف، بغداد.

١٢. الجاحظ (١٣٤١هـ)، تهذيب الأخلاق، مجمع اللغه العربيَّة، دمشق.

١٣. الجرجانيّ، عليّ بن محمَّد (٢٠٠٧م)، التعريفات، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت.

١٤. الجواهريّ، محمَّد مهدي (٢٠٠٠م)، الديوان، مراجعة يوسف الهادي، بيان للنشر والتوزيع، بيروت.

١٥. الجواهريّ، محمَّد مهدي (١٩٨٨م)، ذكرياتي، ط١، دار الرافدين، دمشق.

١٦. جويدة، فاروق (١٩٨٣م)، الديوان؛ شيء سيبقى بيننا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

١٧. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن (١٤١٤هـ)، وسائل الشيعة، دار نشر آل البيت عليهم السلام، قم المقدَّسة.

١٨. حسن بيطار، عبد الرزاق (١٤١٣هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار الصادر، بيروت.

١٩. الحـلِّيّ، السـيِّد حيـدر (١٩٨٤م)، الديـوان، تحقيـق الخاقانيّ، ط٢، مؤسَّسـة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت.

٢٠. الخاقانيّ، عليّ (١٩٥٣م)، شعراء الحِلَّة، مطبعة الزَّهراء، بغداد.

٢١. دقـاق، عمـر (١٩٦١م)، الاتِّجاه القوميّ في الشـعر المعـاصر، جامعة الدول العربيَّة، معهد الدراسات العربيَّة العالية.

٢٢. رضا، محمَّد رشـيد (١٩٩٠م)، تفسـير المنـار، الهيئة المصريَّـة العامَّة للكتاب، القاهرة.

٢٣. الرفاعيّ، هاشم (١٤٠٠هـ)، الديوان، جمع وتحقيق محمَّد حسن بريغش، ط١، مكتبة الحرمَين، الرياض.

٢٤. الـزركليّ، خـير الدِّيـن (٢٠٠٢م)، الأعـلام، ط١٥، دار العلـم للملايـين، بيروت.

٢٥. السماويّ، الشـيخ محمَّد (٢٠٠١م)، الطليعة من شـعراء الشيعة، حَقَّقهُ كامل سلمان الجبوريّ، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت.

٢٦. شـبَّر، جواد (٢٠٠١م)، أدب الطفِّ أو شـعراء الحسـين عليه السلام، ط١، مؤسَّسـة التاريخ، بيروت.

٢٧. الشـعيريّ، محمَّد بن محمَّد (بلاتا)، جامع الأخبـار، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

٢٨. الصاوي، أحمد (١٩٨٤م)، مفهوم الجمال في النقد الأدبيّ؛ أصوله تطوُّره، ط١.

٢٩. الطهـرانيّ، آقا بـزرك (١٤٠٣هـ)، الذريعـة إلى تصانيف الشـيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت.

٣٠. عبد الرحمن، إبراهيم أحمد (١٩٨٩م)، الفضائل الخلقيَّة في الإسلام، دار الوفاء، القاهرة.

٣١. عبدة، محمَّد (بلاتا)، شرح نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٢. علوش، جواد أحمد (١٩٧٨م)، أُدباء حليُّون، ط١، مكتبة الفكر الجامعيّ، بيروت.

٣٣. فرحات، يوسف (٢٠٠٢م)، شرح ديوان الإمام عليّ عليه السلام، ط٨، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٣٤. الفيروز آباديّ، محمَّد بن يعقوب مجد الدين (٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسَّسةالرسالة، بيروت.

٣٥. قميحة، مفيد (١٩٨١م)، الاتِّجاه الإنسانيّ في الشعر العربيّ للمعاصر، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٦. القوال، أنطوان (١٩٩٩م)، المجموعة الكاملة لمؤلَّفات جبران العربيَّة، الشعر، ط١، دار الجيل، بيروت.

٣٧. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب (١٣٦٥ش)، الكافي، تصحيح عليّ أكبر غفاري، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٣٨. المجلسيّ، محمَّد باقر (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٩. محمود طه، عليّ (٢٠٠٤م)، الديوان، ط٢، دار العودة، بيروت.

٤٠. مصطفى، إبراهيم وآخرون (١٩٨٩م)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستانبول.

٤١. النراقـيّ، مهـدي (بلاتـا)، جامـع السـعادات، ط٤، مؤسَّسـة الأعلمـي، بيروت.

٤٢. النـوريّ، الشـيخ حسـين (١٣٠٤هـ)، جنَّة المـأوى، ط٢، مؤسَّسـة الوفاء، بيروت.

٤٣. الوائلي، إبراهيم (١٩٧٨م)، الشعر السـياسيّ العراقيّ في القرن التاسع عشر، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد.

٤٤. الوائـليّ، أحمـد (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، تجاربي مـع المنـبر، ط١، دار الزَّهراء، بيروت.

٤٥. اليعقوبيّ، الشيخ محمَّد عليّ (بلاتا)، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، مطبعة الزَّهراء، النجف الأَشرف.

٤٦. يوسف، عزّ الدين (١٩٦٥م)، الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه، الدار القوميَّة، القاهرة.

الرِّحلة الحُسَيْنِيَّة

تأليف

العَلَّامَة الشَّيْخ مُحَمَّد حسين حمد الجبَّاويّ الحِلِّيّ

(١٢٨٥هـ-١٣٥٢هـ)

استخرجها وحقَّقها

م.م. مروان نظر عليّ الحِلِّيّ

Husseini Journey

Written by

Sheikh Muhammad Husayn Hamad Al-Jabawi Al-Hilli (1285 AH-1352 AH)

Palaeography and Indexing

Asst. Lect. Marawan Nazar Ali Al-Hilli

ملَّخص البحث

تعدُّ هذه الرِّحلة الحسينيَّة من الرحلات المهمَّة؛ لأنَّها تمثِّل مسير عشرة عُلماء عُرِّفُوا بـ(العشرة المبشرة) الَّتي كانت في سنة (١٣٢١هـ)، والمطبوعة سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ونسـختها المطبوعة مفقودة، وهي من يراع العلَّامة الشَّـيخ محمَّد حسـين حمد الجبَّاويّ الحِلِّيّ ﷺ، فاسـتخرجتها من كتاب (شـعراء الحلَّة) الَّذي نقل متـن الرِّحلة فقط، فقمتُ بتحقيقهـا وضبطها، وكذلك عمدتُ على ترجمة الشَّـيخ الجبَّاويّ بترجمةٍ وافيةٍ وشـافية، وجمـع ما كتبُ عنهُ في كتب التراجم والرجال، وكذلك ذكر تلاميذه وأسـاتذته وصولًا إلى وفاته ﷺ.

Abstract

This Hussainiya journey is considered as one of the important journeies, because it represents the journey of ten scholars known as (The Ten Missionaries) which were in the year (1321AH) and printed in 1329AH/1911AD, and its printed copy is missing, and it is from the possessions of the scholar Sheikh Muhammad Husayn Hamad Al-Jabawi Al-Hilli (May Allah have Mercy on Him) So I extracted it from the book (The Poets of Al-Hilla), which transmitted the text of the journey only, so I investigated and controlled it, and I also relied on the biography of Sheikh Al-Jabawi with a full and satisfactory translation, and collected what was written about him in the books of biography and men, as well as mentioning his students and professors until his death (may Allah have mercy on him).

تمهيد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

والصَّلاة والسَّلام عَلَى أَشرفِ خَلقِ الله النَّبيِّ الأُمّيِّ مُحَمَّد بن عبدِ الله وَعَلَى آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ وصحبهِ المُنتجبين، واللعنة على أَعدائِهم أَجمعين إِلى قِيام يوم الدِّين.

أَمَّا بعد..

فإِنَّ تاريخ السَّيْر إِلى أَبي عبد الله الحسين عليه السلام بدأ بقدوم أَهل بيته عليهم السلام مشيًا عائِدين منَ الشَّام، وقدوم الصحابيّ جابر بن عبد الله الأَنصاريّ منَ المدينة مشيًا، وبعدها استمرَّ الموالون يأتون مشيًا لزيارة الإِمام الحسين عليه السلام إِلى يومِنا هذا.

وتاريخ هذا المسير لم يُوثَّق تأريخيًّا بصورةٍ كتابيةٍ، أَو إِنَّهُ وُثِّق وَلَمْ يكُن نصيبهُ الحفاظ؛ ولكن لو تتبَّعنا في كُتبنا المعتبرة، لوجدنا روايات كثيرة تُشير إِلى فضل زيارة الإِمام الحسين عليه السلام، وهذا دليلٌ قاطع على قِدم هذا المسير، وَأَهميَّته عند أَهل البيت عليهم السلام.

وهناك قصصٌ لعلماء الحِلَّة شهيرةٌ في طريق المسير إِلى كربلاء، ومنهم العلَّامة الشَّيْخ جمال الدِّين الخليعيّ (ت٦٥٠هـ)، والسَّيِّد حيدر الحِلِّيّ (١٣٠٤هـ).

فالخليعيّ وُلِدَ مِنْ أَبوين ناصبيَّين، وَقَدْ ورد أَن أُمَّهُ نذرت أَنَّها إِذا رُزقت ولدًا تبعثهُ لقطع طريق السابلة مِنْ زوار الإِمام الحُسين عليه السلام؛ لقتلهم، فلمَّا ولدته وبلغ أَشدَّهُ بعثته إِلى جهة نذرها، فلمَّا بلغ إِلى نواحي (المسيَّب) بمقربة مِنْ كربلاء المشرَّفة، طفق ينتظر قدوم

الزائِرين، فاستولى عليْهِ النَّوْم، واجتازت عليْهِ القوافل، فأصابهُ القتام الثائِر، فرأى فيما يراهُ النائِم:

إنَّ القيامة قَدْ قامت، وَقَدْ أُمر بهِ إلى النَّار ولكنَّها لم تمَسَّهُ؛ لما عليهِ مِنْ ذلِكَ العِثْيَرِ الطَّاهر، فانتبه مرتدعًا عن نيَّتِهِ، واعتنق ولاء العترة، وهبط الحائِر الشَّريف ردحًا[1].

نستنتج مِنْ هذهِ القصة أَنَّهُ نظر ببصيرة إلى تلِكَ الحالة الَّتِي تحوَّل فيْهَا مِنْ قاطع طريق زوار الحُسين عليه السلام إلى موالٍ للحسين عليه السلام، نامَ وهو على غير هذا المذهب، وجلس وهو مؤمن، فنحنُ نعتقد أَنَّهُ لـمَّا ذهبتْ بهِ أُمهُ إلى قطع الطريق كانت تلِكَ المرة الأَوْلى الَّتِي ذهب بها إلى ذلِكَ المكان، وَلَمْ يسلب أَوْ يُؤذي أَحدًا، فعندما ذهب وهو ينظر إلى السائِرين لا يوقفهم شيء مِنْ مواصلة ذلكَ الطريق، والدليل على ذلِكَ أَنَّهُ لو ذهب قَبْل هذهِ المرَّة لقطع الطريق، فما السبب الَّذِي جعلهُ ينام حتَّى يرى هذهِ الرؤيا؟.

هذهِ القصة إحدى كرامات الإمام الحُسين عليه السلام في طريق الزائِرين، فسار معهم، حتَّى وصل إلى الإمام الحُسين عليه السلام بعدما نزع ثوب ذلك المذهب عندَ قيامهِ مِنَ المنام، فلمَّا دخل الحرم الحُسينيّ المُقدَّس طاف حول ذلك الموضع المطهَّر، وفي أَثناء ذلك وقع عليهِ ستار من الباب الشَّريف، فارتدى ثوب هذا المذهب اسمًا وفعلًا وعملًا، ولهذا سُمِّيَ الخُليعيّ خُليعِيًّا.

فنظم هذين البيتَين المشهورَين: [من الوافر]

إِذْا شئتَ النَّجاةَ فَزُرْ حُسينًا

لِكَي تَلْقَ الإِلهَ قَريرَ عَينِ

(١) مجالس المؤمنين: ٢/ ٥٥٥.

فـإنَّ الـنَّـارَ لَـيْـسَ تَـمَـسُّ جِـسْـمـا
عَـلـيـهِ غُـبـارُ زوَّارِ الحُـسـيـنِ[1]

وقصـة لقـاء ناعي الطفِّ الأَديب الشَّـاعر السَّـيِّد حيدر الحِـلِّيّ (ت١٣٠٤هـ) مع صاحـب الأَمـر (عجل الله فرجه)، وقـراءة قصيدته العينيَّة، وهـو في طريقه إِلى كربلاء ومنها: [مجزوء الكامل]

الله يَـا حَـامِـي الـشَّـرِيْـعَـةْ
أَتَـقُـرُّ وَهْـيَ كَـذَا مَـرُوْعَـهْ
بَـكَ تَـسْـتَـغِـيْـثُ وَقَـلْـبُـهَـا
لَـكَ عَـنْ جَـوًى يَـشْـكُـوْ صُـدُوْعَـهْ

ومنها:

مَـاتَ الـتَّـصَـبُّـرُ بـانْـتِـظَـا
رِكَ أَيُّـهَـا الـمُـحيي الـشَّـرِيْـعَـهْ
فَـانْهَـضْ فَـمَا أَبْـقَـى الـتَّـحـمْـ
ـمُـلُ غَـيْـرَ أَحْـشَـاءٍ جَـزُوْعَـهْ[2]

وحينما تتصفَّح هذا الكتاب الموسـوم بـ(الرِّحلة الحُسـينيَّة)، تقرأ فيهِ مسـير العُلماء الَّذِين اشـتركوا في هذهِ الرِّحلة مشـيًا على الأَقدام متوجِّهين إِلى كربلاء، وذلك في اليوم الثَّاني من ذي الحجَّة سـنة (١٣٢١هـ)، فقد أَلَّف العَلَّامة الشَّـيْخ مُحَمَّد حسـين بن حمد الحِـلِّيّ، هذه (الرِّحلة الحُسـينيَّة)، وكتبها بأسـلوبٍ منمَّقٍ وجميل، وبطريقةٍ سـجعيَّة تبعَ بهـا أُسـلوب القُدامى، فقد ذكر مَا دار معهم في هذهِ الرِّحلـة، وما واجههم من أَحداث

(١) ديوان الخليعيّ: ٢٥١.
(٢) ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ: ١/ ١٢٧-١٣٢.

ولقـاءات، وقد ذكر أَيضًا كرامةً لأَبي الفضل العبَّاس عليه السلام، واستشـهد بالآيات القرآنيَّة، وبدرر منَ الشِّعر الفصيح، ولم يسبقهُ أَحد مِنَ القُدامى أَن كتب عن زيارته الحُسينيَّة بهذِهِ الطريقة، وَهَذا يدلُّ عَلَى علوِّ كعبهِ في الشِّـعر والأَدب، وَقَدْ كتب الشَّـيْخ كتابًا آخر سمَّاه (الرِّحلة إلى مكَّة أَو الرِّحلة المكِّيَّة) بطريقة شعريَّة.

وهُناك عشرة مِنَ العُلماء الَّذِين سُـمُّوا بـ(الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّـرَة)، وهُم أُسرة أَدبية كانت تجتمـع كُلَّ يَـوْمٍ في إِحدى دورهـم، ويُحيون لياليهم بالتحدُّث عن الشِّـعر والشُّـعراء، وكانوا يقومون بأسفار مُتكرِّرة مُجتمعين.

فيتبادلـون المسـائِل العِلمِيَّـة، والأَحاديث الأَدبيَّـة، والحكايـات والخطابيَّات، ممَّا يقتضيهِ الوقتُ، ويناسـبُهُ الظَّـرفُ، فكانُوا إِذا أَرادُوا زيارة الحُسـين عليه السلام، أَو أَحد الأَئِمَّة في الكاظميَّة وسـامرَّاء، أَو سـائِر أَولاد الأَئِمَّة عليهم السلام، يزورون معًا، وَإِذا أَعوز أَحدٌ منهُم، ساعدُوهُ بما تجُودُ بهِ أَنفسهم، وَلَوْ مِنْ القُوت[1].

ويقول السَّيِّد محسن الحَكيم، وهو أَحد أَعضائِها، في وصف هذِهِ الرِّحلة قائِلًا:

أَدركتُ أَوائِل أَيَّامي أَواخر أَيَّام العشـرة، فهي أَيَّـامُ سرورٍ عليهم، هناءٌ ورفاهيَّةٌ، لأَنَّهُم يقنعُون بما هو أَقلُّ شيءٍ يسُـدُّ الحاجة، ويقضي اللَّازم، وَإِذا أَصابت أَحدهم نائبةٌ – والعياذُ بالله– يتلقَّاها بصبرٍ وثباتٍ؛ لما جُبِل عَليهِ مِنْ صدقِ النِّيَّة، والصَّفاء، وحُسن التَّفويض والتَّوكُّل، ومِنْ هذِهِ الوجهة ترى هؤُلاء العشرة كُلَّهُم مِنْ أَهل الفقر والحاجة، وأَكثرهُـم يُعطِّلُ بتحصيل قُـوت عيالِهِ، ومع ذلك لا يعبأ بهذا الحـادث، ولا يتغيَّر عن مجراهُ من الاجتماع، والانتظام مع أَخلَّائِهِ وأَوِدَّائِهِ[2].

وَأَعضاء الرِّحلة، هم كُلٌّ من:

(١) ماضي النَّجف: ٥/ ٥٥.

(٢) ماضي النَّجف: ٥/ ٥٥-٥٦.

١. الشَّيْخ حسن الحمُّود الحِلِّيّ (ت١٣٣٧هـ)[١].

٢. الشَّيْخ صالح حجِّي (الصغير) (ت١٣٤٤هـ)[٢].

٣. الشَّيْخ مُحَمَّد علي الجابريّ (ت١٣٣٣هـ)[٣].

٤. الشَّيْخ كاظم السودانيّ (ت١٣٨٠هـ)[٤].

---

(١) الشَّيْخ حسن حمُّود الحِلِّيّ: هو حسن ابن الشَّيْخ علي بن حسين بن حمُّود الطفيليّ الحِلِّيّ. وُلِدَ في النَّجف عام (١٣٠٥هـ) ونشأ في كنف والدهِ، وَمِنْ أشهر أساتذتهِ الشَّيْخ مُحَمَّد رضا الخزاعيّ، والشَّيْخ عبد الحسين ابن المُلَّا قاسم الحِلِّيّ، والسَّيِّد مهدي الغريفيّ البحرانيّ. امتاز بقوَّة الحفظ، وكان شعرهُ رصينًا، قوي الديباجة، دقيق المعنى، اتَّصف بسرعة البديهة والارتجال في الشِّعر. تُوُفِّي سنة ١٣٣٧هـ في حياة والدهِ، ودُفِنَ بالصَّحن الحيدريّ، بالقرب مِنْ حافة الإيوان الذهبيّ، ومن آثاره: رسالة في علم الصَّرف، ديوان شعر. تُنظر ترجمته في: تاريخ الحِلَّة: ٢/ ٢٠٢، البابليَّات: ٣/ ٢٨، شعراء الحِلَّة: ١/ ٢٩٨، مُعجم رجال الفكر: ٤٨١.

(٢) الشَّيْخ صالح حجِّي: هو الشَّيْخ صالح ابن الشَّيخ مهدي ابن الشَّيْخ صالح ابن الشَّيْخ قاسم ابن مُحَمَّد بن أحمد بن حجِّي الطائيّ الحويزيّ، عُرف بـ(صالح حاجي)، تُوُفِّي سنة (١٣٤٤هـ)، ودُفِنَ في وادي السَّلام. تُنظر ترجمته في: ماضي النَّجف: ٢/ ١٤٧-١٥٠.

(٣) الشَّيْخ مَحُمَّد عليّ الجابريّ: هو أَبو مسلم الشَّيخ محمَّد عليّ ابن الشَّيخ جاسم بن محمَّد بن عبد الله بن ملَّا (البو حرشه) الشريداويّ الجابريّ، خطيب معروف، وشاعر مقبول، وُلِدَ في النَّجف عام (١٢٨٣هـ)، تُوُفِّي فيها ليلة الأَربعاء ٨ شهر رمضان من سنة (١٣٣٣هـ)، ودُفِنَ في الصَّحن الحيدريّ. تُنظر ترجمته في: شعراء الغريّ: ٩/ ٥٠٠ - ٥٠٤، نقباء البشر: ٤/ ١٣٦٠.

(٤) الشَّيْخ كاظم السودانيّ: وهو ابن الشَّيْخ طاهر السودانيّ، وهم في النَّجف فخذ من كندة، وُلِدَ (١٣٠٥هـ)، كان شاعرًا، لهُ ديوان شعر يقرب من خمسة عشر ألف بيت، لهُ (القصيدة الحيدريَّة) المطبوعة منفردة، وهي في مدح الأَمير عليه السلام، تُوُفِّي في النَّجف الأَشرف سنة (١٣٨٠هـ). تُنظر ترجمته في: شعراء الغريّ: ٧/ ١٧٣، ماضي النَّجف: ٢/ ٣٥٩، مُعجم المؤلِّفين العراقيِّين: ٣/ ٣٤، مُعجم رجال الفكر: ٦٩٢، الذريعة: ٩ ق٣/ ٩٠١.

٥. الشَّيْخ عليّ شرارة الكتبيّ (ت١٣٣٠هـ)[١].

٦. السَّيِّد محسن الحكيم (ت١٣٦١هـ)[٢].

٧. السَّيِّد حسن زازان (ت١٣٢٧هـ)[٣].

٨. الشَّيْخ مُحَمَّد حسين علوش (ت١٣٣٢هـ)[٤].

٩. الشَّيْخ تَقِيّ الطريحيّ (ت١٣٦٢هـ)[٥].

١٠. الشَّيْخ مُحَمَّد حسين حمد الحِلِّيّ (مؤلِّف الكتاب).

---

(١) الشَّيْخ عليّ شرارة الكتبيّ: هو عليّ ابن الشَّيْخ حسن شرارة، كان من العُلماء وأَهل الفضل، مُلمًّا بكثير من العلوم، وكانت لهُ يد طولى في علم الطبِّ، كان كاملًا أديبًا وشاعرًا ماهرًا، تُوُفِّي سنة (١٣٣٠هـ). تُنظر ترجمته في: ماضي النَّجف: ٢/ ٣٨٤-٣٨٧.

(٢) السَّيِّد محسن الحكيم: هو السَّيِّد محسن ابن السَّيِّد حسن بن حسين بن محمَّد ابن ميرزا تقيّ، وُلِدَ في النَّجف الأَشرف سنة (١٢٨٥هـ) ونشأ بها، وهو من أَهل التقوى والصَّلاح، تُوُفِّي سنة (١٣٦١هـ)، ونُقِل إلى النَّجف، وَدُفِنَ مع أخيه. تُنظر ترجمته في: ماضي النَّجف: ٥/ ٥٥-٥٦.

(٣) السَّيِّد حسن زازان: لم نعثر لهُ على ترجمة، ذكر الشَّيخ باقر محبوبة أَنَّهُ تُوُفِّي سنة (١٣٢٧هـ). يُنظر: ماضي النَّجف: ٢/ ١٤٨.

(٤) ذُكر في هامش كتاب ماضي النَّجف: ٥/ ٥٥، (الشَّيْخ محمَّد حسن علوش)، ولكنَّنا لم نعثر على أي ترجمة بهذا الاسم، وقد ذكر الشَّيْخ الخاقانيّ في كتابهِ الموسوم (شعراء الحِلَّة) في (١/ ٢٩٩) ضمن ترجمة الشَّيْخ حسن حمود الحِلِّيّ (الشَّيْخ محمَّد حسين علوش المتوفَّى سنة ١٣٣٢هـ). ويظهر أَنَّهُ من الفُضلاء والشخصيات الدِّينية البارزة في مدينة الحِلَّة حينها. ويبدو أَن المصدر الأَوَّل وقع فيه خطأ طباعيّ.

(٥) الشَّيْخ تقيّ الطريحيّ: هو الشَّيْخ تقيّ ابن الشَّيْخ حسين، وُلِدَ عام (١٢٩٩هـ)، كان عالمًا فاضلًا وأديبًا بارعًا وعميدًا لأُسرتهِ بعد وفاة والده، تُوُفِّي في السابع من رجب سنة ١٣٦٢هـ، الموافق ١٩ تموز ١٩٤٣م. تُنظر ترجمته في: ماضي النَّجف: ٢/ ٤٣١-٤٣٢، معجم رجال الفكر: ٧٣٢-٧٣٣.

حياة المؤلف الشَّيْخ مُحَمَّد حسين حمد الجبَّاويّ الحِلِّيّ[1]

ولادته ونشأته

هو أَبو الجواد، الشَّـيْخ مُحَمَّد حسـين ابن الشَّـيْخ حمد ابن الخيَّاط بن شهيب الحِلِّيّ، أَصلُهُ من مدينة (جبَّة)، لِحقَتهُ نسبةُ (الجبَّاويّ)، لِكونِهِ من سكنة محلَّة الجبَّاويِّين في الحِلَّة، حَيْثُ سكنها قومٌ مِنْ أَهل جبَّة[2].

وُلِـدَ فِي الحِلَّة عـام (١٢٨٥هـ)[3]، وقيل(١٢٩٢هـ)[4]، ونشـأ فيهـا، تعلم القراءة والكتابـة، ثُـمَّ قـرأ مُقدِّمَـات العلوم عَـلَى فضلائِهَـا والمبرزين مِـنْ عُلمائِهَـا، وفي عام (١٣٠٣هـ) غادر الحِلَّـة مُهاجرًا إلى النَّجف الأَشرف؛ لإكمال دراسـته؛ لينهل مِنْ نمير أَعلامها.

(١) مـن مصادر ترجمته: البابليَّات: ٤/ ١٠٨، شـعراء الحِلَّـة: ٤/ ٤١٩، فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٤- ١٣٧، تاريخ الحِلَّة: ٢/ ٢٠٥، معجم مؤلِّفي الشيعة: ١٤٦، معجم المؤلِّفين العراقيِّين: ٣/ ١٥١، أَدب الطـفِّ: ٩/ ١٤٤-١٤٦، أعلام الشـيعة: ١/ ٥٧٢، معجم رجال الفكر: ٤٨٠، الأَعلام: ٦/ ١٠٦، الذريعة: ١٠/ ١٦٨، معارف الرجال: ٢/ ٢٥٨، معجم رجال الفكر: ٤٨٠.
ولا بـدَّ من الإشـارة إلى أَن شـيخنا الجبَّاويّ جاء ذِكـره في كتب التراجم بأسـماء عديدة، وهي: (الشَّـيْخ محمَّد حسـين الجبَّاويّ، والشَّيْخ محمَّد حسـين الحِلِّيّ، والشَّـيْخ محمَّد حسين حمد الحِلِّيّ، والشَّـيْخ محمَّد حسين بن حمد الخيَّاط). يُنظر: البابليَّات: ٤/ ١٠٨، أدب الطفِّ: ٩/ ١٤٤، شعراء الحلَّة: ٤/ ٤١٩، فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٤.
(٢) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٤.
(٣) البابليَّات: ٤/ ١٠٨. نرى أَنَّـها الأثبت.
(٤) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤١٩.

استمر في دراسته أَكثر من خمسة وثلاثين عامًا، نال في آخرها مرتبة سامية في العلم والفقه، حتَّى نال الإجازات، وحصل على الاعترافات من قبل الفطاحل والأَساطين[1].

ومترجمنا عالمٌ بارعٌ، فقيهٌ مُتتبِّعٌ، أَديبٌ شاعرٌ، نال الدرجات الرفيعة مِنَ العلم، يُشارُ إليهِ بوصفه مرجعًا دينيًّا في الحِلَّة والنَّجف الأَشرف.

وفي أَثناء مكثه في النَّجف الأَشرف، كان يتَّصل بمجموعة مِنَ الأُسر العريقة كآل الطريحيّ، وآل الشميساويِّ، وآل الفيخرانيِّ، وَقَدْ صاهرهم على بناتهِ الثلاث، وَلَهُ مِنْ بعضهم أَسباط كالأُستاذ الشَّيْخ حسن الشميساويِّ، وأَخيه الشَّيْخ عبد المُنعم، والخطيب الشَّيْخ باقر نجل المرحوم الخطيب الشَّيْخ مُحَمَّد حسين الفيخرانيِّ[2].

كان يزورهُ عُلماء الحِلَّة، ومنهم حجَّة الإسلام السَّيِّد حمد كمال الدِّين[3] في محلَّة الأَكراد، وتدور بينهما مناقشات علميَّة تفيد الحاضرين، وكان يقيم الصَّلاة الجماعة في مسجد يعرف بـ(مسجد المصلوخيّ) في محلَّة التعيس، ويقيم في داره في محلَّة الأَكراد[4].

(١) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤١٩.

(٢) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤١٩.

(٣) السَّيِّد حمد: هو حمد ابن السَّيِّد فاضل بن محمَّد بن محمَّد حسين كمال الدِّين الحُسينيّ الحِلِّيّ. وُلِدَ في الحِلَّة عام ١٢٩٥هـ، درس على عمِّه السَّيِّد عيسى، ودرس سطوح الفقه والأُصول على عمِّه السَّيِّد صالح أَيضًا، والسَّيِّد عبد الصاحب الحلو، والشَّيْخ أَحمد كاشف الغطاء وغيرهم. من آثاره محجَّة الاعتقاد وتنبيه الغافلين. أَجازه عديد من العُلماء. تُوُفِّي سنة ١٣٨٣هـ. تُنظر ترجمته في: فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٦٧-١٧٤.

(٤) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٥.

وفي سنة (١٣٣٧هـ) عاد إلى مسقط رأسه الحِلَّة؛ بطلب ثلَّة مِنْ وجوه رجالها وتجَّارها، وأقام فيْهَا مرجعًا دينيًّا محترم الجانب، مرموق المكانة، إلى أَن لبَّى نداء ربِّه[١]، وقيل إِنَّهُ أَصيب بشلل أَقعده في داره[٢].

أَساتذته

١. العَلَّامَة الشَّيْخ مُحَمَّد نظر عليّ الحِلِّيّ (ت١٣١٧هـ)[٣]: درس عنده مبادئ العربيَّة والعلوم اللسانيَّة[٤]، والمُقَدِّمَات[٥] في الحِلَّة.

٢. العلَّامة الشَّيْخ محمود بن محمَّد بن ذهب (ت١٣٢٤هـ)[٦].

---

(١) البابليَّات: ٤/ ١٠٨.

(٢) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٥.

(٣) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٤، الشَّيْخ مُحَمَّد، أَبو الحسن، مُحَمَّد ابن الشَّيْخ جعفر ابن الشَّيْخ مُحَمَّد حسين ابن الحاجّ الشَّيْخ نظر عَليّ التَّميميّ الحِلِّيّ. عالم عامل، مُحَدِّث متبحِّر. وُلِدَ في الحِلَّة عام (١٢٥٦هـ)، وقيل سنة (١٢٥٩هـ)، نشأ وتعلَّم فيها، أَخذ مُقدِّمات العلوم على يد والده الشَّيْخ جعفر، ثمَّ هاجر إلى النَّجف لمواصلة درسه الحوزيّ، ولهُ مؤلَّفات عدَّة، تُوفِّي في الحِلَّة سنة (١٣١٧هـ)، ودُفِنَ في الصَّحن العلويّ الشَّريف. تُنظر ترجمته في: البابليَّات: ٣/ ٤١-٤٢، تاريخ الحِلَّة: ٢/ ١٤٩-٢٠٥، أدب الطفّ: ٨/ ١٤٣-١٤٥، آل نظر عليّ الحِلِّيّ: ٣٧.

(٤) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، بتصرُّف طفيف منَّا.

(٥) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٤، بتصرُّف طفيف منَّا.

(٦) ماضي النَّجف: ٣/ ١٣، الشَّيْخ محمود: محمود ابن الشَّيْخ محمَّد بن ياسين بن ذهب النَّجفيّ الظالميّ. عالم فاضل، فقيه أصوليّ، محقِّق، نابغة عصره فريد دهره، مجتهد متقن، وأصوليّ بارع. متخصِّص بعلم العربيَّة والمنطق، تتلمذ على الشَّيْخ مُحَمَّد كاظم الخراسانيّ، والشَّيْخ مُحَمَّد حسين الكاظميّ، والشَّيْخ هادي الطهرانيّ، والشَّيخ نعمة بن علاء الدِّين الطريحيّ، لهُ مؤلَّفات عديدة، تُوُفِّي سنة (١٣٢٤هـ). تُنظر ترجمته في: أَعيان الشيعة: ١٠/ ١١٠، ماضي النَّجف: ٢٣/ ١٢-١٣، معجم رجال الفكر: ٢/ ٥٨٤.

٣. العَلَّامَة الشَّيْخ مُحَمَّد حسن المامقانيّ (ت١٣٢٣هـ)[١]: أَخذ عنده الفقه[٢].

٤. العَلَّامَة مُحَمَّد بن فضل علي الشربيانيّ (ت١٣٢٢هـ)[٣]: أَخذ عنده الفقه[٤].

٥. العَلَّامَة الشَّيْخ عليّ بن ياسين رفيش (ت١٣٣٤هـ)[٥]: كان مِنْ أَجلَّاء

(١) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، الشَّيْخ محمَّد حسن ابن المولى عبد الله بن محمَّد باقر المامقانيّ، ومامقان إحدى مدن تبريز الإيرانيَّة. وُلِدَ الشَّيْخ المامقانيّ في الثَّاني والعشرين من شعبان (١٢٣٨هـ)، بمدينة مامقان في إيران، فقيه، عالم أصوليّ، عالم عامل مجتهد لغويّ، أَديب زاهد، نحرير من أَساتذة الفقه والأُصول، وحفَّاظ النوادر والآثار، انتهت إليه الرياسة في التقليد والتدريس، كان يُقيم صلاة الجماعة في الصَّحن الحيدريّ، إلى أَن تُوُفِّي ٢٨ المحرَّم (١٣٢٣هـ). تُنظر ترجمته في: الذريعة: ٢/ ١١٤، و٣/ ١٢٠، و١٠/ ٢٤، و١١/ ٢١٤، و١٦/ ٥، و٢٤/ ٤٠٨، أَعيان الشيعة: ١/ ١٦٩، أَحسن الوديعة: ١/ ١٦٩.

(٢) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، بتصرُّف منَّا.

(٣) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، الشَّيْخ مُحَمَّد: هو مُحَمَّد (الفاضل) ابن المولى فضل عليّ بن عبد الرَّحمن بن فضل عليّ السرابيّ النَّجفيّ. من كبار المجتهدين والفقهاء، وأَئمَّة التقليد والاستنباط، والمعقول والمنقول، عُرِف بالزهد والنُّسك والورع والتقوى، وُلِدَ عام (١٢٤٨هـ) في شربيان من قرى مدينة سراب التابعة لمحافظة أذربيجان الشرقيَّة في إيران، هاجر إلى النَّجف سنة (١٢٧٢هـ)، تُوُفِّي في الثَّامن عشر من شهر رمضان سنة (١٣٢٢هـ) بمدينة النَّجف الأَشرف، ودُفِنَ في صحن الإمام عليّ عليه السلام. تُنظر ترجمته في: الكنى والألقاب: ٢/ ٣٥٤، ماضي النَّجف: ٣/ ٥٥٤، معجم رجال الفكر: ٢/ ٧٣٠-٧٣١.

(٤) البابليَّات ٤/ ١٠٨، بتصرُّف منَّا.

(٥) البابليَّات: ٤/ ١٠٨، والشَّيْخ عليّ بن ياسين رفيش آل عنوز النَّجفيّ. وُلِدَ عام ١٢٦٤هـ بمدينة النَّجف الأَشرف. درس العلوم الدِّينية في مسقط رأسه حتَّى صار من العُلماء البارزين، وقام بتدريس العلوم الدِّينية فيها، ومِنْ أَساتذتهِ الشَّيْخ مُحَمَّد حسين الكاظميّ، السَّيِّد حسين الكوهكمريّ المعروف بالسَّيِّد حسين الترك، والميرزا حبيب الله الرشتيّ. تُوُفِّي سنة ١٣٣٤هـ. تُنظر ترجمته في: الذريعة: ١١/ ٢١٧، ماضي النَّجف: ٣/ ٢٢٠، معجم رجال الفكر: ٢/ ٦١٢-٦١٣.

تلامذتـه[1]، فكان مِـنْ أَعظم المؤازرين لـهُ في إِدارة شـؤونهِ في أَثناء مرجعيتهِ وخاصَّة بعد انكفاف بصره[2].

تلامذته

١. الشَّـيْخ مُحَمَّد عليّ الجابريّ (ت١٣٣٣هـ)[3]: أَخذ الفقه على الشَّـيْخ مُـحَمَّد حسين حمد الحِلِّيّ[4].

٢. الشَّيْخ المظفر (ت١٣٨٣هـ)[5]: ذُكر انهُ تتلميذ على مترجمنا[6].

٣. الشَّـيْخ جواد محبوبة (ت١٣٢٢هـ)[7]: أَخذ علمهُ عن العَلاَّمَة الشَّـيْخ مُـحَمَّد حسين بن حمد الحِلِّيّ[8].

٤. الشَّـيْخ مُحَمَّد جـواد الجزائـريّ (ت١٣٧٨هـ)[9]: قرأ الأصول سـطحًا على

(١) ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.
(٢) البابليَّات: ٤/ ١٠٨.
(٣) مرَّ ذِكره.
(٤) شعراء الغريّ: ٩/ ٥٠٠.
(٥) الشَّـيْخ مُـحَمَّد رضا ابن الشَّـيْخ مُـحَمَّد المظفَّر، أَشـهر علماء عصره في مجالات العلم والأَدب والإصـلاح. لـهُ مؤلَّفات عديدة منهـا: أُصول الفقـه، المنطق، وغيرهما. وُلِدَ عـام (١٣٢٢هـ)، وتُوُفِّي سـنة (١٣٨٣هـ). تُنظر ترجمته في: مـاضي النَّجف: ٣/ ٣٦٩-٣٧٠، من أوراق الشَّـيْخ مُحَمَّد رضا: ٥.
(٦) يُنظر: الذريعة ١٠/ ١٢٦، البابليَّات: ٤/ ١٠٩، شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤٢١.
(٧) الشَّـيْخ جواد: هو جواد ابن الشَّـيْخ محمَّد محسـن ابن الشَّـيْخ محمَّد عليّ محبوبـة. كان فاضلًا صالـحًا تقيًّا حسـن الخلق مرضيًّا عند عُلماء عصره مبجَّلًا محترمًا، تُوُفِّي بعد سـنة الطاعون، سنة (١٣٢٢هـ). تُنظر ترجمته في: ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨٨-٢٨٩.
(٨) ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨٩.
(٩) الشَّـيْخ مُـحَمَّـد جواد: هـو مُـحَمَّد جواد بن عليّ بـن كاظم بن جعفر بن حسـين بن مُـحَمَّد الجزائريّ. وُلِدَ في النَّجف عام (١٢٩٨هـ)، وتُوُفِّي سـنة (١٣٧٨هـ). لهُ مؤلَّفات عديدة. تُنظر=

العَلَّامَة الشَّيْخ مُحَمَّد حسين الحِلِّيّ[1].

٥. الشَّيْخ مُحَمَّد رضا آل محبوبة[2]: حضر عنده[3].

٦. الشَّيْخ عبد الرزاق السعيد الحِلِّيّ (ت١٣٨٢هـ)[4]: أَخذ العلم على أَساتذة مرموقين كالشَّيخ حسن بن عليّ البصير[5]، والشَّيْخ عليّ عوض[6]، والشَّيْخ

=ترجمته في: ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤، تاريخ القزوينيّ: ٢٢/ ٥١-٣٠٤.

(١) ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.

(٢) الشَّيْخ محمَّد رضا: هو محمَّد رضا ابن الشَّيْخ جواد ابن محمَّد حسن آل محبوبة. يُنظر: ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.

(٣) ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤، بتصرُّف منَّا.

(٤) الشَّيْخ عبد الرزاق الحِلِّيّ: هُوَ عبد الرزاق بن سعيد بن إسماعيل بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الرِّضا بن حسين السعيد الأَسديّ الحِلِّيّ. أَحد شعراء الحِلَّة الَّذين أدركوا العصرَين، وُلِدَ فِي الحِلَّة سنة (١٣٠٤هـ) ونشأ بِهَا، ثُمَّ انتقل إِلَى النَّجف. عُيِّن مدرِّسًا فِي مدارسها الرسميَّة. تعلَّم جمعٌ كثير عَلَى يدهِ القراءة. تُوُفِّي يوم السبت ١٦ ربيع الثَّاني ١٣٨٢هـ/ ١٥ أيلول سبتمبر ١٩٦٢م، ودُفِنَ بوادي السَّلام في النَّجف الأَشرف. جمعنا شعره بفضل الله تعالى. تُنظر ترجمته في: شعراء الحِلَّة: ٥/ ٤٧٣، الدار الفاطميَّة: ١٨٥.

(٥) شعراء الحِلَّة: ٣/ ٢٩٣، هو الشَّيخ حسن بن عليّ البصير الحِلِّيّ، الشهير بـ(ابن زكوم). وُلِدَ في الحلَّة (١٢٩٠هـ)، وقيل (١٢٩٦هـ)، وُلِدَ أكمهَ، ونشأ بين الأُدباء ورجال الدِّين؛ فكان قويّ الحافظة سريع البديهة، فقد حفظ القرآن الكريم وهو لم يبلغ الحلم بعد. لهُ قصص كثيرة وأخبار منتشرة عن ذكائه وحدَّة خاطره وملح نكته. لقِّب بـ(بشَّار الفيحاء). تُوُفِّي سنة ١٣٢٩هـ، ودُفِنَ في النَّجف الأَشرف. تُنظر ترجمته في: البابليَّات: ٣/ ١٧٣، شعراء الحلَّة: ٢/ ٢٤٨.

(٦) شعراء الحِلَّة: ٣/ ٢٩٣، الشَّيْخ عَليّ عوض: هُوَ الشَّيْخ عَليّ بن الحسين بن عَليّ من آل عوض الأسدي الحِلِّيّ. وُلِدَ فِي الحِلَّة (١٢٥٣هـ)، شاعر من طليعة شعراء عصره، مهيب الجانب، والشَّيْخ عَليّ عَلَم من أَعلام القرن التاسع عشر الميلاديّ، درس الفقه فِي النَّجف الأشرف عَلَى كبار عُلماء عصره. تُوُفِّي الحلَّة عام (١٣٢٥هـ). تُنظر ترجمته في: تاريخ الحِلَّة: ٢/ ٢٠٤، شعراء الحِلَّة: ٤/ ٣٤٩.

محمَّد حسين حمد[1].

٧. الشَّيْخ يوسف كركوش (ت١٤١٠هـ)[2]: قال الشَّيْخ كركوش: «درست عليه مختصر المطوَّل[3] في علم المعاني والبيان والبديع، وكذلك درست عليه شيئًا من المطوَّل، ثمَّ درست عليه شيئًا من (المعالم)[4]، وهو الَّذي شجَّعني للذهاب للنجف؛ لاستكمال دراستي فيها»[5].

آثاره[6]

١. جملة مِنْ تقريرات أَساتذته في الأُصول.

٢. رسالة مختصرة في التجويد والقراءات.

٣. رحلة إلى مكَّة.

٤. الرِّحلة الحُسينيَّة: بين يديك عزيزي القارئ.

(١) شعراء الحلَّة ٣/ ٢٩٣.

(٢) يوسف كركوش: هو يوسف حمَّادي حسين كركوش الحِلِّيّ. وُلِدَ في الحِلَّة (محلَّة الجامعين) سنة (١٣٢٤هـ)، وبها نشأ وتعلَّم على أعلامها اللُّغة العربيَّة والعلوم الشرعيَّة والفلسفة، عُيِّن معلِّمًا في مدرسة الفيحاء الابتدائيَّة، ثمَّ نُقِل إلى مدرسة فيصل الثَّاني حتَّى تقاعد سنة (١٩٦٤م). أديب مؤرِّخ، لهُ مؤلَّفات عدَّة، منها: تاريخ الحِلَّة، ومختصر تاريخ الحِلَّة، وغيرهما. تُوُفِّي سنة (١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ). تُنظر ترجمته في: الذريعة: ٣/ ٢٥٠، معجم مؤلِّفي الشيعة: ١٤٧.

(٣) يقصد كتاب (المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم) لمؤلِّفه العلَّامة سعد الدِّين مسعود بن عمر التفتازانيّ.

(٤) يقصد كتاب (معالم الأصول) لمؤلِّفه الحسن بن زين الدِّين الشهيد الثَّاني.

(٥) تاريخ الحِلَّة: ٢/ ٢٦٨.

(٦) البابليَّات: ٤/ ١٠٩.

بيعت كتبهِ في المزاد العلنيّ بعد وفاته في النَّجف الأَشرف، ولم يُنشَر لهُ سوى رحلته الحُسينيَّة[1].

شعره

امتاز شعر مترجمنا بالجزالة، وحسن الأَلفاظ، وقوَّة البناء، وجودة المعنى، فقد ساجلهُ شعراء عصره وطارحهم، أَمثال الشَّيْخ مُحَمَّد رضا الخزاعيّ[2].

فلهُ شعر كثير لَمْ يُجمع بديوان، وَمَا حَصلنا مِنْ شعرهِ سوى هذِهِ القصيدة فقط، وبندٍ واحدٍ، لعلَّ الأَيَّام المقبلة تكشف لنا تُراثه العِلميّ والأَدبيّ.

قال في رثاء الإِمام الحُسين عليه السلام[3]: [من الطويل]

خليلَيَّ هَلْ مِنْ وقفةٍ لكما معي
عَلَى جَدَثٍ أسقيهِ صَيِّبَ أدمعي
ليروى الثرى منهُ بفيض مدامعي
فإنَّ الحيا الوكَّافُ لَمْ يكُ مقنعي[4]
لأنَّ الحيا يهمي ويقلعُ[5] تارةً
وأنِّي لعظمِ الخطبِ ما جفَّ مدمعي
خليلَيَّ هُبَّا فالرقادُ مُحَرَّمُ
عَلَى كُلِّ ذي قلبٍ مِنَ الوجدِ مُوجعِ

(١) البابليَّات: ٤/ ١٠٩.
(٢) شعراء الغريّ: ٨/ ٣٣٧.
(٣) لم تصلنا هذه القصيدة كاملة. قارنَّاها مع مصادر عدَّة، وهي: البابليَّات: ٤/ ١٠٩-١١٠، شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤٣٩-٤٤٠، أَدب الطفِّ: ٩/ ١٤٤-١٤٥، أروع ما قيل: ٤٢٨-٤٢٩.
(٤) شعراء الحِلَّة وأدب الطفَّ: (لأن). وأشار الخاقانيّ في الهامش إلى: (لعل).
(٥) شعراء الحِلَّة: (يقطع).

هَـلُـمَّا معي نـعـقـرْ[1] هُـنـاكَ قلوبنا
إذا الـوجـدُ[2] أبـقـاهـا وَلَمْ تتقطَّعِ
هَـلُـمَّا نُـقِـم بـالـغـاضريَّـةِ مأتـمـا
لخـير كـريـمٍ بـالـسـيـوف مُـوزَّعِ
فـتـى أَدركـت فـيـهِ عُـلـوجُ أُمـيَّـةٍ
مـرامًـا فـأردَتـهُ [3] بـبـيـداء بَـلـقَـعِ
غـداة أَرادت أَن تـرى السبط ضارعًا
وَلَمْ يـكُ ذا خـدّ مِـنَ الضيم أضرعِ[4]
وكيف يُـسـامُ الضيمَ مَـنْ جَـدّهُ ارتقى
إلى العرش حتَّى حلَّ أَشرف موضعِ[5]
فـتًـى حـلَّـقـت فـيـهِ قـوادمُ عـزّه
لأَعـلى ذرى المجد الأَثـيـل وأَرفـعِ
ولـمَّا دَعـتـهُ لـلـكـفـاحِ أَجـابَـهـا
بـأبـيـضَ مـشـحـوذٍ وأَسـمـرَ مُـشـرَعِ
وآسـاد حـرب غـابـهـا أَجـم الـقـنـا
وَكُـلٌّ كـمـيٍّ رابـط الجـأش أَروعِ[6]

(١) أدب الطفِّ وشعراء الحِلَّة: (نعقل). وأشار الخاقانيّ في الهامش إلى (نعقر).
(٢) شعراء الحِلَّة والبابليَّات وأدب الطفِّ: (الحزن).
(٣) شعراء الحِلَّة وأَدب الطفِّ: (فألقته).
(٤) زيادة في أَروع ما قيل.
(٥) لم يرد في شعراء الحِلَّة.
(٦) لم يرد في أروع ما قيل.

يـصـولُ بـمـاضي الحـدِّ غـير مُـكـهَّـمٍ
وفي غـير درع الـصـبر لَمْ يـتـدرَّعِ
إِذَا ألـقـح الهـيـجـاء حـتـفًـا بـرمحه
فـمـاضي الشبا منـهُ يـقـول لهـا ضـعـي[1]
وإن[2] أبـطـأت عـنـهُ الـنُّـفُـوسُ إجابةً
فـحـدُّ سـنـانِ الـرمـحِ قـال لهـا اسرعـي
فَـلَـمْ تـزلِ الأرواحُ قـبـض[3] أكفِّهم
وتـسـقـطُ هـامـاتٌ بـقـولِهـم: قـعِ[4]
إلى أَن دعـاهُـم ربُّهُـم لـلـقِـائِـهِ
فـكـانـوا إلى لُـقـيـاهُ أَسرَع مَـنْ دُعـي
وخـرُّوا[5] لـوجـه الله تلقى وجوهَهُم
فـمِـنْ سُـجَّـدٍ فـوقَ الـصـعـيـد ورُكَّـعِ
وَكَـمْ ذاتِ خـدرٍ سجَّفَتـها خُماتُها
بُـسـمـرِ قـنًـا خـطِّـيَّـةٍ وبِـلُـمَّـعِ
أَمـاطـت يـد الأَعـداء عنها سجافها
فـأضـحـت بـلا سـجـفٍ لـديـهـا ممـنَّـعِ[6]

(١) لم يرد في أروع ما قيل.
(٢) شعراء الحِلَّة وأدب الطفِّ: (فإن).
(٣) شعر الحِلَّة وأدب الطفِّ: (طوع).
(٤) لم يرد في البابليَّات وأدب الطفِّ.
(٥) شعراء الحِلَّة: (فخروا).
(٦) لم يرد في أروع ما قيل.

لـقـد نهـبـت كـفُّ المـصـاب فـؤادهـا
وأَيــدي عـداهـا كُـلِّ بـردٍ وبـرقـعِ[1]
فَـلَـمْ تستطع عـن نـاظـريهـا تـسـتُّرًا
بـغـير أَكـــفٍ[2] قـــاصراتٍ وأذرُعِ
وَقَـدْ فزِعت مُـذ راعها الخطبُ دهشةً
وأَوهـى قـوًى[3] منها إلى خير مفزعِ[4]
فـلـمَّا رأتـــهُ بـالـعـــراءِ مُجـــدَّلا
صريعًا عَـلَى الـرمضـاء غـير مُـشيَّعِ[5]
دنَـت مـنـهُ والأَحـــزانُ تمـضـغُ قلبها
وحـنَّـت حـنـينَ الـوالـهِ المتـفـجِّـعِ
تـقُـول وظـفـر الـوجـد يـدمـي فـؤادهـا
عَـلَـيَّ عـزيـز أَن أَراك مـودِّعـي[6]
عـلـيَّ عـزيـز أَن تمـوت عـلى ظمأ
وتـشرب في كـأسٍ مِـنَ الحـتـفِ مـترعِ
تـلاكُ بـأشـداق الـرمـاح وتـغـتـدي
لـواردة الأَسـيـاف أَعـذب مـكـرعِ[7]

(١) لم يرد في أروع ما قيل.
(٢) أروع ما قيل: (زنود).
(٣) البابليَّات وشعراء الحِلَّة وأدب الطفّ: (القوى).
(٤) شعراء الحلَّة: (مرجع).
(٥) البابليَّات وشعراء الحِلَّة وأدب الطفِّ: (عفيرًا على البوغاء غير مُشيَّعِ).
(٦) زيادة في أروع ما قيل.
(٧) إلى هُنا في شعراء الحِلَّة، هذا البيت لم يرد في أروع ما قيل.

أَأَخـــي ذا شـمـر أَراد مـذلَّـتـي
فـأركـبـنِ مِـنْ فـوق أَدبـرِ أَضـلـعِ؟
وذا الـعـلـج زجـرٌ أَرغـم الله أنـفـهُ
بـقـرعِ الـقـنـا والأَصـبـحـيَّـةِ موجعي
أَأَخـــي مـا عـودتـنـي مـنـكَ الجـفـا
فـعـلامَ تجـفـوني وتجـفـو مَـنْ مـعـي؟[1]

وهي طويلة مشهورة يقول في ختامها[2]:

بـنـي غـالـب هـبُّـوا لأَخـذ تـراثـكـم
فـلـم يجـدكـم قـرع لـنـاب بـأصـبـعِ
أَ مـثـل حـسـين حـجَّـة الله في الـورى
ثـلاث لـيـالٍ بـالـعـرا لَمْ يـشـيَّـعِ؟
ومـثـل بـنـات الـوحـي تـسـري بـهـا العدا
إلى الـشـام تُـهـدى مِـنْ دعـيٍّ إلى دعـي

مِنْ بنودِه

جمع في أَغصان أَلفاظه ثمار المعاني، وصدَّره ببيتَين، آخذًا مأخذهما مِنْ قلب القاصي والـداني، وَقَدْ كاتب بِهِ بعض أَحبابه مِنْ أَهل الكـمال، وَقَدْ صدره بهذين البيتَين، قوله: [من الطويل]

(١) زيـادة في أروع مـا قيـل مـن: (أأخـي ذا شـمـر أراد...) إلى (فعـلام تجفـوني وتجفـو مـن معي).
(٢) هذه الأبيات وردت في البابليَّات وأدب الطفِّ.

ألا مُـبـلـغٌ عـنـي الحـسـين تحـيـةً
كـأن قـد كـسـاهـا طـيـب أخـلاقـه بـردا
يـصـوغ لهـا نـشـرًا كـطـيـب خمـائـلٍ
ويحلو لها طعم كـأن ضَمِنَتْ شهدا[1]

مَـا الأَغيد ذو طَـرْفٍ كحيلٍ ناعم الخد، حَكَـتْ ريقة فيه لذةَ الخمرةِ والشَّـهْدِ، إذَا مَا ماسَ تِيْهًا خِفْتَ أَنْ ينقَدَّ منهُ مائِسُ القدِّ، كَمْ وَكَمْ تُفتتنُ العشـاقُ منهُ بقوامٍ خَيْزرانيّ، وجَعـدٍ إفعـوانيّ، وبِجِيدٍ هـلْ رأتْ عيناك أجيـادًا لآرامٍ، فلو رُمتَ تُضاهيـه إذنْ ردَّتْ بإعجـازٍ وإفحـامٍ. وَخُصْرٍ يشـتكي الضعفَ وَقَدْ حمـلَ ثهلانَ، فَكَمْ راحَ أَخـو اللُّبِّ بِهِ مبهوتًا[2] حيرانَ، ونَشْـرٌ هو كالمسْـكِ، وَقَدْ عافَ أَولو النُّسْكَ بِهِ النُّسْكَ، مَليكُ الحسنِ قَـدْ جاءَ مِنَ الحسِّ بِسـلطانٍ، فَلَوْ رامَ بـهِ مدحًا إذن جاءَ بأجنادٍ وأَعـوانٍ، فَكَمْ جاءَ مِنَ الشِّـعر بأعلامٍ ورايات، وَكَمْ سـلَّ مِنَ الأَجفانِ أَسـيافًا بها كَمْ بطلٍ مـاتَ، وَكَمْ قوس مِنْ حاجبِهِ قوسًـا لهُ الأَكبادُ أَغراضُ، وَكَمْ قوم خطّـارًا مِنَ القدِّ، وَكَمْ هدَّ قوى الصبِّ بإعراضٍ، بأبهى مِنْ سـلامٍ زَفَّهُ نحو حِماكَ زائِدُ الشـوقِ وأَهـداه إلى حضرةِ عَلياك أَخو الصبوةِ والتوقِ، فيا دمـتَ أَخا المجدِ عصامَ العائِذِ اللاجي، ولا زلتَ أخا الفضل ملاذَ المجتـدي الراجي، ولا زلتَ أخا المنبر دليلًا للهدى هادي، ولا زال منيرًا بِسَـنَا طلعتِكَ النادي، فسـمعًا يا أَخا الودِ، مقالًا مِنْ محبٍّ لك قَدْ أَضنتْه مِنْكَ شَـقَّةُ البُعْدِ، فَلَمْ يُبقِ لهُ الشـوقُ سـوى دمع ذروف قَدْ حكاه صيِّب المزنِ، وجسـم ناحـل أَشرفَ أَن يخفى على الأَعينِ لولا الوهمُ والظنُّ، فإنّي أسـألُ الله وليَّ اللُّطف والجودِ، [أَنْ] يريني الطلعةَ الغرا بيومٍ هو للإسلام طرا، خير ما سُمِّيَ بالعيدِ[3].

(١) (خمائل) في الأصل (نشره)، والصواب ما أثبتناه؛ لاستقامة الوزن والمعنى.
(٢) في شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤٢٠ (مبهوت).
(٣) شعراء الحلَّة: ٤/ ٤٢٠ ٤٢١، مجلَّة البيان: ع٣٢/ ١٩٠.

مع الشُّعراء

كـان مترجمنا عـلى الرغم من اهتمامه بالـدرس الحوزيّ، فإنَّـهُ لم ينفكَّ عن معاشرة الشُّعراء ومساجلاتهم.

وقد ورد في ترجمة الشَّيْخ محمَّد رضا الخزاعيّ: نظم في أَكثر أَبواب الشِّعر ومواضيعه، وساجل شُعراء عصره وطارح أَكثر أَقرانه في هذا الفن كالشيخ صالح الحجّي، والشَّيْخ محمَّد زاهد، والشَّيْخ محمَّد حسين حمد الحِلِّيّ...[1].

وجـاء في ترجمة الشَّـيْخ ناجي خميِّس الحِلِّيّ[2] قصيدة يهنِّئ بها صديقَه الشَّـيْخ محمَّد حسين حمد الحِلِّيّ بقِران ولده جواد المتوفَّى في عهد أَبيه، ومطلعها: [من الطويل]

بـــدت بـمـحـيَّـا راشـــــحٍ بـحـيـاءِ
فـيـامـا أُحـيـلى الـبـدر شـــعَّ بـمـاءِ
تـمـيـسُ بـخـطّـارٍ وتـــرنُـــو بـفـاتـرٍ
لـهُ في حشا الـعُـشَّـاقِ أَي مَـضـاءِ[3]

وفاتـه

لبَّى نداء ربِّه يوم الخميس (٢٧) شـعبان سنة (١٣٥٢هـ) على أَثر داء عضال أَلزمه

(١) شعراء الغريّ: ٨/ ٣٣٧.

(٢) الشَّـيخ ناجي خميِّس: هو الشَّـيْخ ناجي بن حمادي بن حسـين بن خميِّس الحِلِّيّ السَّـلاميّ. وَلِدَ في الحِلَّـة عـام (١٣١١هـ)، درس على فُضلاء الحِلَّة، لازم الخطيب الشَّـيخ مُحَمَّد شـهيب الحِلِّيّ، وكان لشـقيقه العلَّامة الشَّيخ مجيد الدور الكبير في توجيهه، انتقل إِلى النَّجف الأَشرف ونهل من نمير أَعلامها، تُوُفِّي في الحِلَّة يوم السـبت خامس عشر ذي القعدة من سنة (١٣٤٩هـ)، ودُفِنَ في النَّجف إلى جنب مرقد السَّيِّد عدنان الغريفيّ. تُنظر ترجمته في: البابليَّات: ٤/ ٩٢-١٠٢، شعراء الحِلَّة: ٥/ ٤١٦-٤٢٣، أَدب الطفِّ ١٠/ ١٨٥-١٨٧.

(٣) شعراء الحِلَّة: ٥/ ٤٢٣.

البيت والفراش بضع سنين، وحُمِل جثمانهُ إلى النَّجف الأَشرف، ودُفِنَ في الصَّحن الحيدريّ[١]، بحجرة رقم (٤)[٢]، في حجرة الزاوية الغربيَّة الجنوبيَّة[٣]، ذكر السَّيِّد هادي كمال الدِّين[٤] أَنَّهُ أُصيب بشلل أقعده في داره[٥].

وقِيل تُوُفِّي سنة (١٣٥١هـ)[٦]، وقيل سنة (١٣٥٤هـ)[٧]، ورثاه جمع مِن الشُّعراء مِنْهُم الشَّيْخ ناجي خميِّس الحِلِّيّ[٨]، والعلاَّمة السَّيِّد هادي كمال الدِّين بقصدتَين مطلعهما[٩]:

الأَوْلى: [من الخفيف]

قد دعاهُ إلهُهُ فأجابهْ

فمضى اليوم في التُّقى والنَّجابهْ

(١) البابليَّات: ٤/ ١٠٨.
(٢) مشاهير المدفونين في الصَّحن العلويّ: ٢٨٣.
(٣) ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.
(٤) السَّيِّد هادي كَمَال الدِّين الحِلِّيّ: هُوَ هادي بن حمد بن فاضل بن حمد كَمَال الدِّين الحُسَيْنيّ الحِلِّيّ. وُلِدَ فِي الحِلَّة عام (١٣٢٦هـ) ونشأ بِهَا عَلَى والده، ثُمَّ درسَ العلوم الدِّينية فِي النَّجف الأَشرف عَلَى الشَّيْخ أَغا بزرك الطهرانيّ والشَّيْخ هادي كاشف الغطاء والشَّيْخ مُحَمَّد حسين كاشف الغطاء. أَسَّس فِي الحِلَّة المدرسة الكماليَّة للعلوم الدِّينيَّة عام (١٩٤٤م)، وأَصدر مجلَّة (التوحيد) عام (١٩٥٨م)، ثُمَّ جريدة التوحيد فجريدة الحقيقة. كَانَ عالمًا شاعرًا أَديبًا باحثًا مُحقِّقًا. تُوُفِّيَ فِي الحِلَّة سنة (١٤٠٦هـ). لَهُ مؤلَّفات عدَّة مطبوعة ومخطوطة. تُنظر ترجمته في: تاريخ القزوينيّ: ٣٠/ ١٩٩-٢٠٥.
(٥) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٥.
(٦) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤٢٠، ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.
(٧) الذريعة: ١٠/ ١٢٦.
(٨) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤٢٠، لم نعثر على القصيدة. والشَّيخ ناجي مرَّ ذِكره.
(٩) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٥-١٣٦.

والثَّانية تُليت في مسجد المصلُوخيِّ: [من الكامل]

المـــوتُ حـــقٌّ والحـيـــاة تـــوهُّـــمُ

وبـذيـن قـد نـزل الـكـتـابُ المُحكـمُ

ما قيل عنهُ

قال الشَّيْخ جعفر النقديّ (ت١٣٧٠هـ): «عالم مشهور في الفضل والكمال والمعرفة ولهُ اليد الطولى في صناعتي النظم والنثر والنصيب الوافر في علميّ الفصاحة والبلاغة وهو اليوم في سن الاكتهال معدود في زمرة الفُضلاء الكرام لهُ نثر فائق، وشعر رائِق»(١).

قال الشَّـيْخ مُحَمَّـد علي اليعقـوبيّ (ت١٣٨٥هـ): «رأيتـهُ خفيف الـروح ميَّالًا إلى الملاطفـة والمفاكهة مع جلسـائِه، لا تكـاد تفوته النكتة، ولا تعدوه النـادرة مع كُلِّ أحد حتَّى في مجالس العامَّة مِنَ النَّاس، فضلًا عن الخاصَّة، ولعلَّ هذهِ الظاهرة هي الَّتِي كانت مِنْ أكبر العوامل المؤثِّرة على انتشار شهرتهِ العِلميَّة»(٢).

قال الشَّيْخ عليّ الخاقانيّ (ت١٤٠٠هـ): «عالم معروف، وأديب مطبوع، وشخصية فذة مرموقة، مِنْ مشاهير عُلماء عصره»(٣).

قال السَّـيِّد جواد شـبَّر (ت١٤٠٣هـ): «عالم معروف يشـهد عارفـوه لهُ بالفضل والتضلُّع»(٤).

قال الشَّـيْخ جعفر آل محبوبة (ت١٣٧٧هـ): «عالـمٌ فاضلٌ مُلمٌّ بالفقه والأُصول، ماهرٌ بالأَدب، لهُ خبرة عظيمة واطِّلاع واسع، تخرج عليْهِ كثير مِنْ أَهل الفضل، أَدركتهُ...

(١) الروض النضير: ١٢٠.
(٢) البابليَّات: ٤/ ١٠٩.
(٣) شعراء الحِلَّة: ٤/ ٤١٩.
(٤) أدب الطفِّ: ٩/ ١٤٥.

شيخ خفيف الروح حلو الطبع، صافي السريرة، نقي الضمَّير...»[1].

مجلَّة البيان النَّجفية: «أَحد عُلماء وشعراء القرنَين التاسع عشر والعشرين، لهُ مكانة سامية في العلم والأَدب، ولهُ آثار دلَّت على سموٍّ مقامه، وُلِدَ في الحلَّة وبها نشأ، وسكن النَّجف زمنًا طويلًا، ورجع إلى مسقط رأسهِ، حَيْثُ تُوُفِّي بها سنة ١٣٥١هـ»[2].

منهج التحقيق

تعدُّ الرِّحلة الحُسينيَّة مِنْ كُتب الرِّحلات الخاصَّة؛ لأنَّها تمثل تاريخ مسيرة عَلَى الأَقدام إِلى الإِمام الحُسين عليه السلام الَّتي كانت سنة (١٣٢١هـ) والمطبوعة سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، بحثنا عنها في المكتبات العراقية والدار الوطنية فلَمْ نعثر عليها، في حين أَن الشَّيْخ عليّ الخاقانيّ أَثبت نصَّ الرِّحلة المطبوعة فقط، وهذا ما اعتمدنا عليهِ في عملنا هذا، بعد أَن ذكر أَسماء العُلماء والفُضلاء الَّذين رافقوه.

وقد أَشارت المصادر إِلى أَنَّهُ تمَّ تقديم هذهِ الرِّحلة من الشَّيْخ كاتب الطريحيّ، وتلميذه الشَّيْخ حسن المظفَّر[3]، وَقَدْ قرضها السَّيِّد مُحَمَّد مهدي البحرانيّ[4].

وجاء في وصف هذه الرِّحلة قال الشَّيْخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ: هي من النثر المسجع على نحو الأَساليب القديمة، طبعت بمطبعة (الحبل المتين) في النَّجف الأَشرف سنة (١٣٢٩هـ)، وهي تنيف على (٢٠) صفحة[5]، وَقَدْ ذَكر الشَّيْخ اليعقوبيّ، وتبعه السَّيِّد

(١) ماضي النَّجف: ٢/ ٩٤.
(٢) مجلَّة البيان: ع٣٢/ ١٩٠.
(٣) الذريعة: ١٠/ ١٢٦، البابليَّات: ٤/ ١٠٩، شعراء الحلَّة: ٤/ ٤٢١.
(٤) شعراء الغريّ: ١٠/ ١٣٣.
(٥) البابليَّات: ٤/ ١٠٩.

هادي كمال الدِّين الحِلِّيّ[1] أَنَّ شيخنا الجبَّاويّ ذكر في نهاية الرِّحلة هذِهِ القصيدة: [من الطويل]

خليليَّ هَلْ مِنْ وقفةٍ لكما معي
عَلَى جَدَثٍ أسقيهِ صَيِّبَ أدمعي

وعند قراءتِنا الرِّحلة نجد أَن القصيدة، لم تُذكَرْ كاملةً، وإنَّما ذُكر منها بيتٌ واحدٌ فقط، ومكانها لم يكن في خاتمة الرِّحلة.

وقال الشَّيْخ محمَّد هادي الأَميني تقع في (٣٢)[2] صفحة، وقال السَّيِّد محمَّد الجلاليّ في وصف هذه الرِّحلة: كتبها بمناسبة سفره إِلى بيت الله الحرام[3].

أَقول ما ذكره السَّيِّد الجلالي توهُّمٌ؛ لأنَّ من مؤلَّفات شيخنا الجبَّاويّ الرِّحلة المكِّيَّة الَّتِي وصف فيها رحلته إِلى بيت الله الحرام.

أمَّا عملنا في تحقيق هذه الرِّحلة، فهو على النَّحو الآتي:

١. تخريج الآيات القرانيَّة.

٢. تراجم الأَعلام الوارد ذكرهم، الَّذين توصلنا إليهم من طريق إشارة الشَّيْخ علي الخاقانيّ بقولهِ:

«وقد جاء ذكر رجال صاحَبوا الشَّيْخ مُحَمَّد حسين الجبَّاويّ في هذِهِ الرِّحلة مِنْهُم: الخطيب الشهير في عصره الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ الجابريّ المتوفَّى ١٣٣٨هـ، وهو والد الخطيب المُعاصر الشَّيْخ مُسلم، ومِنْهُم العلَّامة السَّيِّد محسن الحكيم المتوفَّى ١٣٦٤هـ، وهو والد الحُجَّة السَّيِّد مُحَمَّد سعيد الحكيم المُقيم في البصرة،

(١) فقهاء الفيحاء: ٢/ ١٣٧.
(٢) معجم المطبوعات النَّجفيَّة: ١٩٥.
(٣) فهرست التُّراث: ٦٦٧.

ومنهم الشَّيْخ تقي بن الشَّيْخ راضي الطريحيّ المتوفَّى ١٣٦٠هـ»[١].

وبعضهـا من طريق قرائِن وأَدَّلـة توصَّلنا إِليها، وبعضها لم نصـل إِليها؛ لأنَّها شخصيَّات اجتماعيَّة في ذلك الوقت.

٣. تخريج الأَبيات الشِّعريَّة، ووضع الوزن الشِّعري فوق كُلِّ بيت.

٤. ضبط النصِّ بالشكل.

٥. أَضفنا بعض الكلمات والحروف ووضعناها بين معقوفتَين [ ].

٦. صحَّحنا الأَخطاء الإملائيَّة الَّتِي وردت في المتن من دون الإِشارة إِليها.

٧. قسَّـمنا الرِّحلة، فوضعنا لِكُلِّ فِقرة عنوانًا بين معقوفتَين؛ لتسـهل على القارئ قراءتها.

٨. تخريج الأَلفاظ الغريبة، وبيان معناها من المعاجم اللُّغويَّة.

٩. التعليق على بعض الكلمات عند الحاجة.

وفي الختام لا يفوتني تقديم الشكر الجزيل للإخوة في مركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسـيَّة المقدَّسة، سـائِلًا المولى جلَّ وعلا أَن يتقبَّل منَّا هذا القليل، وأَن يجعلهُ في ميزان حسناتنا، وأَن يُنير قلوبنا بعلمٍ جديد بمحمَّد وَآلِهِ الطَّيبين الطَّاهرين.

الحِلَّة المحروسة

٢٠١٨/٨/٢٥م

(١) شعراء الحلَّة: ٤/ ٤٣٨-٤٣٩.

الرِّحلة الحُسينيَّة

تأليف العَلَّامَة الشَّيْخ محمَّد حسين حمد الجبَّاويّ الحِلِّيّ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

[المُقدِّمة]

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1]، وَلَهُ الحمدُ عَلَى نعمهِ وآلَائِهِ الَّتِي لَا تُعدُّ وَلَا تُحصى، والصَّلاة عَلَى نبينا مُحَمَّد سيِّد البشر، وَآلِهِ الطُّهر الميامين الغرر.

أمَّا بعد..

فَيقول العبدُ الآثم، المُعترف بالذُّنُوب والجرائِم، مُحَمَّد حسين نَجْل المَرحُوم حمد الحِلِّيّ، أَحَلَّهُ الله دار القرار، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الأَطهار [عليهم السلام]، لـمَّا كَانَ أَفضل الأَعْمَال زِيَارَة قُرَّة عَيْن الرَّسُول، وريحانة عليّ [عليه السلام] والبتُول [عليها السلام]؛ لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَحيا دين الله بَعْدَ حلول رمسهِ، وفدى بمالِهِ وَأَهل بيتهِ وبنفسهِ ولولاهُ لَمْ يَبقَ للدِّين نافخ ضرمه، وَلَمْ يَبْقَ لرسول الله [صلى الله عليه وآله] حرمة، فجعلَ الله لَهُ منزلةً لَمْ تنلهَا الأَنبياء، وخصائِص حُرِمَتْ مِنْهَا الأَوصياء، مِنْهَا المَغْفِرَة لزائِريهِ[2] وَتَحْتَ قُبتهِ استجابة

(١) الإسراء: ١.

(٢) قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام لله وَفِي الله أَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، وَآمَنَهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَلَمْ يَسْأَلِ الله حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ».=

الدُّعَـاء[1]، وَقَدْ تواترت بِذَلِكَ الأَخبار، وملـؤوا الطوامير بِذَلِكَ نقلةُ الآثار، وَمَعَ قطع النظر عمَّا ورد عَنِ الأَئِمَّةِ الأَطهار [عليهم السلام]، لا شـكَّ أَن زيارتهُ واجبةٌ عَلَى كُلِّ مُسـلم[2]، وولايتـهُ فرضٌ عـلَى كُلِّ مُحِلٍّ ومُحَرِّم؛ لأَنَّ الله جعَل أَجر الرسـالة مـودَّة ذي القُربى، إِذْ قَـالَ عزَّ مِـنْ قَائِـل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[3]، ولما ورد عَـن الأَئِمَّةِ الطَّاهرِينَ.

إِنَّ الله ينظـر إِلَى حُجَّـاج بيتـهِ بَعْـدَ أَن ينظـر إِلَى زوار الحُسَـيْنِ [عليه السلام][4]، أَحببنا أَن نخلطَ أَنفسـنا مَع زوارهِ عليه السلام، ونزورهُ، أَرواحنا فداه مشـيًا عَلَى الأَقـدام[5]، علَّنا يصيبنا مَا لا نَسْتَحقَّ مِنَ الثَّواب، ويدفعُ عنَّا مَا نَسْتَحقُّهُ مِنَ العِقَاب[6].

=عن أَبي عبد الله عليه السلام: «من زار الحسـين عليه السلام يريد بِهِ وجه الله أَخرجهُ الله مِنْ ذنوبِهِ كمولود ولدته أَمه، وشـيَّعته الملائكة في مسـيره.. إلى أَن قال: وسـألت الملائكة المِغْفَرَة لهُ مِنْ ربِّه، ونادته: طبت وطاب مَنْ زرت. وحُفظ في أَهله». كامل الزيارات: ٢٧٥، وسائل الشيعة: ١٣/ ٣٩٨.

(١) عَنْ مُـحَمَّدِ بْنِ مُسْـلِم قَالَ: سَـمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَجَعْفَرَ بْنَ مُـحَمَّدٍ عليهما السلام يَقُولانِ: «إِنَّ الله عَوَّضَ الْـحُسَـيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ: أَنَّ الإِمَامَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلا تُعَدُّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ جَائِيًا وَرَاجِعًا مِنْ عُمُرِهِ». الأمالي: ٣١٧/ ح٩١.

(٢) عَـنْ عَبْـدِ الرَّحْـمَـنِ بْنِ كَثِيـرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْـدِ الله عليه السلام: «لَـوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَجَّ دَهْرَهُ ثُـمَّ لَمْ يَزُرِ الْـحُسَـيْنَ بْـنَ علي؛ لَكَانَ تَارِكًا حَقًّا مِنْ حُقُوقِ رَسُـولِ الله صلى الله عليه وآله؛ لأَنَّ حَقَّ الحسَـيْنِ فَرِيضَةٌ مِنَ الله تَعَالَى وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». كامل الزيارات: ٢٣٨.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) عَـنْ أَبِـي عَبْدِ الله عليه السلام قَـالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَبْدَأُ بِالنَّظَرِ إِلَى زُوَّارِ قَبْرِ الْـحُسَـيْنِ عليه السلام عَشِـيَّةَ عَرَفَةَ. قَالَ قُلْتُ: قَبْلَ نَظَرِهِ لِأَهْلِ الْـمَوْقِف، قَالَ: نعم. كامل الزيارات: ١٧٠.

(٥) عـن أبي عبـد الله عليه السلام قـال: «إِنَّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسـين عليه السلام فله إِذا خرج مـن أَهله بأَوَّل خطوة مغفرة ذنبه، ثمَّ لَمْ يزل يقدَّس بِكُلِّ خطوة حتَّى يأتيه، فإِذا أَتاه ناجاه الله فقال: عبدي سَلْني أَعطك اذْعُني أُجبك». ثواب الأَعمال: ٩١، وسائل الشيعة: ١٣/ ٣٣٣.

(٦) عن أَبي عبد الله عليه السلام قال: إِن للهِ ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام فإِذا هَمَّ بزيارته الرجل أَعطاهم الله ذنوبـه، فإِذا خطا محوها، ثمَّ إِذا خطا ضاعفوا لهُ حسـناته، فما تزال حسـناته تضاعف حتَّى=

[مِنَ النَّجَف إِلَى الكوفة]

فتهيَّأنَا فِي اليوم الثَّاني مِنْ ذي الحجَّة سنة الأَلف وثلثمائة وإِحدى وعشرين[1]، وَقَدْ سلكنَا هَذِهِ الطريقة قَبْل ذَلِكَ ثلاث سنين، فَجمْعنَا الأَسباب الَّتِي يتوقَّف عَلَيْهَا المعاش، مِن الطعام والشراب والفراش، وكرينا الدواب، ووطأْنَا عَلَيْهَا الأَسباب، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ذَلِكَ اليَوْم وقت الأَصيل، ودخلنَا قَبْل أَن تغرب الشَّمْس مِنْهُ مسجد سهيل[2]، فَوجَدنَا هُنَاكَ أَقوامًا قَدِ اسْتعدوا كما اسْتعددنا، وعزموا عَلَى الَّذِي عَلَيْهِ عزمنَا، ووفقنا الله وإياهُمْ لمرضاتهِ، وأَسكننا يَوْم حشرنَا فَسيحَ جَنَّاتِهِ، وَبَعْدَ أَن اصفرَّ وَجْهُ الغزالة[3] وسترتهُ تَحْتَ الأَرض، واسودَّ وجهُ الفضاء بصبغة اللَّيْل بَعْدَ أَن كَانَ أَبيض، أَدَّينا مَا يُراد مِنَّا مِنْ نَفلٍ وَمِنْ فرضٍ[4]، وتهيَّأْنَا بَعْدَ العتمة للعَشَاء، بَعْدَ أَن أُديرتْ أَكْؤُسُ الشَّاي والقهوة السوداء، وَقَدْ أَتانَا فِي تِلكَ اللَّيْلة مِنَ الأَضياف، مَا يزيد مُبالغةً عَلَى عددنَا أَضعاف، حتَّى خشينا أَن مَا هيأناهُ مِنَ الطعام لا يفي، ولكنَّ الله صانَ ماءَ وجوهنَا بلطفهِ الخفيّ.

ثُمَّ إِن درَّة تاج رأس المجد البالغ مِنَ الفضل ومحاسن الأَخلاق مَا لَا يحد ذَا الشأن

=توجب لهُ الجنَّة، ثمَّ اكتنفوه وقدَّسوه. وينادون ملائكة السَّماء أَن قدِّسوا زوار حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم محمَّد ﷺ: **يا وفد الله أَبشروا بمرافقتي في الجنَّة**، ثمَّ ناداهم أَمير المؤمنين عليه السلام أَنا ضامن لقضاء حوائِجكم ورفع البلاء عنكم في الدُّنيا والآخرة، ثمَّ التقاهم النبيّ ﷺ عن أَيمانهم وعن شمائلهم حتَّى ينصرفوا إِلى أَهاليهم. كامل الزيارات ١٣٢، ثواب الأَعمال ٩٢.

(١) ١٣٢١هـ.

(٢) مسجد السَّهلة في الكوفة: عُرِف المسجد بـ(مسجد السَّهْلة)، والسَّهلة هي مقبرة من مقابر الكوفة القديمة، فالمسجد يكون على طرفٍ من مقبرة السَّهلة.

(٣) الغزالة: الشَّمس. لسان العرب: ١١/ ٤٩٣.

(٤) النفل: هو أَداء المُستحبّ كالنوافل المستحبَّة والتسبيح وغيرهما.
الفرض: هو أداء العبادة الواجبة كالصَّلاة والصوم والحج وغيرها.

الشـامِخ العَلِيّ الأَخَ الأَمجد الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ[1]، قَرَّطَ أَسماعنَا بما نَظَم فِي رثاء سيِّد شباب أَهـل الجنَّـة، وأَلبسـنا أَثواب الحُـزْن، بِذِكْرِ مَـا ورد فِي مُصـاب منْ بكـت عَلَيْهِ الإنس والجِـنُّ[2]، ثُمَّ تهادينَا بما يُناسـب الحـال مِنَ اللطائِف، وتفكَّهنا بما كَانَ مُدَّخرًا فِي سـفط الحافظة مِن النُكات والظَّرائِف، فَكَانَ مسـاؤُنَا فِي تِلكَ اللَّيْلة أَحسن مساء، لولا مَا مَعَنا ممَّن حَضَر مِنْ بعض الثُّقلاء: [من الطويل]

وَلَـــوْ أَنَّ واشٍ بِـالـيَـمَـامَـةِ دارُهُ
وَدَارِي بأقصى حَـضْرَمَـوْتَ أَتانـيا[3]

وَمَع ذَلِكَ جرى بيننَا مِنَ المُداعبات مَا جَرى، إِلَى أَن عبثتْ فِي الأَجفان سِنَةُ الكَرَى، ولـمَّا ابتسم الصُّبْحُ ضاحكًا استبشارًا بقدوم النَّهار، وصفقتِ الأَغصان بأوراقِهَا، وَغَرَّدَ الهزار، طار النَّوْمُ مِنْ وَكنِ الأَجفان، وأَسرعنا فِي تأدية مَا أَوجبهُ الرَّحمن، وَبَعْدَ أَن فرغنَا ممَّـا وجـبَ، تنادمَ كُلٌّ مِنَّا مـع مِنْ أَحب، وأُدِيـرت بيننَا القهوة البُنيَّة وكؤوسُ الشَّـاي، وبلغت بفضل الله أَقصـى مُرادي ومُناي.

[السفر منَ الكوفة]

ثُـمَّ تذاكرنـا فِي مَا نحتاج إِلَيْهِ مِـنْ زورقٍ يقلُّ مَا معنا مِنَ الأَثقال، وَفِي أَشـياء أُخر لَيْـسَ لذكرهَا فِي فم يراع الكامل مجال، فَقَالَ فَرْعُ دوحة المجد والشَّـرَف، وينبوع زلال الكمال والظَّرْف، مِنْ لَمْ يَزَلْ مُفضِّلًا وَمحْسِـنًا، السَّيِّد الأَمجد السَّيِّد مُـحْسِن[4]: أَنا أَكفيكم مؤونـة ذَلِكَ كلِّه، وَلَقَدْ كَـانَ فِي ميدان المعروف والمعرفة مِنْ أَهلِهِ، فما كَانَ بَعْدَ ذهابه إِلَّا

(١) الشَّيْخ مُـحَمَّد عليّ الجابريّ، مرَّ ذكره.
(٢) عـن أبي جعفر عليه السلام قال: بكتِ الإنس والجنُّ والطير والوحش على الحسـين بن عليّ عليهما السلام حتَّى ذرفت دموعها. بحار الأَنوار: ٤٥/ ٢٠٥/ ح٨.
(٣) البيت لقيس بن الملوَّح. ديوانه: ١٢٣.
(٤) السَّيِّد محسن الحكيم، مرّ ذكرهُ.

القَلِيل أَتانا فطوَّقنا بما هُوَ أَهلهُ مِنَ الفضل والجميل، وَقَدِ اشترى واكترى بأبخس ثمن وَأَقَلِّ قيمة، وَلَمْ يزلْ حرسه الله ذا همَّة عالية وأَخلاق كَرِيمَة، ولعمري هُوَ الحريّ بما قالهُ الشَّريف الرضي [رحمه الله][1]: [من المتقارب]

لأَيّ صَنَائِعِهِ أَشْكُرُ
وَفي أَيّ أَخْلاقِهِ أَنظُرُ
فَتًى طَانَبَ المَجْدَ في بَيْتِهِ
هُوَ السَّيْفُ والعارِضُ المُمْطِرُ[2]
فَتًى كالحُسَامِ وَصَوْبِ الغَما
مِ ذا يَستَهِلُّ وَذا يُمطِرُ
إِذَا ازْدَحَمَتْ فِيهِ ألحَاظُنَا
وَقَدْ ضَمَّ أَعْطَافَهُ المحضرُ[3]
ترى أَنَّ جِلْبَابَهُ لامَةٌ
مِنْ البأس، أَو تَاجَهُ مِغْفَرُ[4]

ثُمَّ إِنَّا لما وردنا الشَّرِيْعَة، وَجَدنَا سفينتنَا وَأَهلهَا كما تشتهي الطَّبيعة، وَهَذِهِ إِحدى أَمارات النجاح، فعند ذَلِكَ حدَّثتنا المسرَّات بألسنةٍ فِصَاح، ثُمَّ إِنَّا بالأَسباب ملأنا جَوفَ السفينة، ونحن إِذْ ذاك مرتدون بأردية الوقار والسكينة، وَقَدْ نزعنا مِنْ ملابس

(١) الشَّريف الرضّي: هو السَّيِّد محمَّد بن الحسين بن موسى بن مُحَمَّد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصَّادق عليهم السلام. المُلقَّب بـ: الشَّريف الرضيّ، وعلم الهدى. وُلِدَ في بغداد عام ٣٥٩هـ، ونشأ في بيت علويّ طاهر، وعلميّ عريق. لهُ مؤلَّفات عديدة. تُوُفِّي سنة ٤٠٦هـ. تُنظر ترجمته في: أَعيان الشيعة: ٩/ ٢١٦، تجارب العُلماء: ١/ ١٨٣-١٩٦.

(٢) في الأصل: «طائب».

(٣) في الأصل: «المهصر».

(٤) في الديوان: «نرى». ديوان الشَّريف الرضي ٢/ ٥٠٠.

السفر السرعة والعجل؛ لسعة الوَقْت وقرب المحل، ثُمَّ قمنا نذرعُ الأَرضَ بالخطوات، ونفلي بأرجلنا نواصي الفلوات[1]، حَتَّى انتهينا إِلَىَ شاطئ ذي رمل ناعم، وَقَدْ طرزتهُ بأنامِلهَا أَكف النسائِم: [من الطويل]

كَأَنَّ مجرَّ الرَّامِساتِ ذُيُولَهَا
عَلَيْهِ قَظِيمٌ[2] نَمَّقَتْهُ الصَّوانِعُ

فجلسنا هُناكَ وأكلنا الغداء، وشكرنا المنعم ربَّ الأَرض والسَّماء، ثُمَّ قمنا نمشي ونحن نستنشق بعرانين[3] الأَفئدة ندى الأَفراح، ومشى بيننا مَا يُناسب الحال من اللطائِف والمزاح، فما كَانَ إِلَّا كلوث أَزارٍ أَوْ كلمحة ناظر، بلغتْ بنا الخُطا مكانًا قَدْ حَفَّ بأزهار نواضر، وَقَدْ سبقنا إِلَيْهِ بعض الأَحباء، ولما وجدوه أَحسن متنزه ضربوا فِيْهِ الخِبَاء[4]، فَلَمَّا رأونا تهللتْ وَجوههم مِنَ الفرح بِنَا وَالاستبشار، والحمد لله الَّذِي أَكمل لنَا نِعَمَهُ بنعم صَحبٍ وَأَحسن جَار، فَكَانَ مِنْ حسن الأَخلاق مِنْهُمْ وطيب العناصر، أَنْ أَجلسونا بناديهم وتولوا بأنفسهم عنَّا نَصْب الچادر[5]، فنصبوه إِزاء خبائِهم حَتَّى قَاربوا بينهما أَشدَّ اقتراب، وَعَانقوا بينهما بسواعد الأَطناب، وَبَعْدَ أَن عانقنا غواني الاستراحة، وَقُبِّلت الكاسات مِنْ أَكفِّنا الراحة، وشربنا مِنْ فم الكأس صافية تشبه دم الغزال، ورشفنا مَنْ فم الفنجان قهوة أَشبهت بسوادها سواد الحال.

(١) الفلوات: الأرض البهماء الَّتي لا يهتدى فيها لطريق. لسان العرب: ٦/ ٣٢٤.
(٢) البيت للنابغة الذبيانيّ، في الديوان: «حصيرٌ»بدل «قظيمٌ». ديوان النابغة: ١٢١.
(٣) (عرن) العين والراء والنون أَصل صحيح واحد يدلُّ على ثبات وإثبات شيء كالشيء المركَّب من ذلك العرنين وهو الأَنف، والجمع عرانين، سمِّي بذلك كأَنَّهُ عرن على الأَنف، أَي ركب، وكذلك اللحم عرين؛ لأَنَّهُ مثبت مركَّب على الجسم. مُعجم مقايس اللُّغة: ٤/ ٢٩٤.
(٤) الخباء: الخيمة.
(٥) الچادر: يستخدمها عامَّة النَّاس بحرفهم الدارج، وهي قطعة مصنوعة من قماش أَو من الجلد أَو غيرهما، وتستخدم لأَغراض عديدة، منها الجلوس عليها.

[ثمَّ] أَقبل مِنْ تخلَّف مِنْ أَهل الخيام، وبلغنا بوصولهم إِلينا المرام، فضربتْ خيامهم بالقرب من هاتيك القباب، وقربت حَتَّى واصلوا الأَطناب بالأَطناب، فَكَان مِنْ حسن ذَلِكَ التجاور، أَن قضينا مَا بقي مِنْ ذَلِكَ اليَوْمَ كلهُ بالتزاور.

وَبَعْدَ أَن أَمر الله الشَّمْسَ أَن تخضع هيبةً لعظمتهِ، وسلخ مِنَ الفضاء إِهابه الأَبيض بيدِ قدرتهِ، أَذَّنَ المؤذنُ للصَّلاة فصلَّينا، راجين مِنْ الله الصَّلاة، ثُمَّ عدنا إِلَى مجلس لَمْ تدنِّسهُ خباثة الهَمِّ وَالكَدَر، وَلَمْ يكُنْ لثقلاء أَمس طريقٌ وَلَا ممر، حلَّت فِيْهِ غواني الأَفراح، وسقتنا فِيْهِ مِنْ صافية السرور أَقداح، تتلى فيهِ صحف التَّصافي والوداد، وينشد فيهِ من النسيب مَا يلينُ بِهِ قلب الجماد.

وَبَعْدَ أَن قتلنا خسيسَ الجوع بسيفِ نفيسِ العَشَاء، وأَدَّينا بعضَ مَا يجبُ مِنَ الشُّكْر لهاتيكَ النعماء، شنَّف آذاننا ذو الفضل الجليِّ، الأَخ الأَعز الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ، بصنوف جواهر الطرائق، عِنْدَ تلاوة مَا نظم في رثاء الحُسَيْنِ عليه السلام مِنَ الشِّعر الرائق، ثُمَّ شرعنا في زِيَارَةِ الإِخوان، وَأَدينا مَا وجبَ عَلينا مِنْ حقوق الجيران، وَبَعْدَ أَن ظعن نصفٌ مِنَ اللَّيْل وقطن النُّعاس بساحة الأَجفان، صار لِكُلٍّ مِنَّا شان، فنام منْ نام، وقام لحراستنا منْ قام، ولمَّا بدت غُرَّة الصَّباح، ونادى مُنادي اللَّيْل الرواح الرواح، قمنا مسرعين، وأَتينا بِمَّا افترضهُ ربُّ العالمين.

ثُمَّ جلسنا مجلسًا تجمَّعت فِيْهِ أَسبابُ الأَنس، وصُنع لنَا فِيْهِ مَا كَانَتْ ترغب فِيْهِ النَّفس، فرقصت فيهِ الكاسات حَبابها[1]، وَدَعَتْ لرشفِ شفاهها أَحبابها، وَبَعْدَ أَن حَلَّ الصَّباحُ عقدةَ الظلام، وَأَجرتِ الشَّمْسُ ذَهَبًا فوقَ رؤوس الرَّبوات والآكام، تهيَّأنا للمسير، وجمعنا الأَسبابَ فِي زمان يسير، ثُمَّ ركبنا مِنْ أَرجلنا سهل الممتطى، حَتَّى انتهت بنا قوائم الخُطا، إِلَى روضة قَدْ اكتستْ مِنَ

(١) الحباب: حباب الماء معظمه. مُعجم الصِّحاح: ١/ ١٠٧.

الزهـر[1] أَبهى حُلَّة، وَلَبْسَـتْ مِنَ البهاء حُلَّة، يذهب فِيْهَا أَلم مِنْ فِيْهِ علَّة، تجلوا بحسـن بهجتها النواظِر، فَكَأَنَّما عناهَا بَقُولِهِ الشَّاعِر: [من المنسرح]

وروضـــةٍ راضـهـا الـنـدى فـغـدتْ
لَـــهَـا مِـــنَ الـــزَّهْـــرِ أَنـجُـــمٌ زُهْـــرُ
تَـنْـشُرُ فِـيْـهَـا أَيـــدي الـرَّبـيـعِ لَـنَـا
ثـوبًـا مـن الـــوَشْيِ حـاكَـهُ الـقـطـرُ
كَـــأَنَّـــما شـــقَّ مِـــنْ شـقـائِـقـهَـا
عَـــلَى ربـــاهَـــا مـــطـــارفٌ خـضـرُ
ثُـــمَّ تَـــبَـــدَّتْ كَـــأَنَّهَـــا حَـــدَقٌ
أَجـفـانُهَـا مِـــنْ دِمَـائِـهَـا حُمْـــرُ[2]

فَرَوَّحْنَا أَنفسًا فِيْهَا لما أَصابنا مِنْ حرارة التعب، وأَرحنا أَبداننا فِيْهَا إِذْ لحقنا أَلَمُ شدَّة النَّصب[3]، وسرحنا بَهَا سائِمة النظر، فَرَتَعَتْ بما فِيْهَا مِنْ أَقاحٍ وزهر: [من الكامل]

ذاكَ الـشـفـا فَـــلَا تـظـنـن غَـــيْرَه
لَـيْـسَ الْمُجرب مثل مَـنْ لَمْ يشـهـدِ[4]

ثُمَّ قمنا وَقَدْ نشطنا مِنْ عقال، وَكَأن لَمْ يكُنْ أَصابنا قَبْل ذَلِكَ تعبٌ وَلَا كلال، فسرنا بشـاطئ نهر الفرات، وَقَدْ صَيَّر خَفَّاقُ النَّسِـيم موجَهُ مثل بطون الحيات، وَهُناكَ بساتين تشتمل عَلَى أَغصان، تُمِيلُهَا الرِّيَاح كما يميس الدل قدود الحِسان: [من الكامل]

(١) الزهر: المضيئة. لسان العرب: ٤/ ٣٣٣.
(٢) الأبيات لأبي طاهر بن الخبز أَرزيّ. يتيمة الدهر: ٤/ ٤٤٢.
(٣) النَّصب: التعب.
(٤) البيت لوهب نصر بن سيار. بدائع البدائه: ٩٠.

فَـكَـأنّهـا وَالــرِّيــحُ جــاءَ يَـمـيـلُـهـا

تَبْغي التَّعانق ثُـمَّ يَمْنَعها الخَجَل[1]

والأَرض إِذْ ذاكَ لَبِسَتْ ثوبًا مِنْ السُّندس الأَخضر، طُرِّز بها نُسجَ بِهِ مِنْ لجين الزهر الأَبيض و[الـ]عسـجد[2] الأَصفر، وَلَوْ أَطاعني الصَّحـبُ لضربنا هُناكَ الخِيام، وَكَأَنَّما عنَى تَلِكَ الروضة وشمْس ذَلِكَ النَّهار أَبو تمّام[3]، إِذْ قَالَ: [من الكامل]

يَـا صَـاحِـبـيَّ تَـقَـصَّـيـا نَـظَـرَيْـكُـما

تَـرَيَـا وُجُـوهَ الأَرْضِ كَـيْـفَ تَـصَـوَّرُ

تَـرَيـا نَهَـارًا مُـشْـمِـسًـا قَـدْ شَـابَـهُ

زَهْـرُ الـرُّبـى فَـكـأَنَّـمـا هُـوَ مُـقْـمِـرُ[4]

[الوصول إِلَى مدينة الكفل]

وقبـل أَن تتخطَّى الشَّـمْس دائِـرة نصف النَّهـار، أَعتقنا الأَقدام مِـنْ رِقِّ التخطِّي واطمأَنَّـت بنا الدار، فضربنا الخيام فِي جزيرةٍ أَحاط الفرات بجوانبها الأَربع، تقرب مِنْ بلـد الكفل[5] مَا يبلغ بميزان التقريب غلوة ثلاثة أَسـهم أَوْ أَربع[ـة]، وَبَعْدَ أن قضينا

(١) البيت لسعيد بن حميد. شُعراء عبَّاسيُّون: ٣/ ٢٩٣.

(٢) العسجد: الذهب. لسان العرب: ٣/ ٢٩٠.

(٣) أَبو تَمَّام: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائيّ، الشهير بـ(أَبي تمّام الطائِيّ)، أَحد أَمراء البيان، وُلِدَ بمدينة جاسـم (من قرى حوران بسـورية)، ورحل إلى مصر واسـتقدمه المعتصم إلى بغداد فأجـازه وقدمه على شـعراء وقته فأقام في العراق، ثمَّ ولي بريد الموصـل تُوُفِّي عام ٢٣١هـ بمدينة الموصـل، ودُفِنَ بها. تُنظـر ترجمته في: تاريخ بغـداد: ٨/ ٢٤٨، تاريخ الطـبريّ: ١١/ ٩، رجال النجاشيّ: ١٠٢، الطليعة: ١/ ٢٢١-٢٢٣.

(٤) البيت لأبي تمام من قصيدة لهُ. شرح ديوان أَبي تمّام: ٢/ ١٩٤.

(٥) الكفـل: مدينة عراقيَّة تقع بين بابل والنَّجف وكربلاء جنوب العراق قرب نهر الفرات، يقع في البلـدة قبر يعتقد أَنَّهُ قبر النبيّ حزقيال (ذو الكفل)، ولهذا سـمِّيت البلـدة بالكفل، كان يقطن=

وَطَرًا مِنْ رَشْفِ رضاب الاستراحة، ونكحنا بمهر الجلوس غواني الراحة، أَوجب علينا احتياجنا لبعض الأَشياء العبور إِلَى الكفل وجوبًا كفائيًّا، فأحببتُ أَنْ أفوزَ بالقيام بِذَلِكَ الواجب جزئيًّا كَانَ أَمْ كُليًّا، فركبتُ في السفينة للعبور إِلَى بلد الكفل، وركب معي مِنْ أَصحابي بدرُ أَسَمْاء الكمال وشمْس فَلكَ الفضل، الشَّيْخ مُحَمَّد علي وَمُحْسِن نجل الحاجّ حبيب[1]، فلمَّا توسَّطنا الفرات، أَنشدنا الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ بيتَين فِي النسيب[2]، وهما: [من البسيط]

جاذبتهُ لعناقٍ فانثنى خجلا
وكُلِّلَتْ وجنتاهُ الحمْر بالعرقِ
فقال لي بفتور مِنْ لواحظهِ
إنَّ العناق حرامٌ، قلتُ في عُنقي[3]

بأرقِّ صوتٍ وأَحسن طريقة، فكادت تعترينا حالة السُّكر لولا خوف الخُرُوج عن الطريقة، وحين دخلنا البلد احترمنا أَهلُهَا غاية الاحترام؛ لمعرفةٍ مِنْهُمْ لبعضنا سبقت في سالف الأَيَّام، فاشترينا الكثير بالقَلِيل، فضلًا مِن الملك الجليل، ثُمَّ عُدنا لأَصحابنا

=البلدة وحتَّى نهاية أربعينيَّات القرن الماضي تجمُّع يهوديّ عراقيّ كبير، قبل أن يتمَّ تهجيرهم لخارج العراق، ويمُّر فيها نهر الفرات على جانب من جوانبها، وتبعد عن محافظة النَّجف مقدار ٣٠ كيلومتر. مُعجم البلدان: ١/ ١٢٤، ١/ ٤٠٣، ٣/ ٣٧٢.

(١) لم نظفر بترجمته.

(٢) النَّسِيبُ فِي الشِّعْر، هو الشِّعْرُ الغَزَلِيُّ، شِعْرُ الْحُبِّ الرَّقيق.

(٣) هذهِ الأبيات لشَّاعِرٍ مجهول، حيثُ جاء في مُقدِّمتها:

ما زال ينهل مِنْ صرف الطلا قمري ... حتَّى غدت وجنتاه البيض كالشفقِ
وقام يخطر والأَرداف تقعده ... طورًا وحاول أن يسعى فلم يطقِ
فعائِل فعلت فعل الشمول بهِ ... فعل النسيم بغصن البانة الورقِ

يُنظر: المستطرف: ٢/ ٧٠.

فرحين مسـرورين، إِذْ لَمْ نَؤب حين أُبنا بِخُفَّي حنين[1]، فاستقبلنا صحبنا، وَقَدْ تَـهَلَّلت وجوهُهم الزواهر، فَكَأَنَّما عناهم بَقُولِهِ الشَّاعِر: [من البسيط]

قـــومٌ لهـــم في ســـماء المـجـدِ منـزلـة
زهـر الـكـواكـب مِـنْـهَـا الـنـورَ يقتبسُ
مِـنْ كُـلِّ أَزهـــرَ بـادي الـبُـشر غـرَّتـهُ
كـأنَّـهـا في ديـاجـي ظـلـمـة قـبـسُ[2]

ولـمَّا أَضاء النادي بمصابيح تَلِكَ الغرر، رشفنا رضاب الكاسات مِنْ ثغرها المفتر، وشربنا القهوة السـوداء، وقضينا بالمنادمة حَقَّ الإِخاء، فكنَّا ذَلِكَ اليَوْمَ فِي فرحٍ وَسُرُور، بَيْنَ مُلاطف لأَخيه وَبَيْنَ زائِر ومزور، ونحنُ إِذْ ذاكَ بمكان لَمْ تطأهُ قدم ثقيل، ولا شغل بِهِ لعابر سـبيل، وَقَدْ أَحاط بِهِ الفرات إِحاطة القلادة بجيد الفتاة، وزها للنواظِر، وَكَأَنَّما عناهُ بَقُولِهِ الأَموي الشَّاعِر[3]: [من الطويل]

ونـحـنُ بـــوادٍ لَمْ تـطـأهُ نـوائـبٌ
وَلَا انسحبتْ لـلـرِّيـحِ فـيْـهِ ذيُـولُ[4]

وَبَعْدَ أَن صبغ الأَفق مِنَ الجانب الغربي بدم النَّهار، ودخلت أَوكارها خوف هجوم اللَّيْـل عَلَيْهَا الأَطيار، نـادى المُنادي بـ(حيَّ عَلَى الفلاح)، قمنا إِلَى الصَّلاة راجين مِنَ الله

(١) مثل معروف عن العرب، قيل: حنين إسكافيّ من الحيرة، ساومه أَعرابيّ بخفَّين، ثمَّ انصرف ولم يشـترهما، فألقى حنين أَحدهما في أَوَّل طريقه، والآخر في آخره، فمرَّ الأَعرابيّ بالأَوَّل فتركه، فلـمَّا رأى الآخر أَناخ راحلتـه ورجع ليأخذ الأَوَّل، فركبها حنين وطار، فرجع الأَعرابيّ إِلى قومه بخفَّـي حنين، وقيـل: حنين مغنٍّ دعاه قوم فأسـكروه وسـلبوه ثيابـه وتركـوه في خفَّيه. جمهرة الأَمثال: ١/ ٤٣٣/ ح٧٤١.

(٢) أَبيات لشاعر مجهول. نشوة الشمول: ٢١.

(٣) الشَّاعِر العبَّاسّي الأبيورديّ.

(٤) في الديوان: «بربع» بدل: «بواد». ديوان الأبيورديّ: ٢٩٧.

النجاح، ثُمَّ عدنا إِلَى مجلسنا الَّذِي يملأ القلب بهجة وَسُرُورًا، ويزيد نور الأَبصار لحسنهِ نورًا، لَمْ يحو الأَذى أَدب ظريف، فَكَأَنَّما عناهُ بَقُولِهِ الشَّريف [قدس سره]: [من السَّريع]

وَلَـــرُبَّ يَـــوْمٍ هَـــاجَ مِـــنْ طَـــرَبِي
وَلَـــقَـــدْ يَـضِـيـقُ بـــغَـــيرِهِ ذَرْعـــي
مِـــنْ مَـنـظَـرٍ حَـسَـنٍ ومـن نَـغَـمٍ
نَـــدْعُـــوهُ قَـيْـدَ الـعَـينِ وَالـسَّـمْـعِ
لَـــمَّا أَظَـــلَّ الـلَّـيْـلُ مَجْـلِـسَـنَـا
طُـعِـنَ الـدُّجَـى بِـأَسِـنَّـةِ الـشَّـمْـعِ[1]

وَلكنَّـا لَمْ نقـرط أَسـماعنَا فِي ذَلِكَ النادِي بِذكر الحُسَـيْنِ عليه السلام وَلَمْ نكحِّـل أَجفاننا فيهِ بدُمُوع العَيْنَيْن، وَكَان السـبب فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ لما أُحضر العَشَـاء، أَكل الشَّـيْخ مُحَمَّد عليّ جَاهِـلًا أَن البِطْنـة[2] رأس كُلِّ داء[3]، حَتَّى ملأ جوفهُ وَلَـمْ يُبْـقِ موضعًا للهواء، إِلَّا أَنَّهُ تَقَـيَّء جميع مـا أَكلهُ، ولله الحمد لَوْ بقي فِي جوفهِ لقتلهُ، وَقَدْ عـبر إِلينا فِي تِلكَ اللَّيْلة مِنَ الكفل عقد قلادة جيد الزَّمان، ودرَّة تاج رأس الفضل والإحسـان، مَنْ حُبِّه فِي سويداء قلبي مُقيم، الأَخ الأَعز الشَّيْخ كريم[4]، فَسَـرَّنَا بحُسن ابتسامهِ، وآنسنا بلذيذ كلامهِ، ثُمَّ [قال]: [من الكامل]

مَـا كَـان إِلَّا قُـبْـلَـةُ الـتَّـسْـلِـيـمِ أَرْ
دَفَـهَـا الـفِـرَاقُ بِـضَـمَّـةِ الـتَّـوْدِيـعِ[5]

(١) ديوان الشرَّيف الرضيّ: ٢/ ٦٦٤-٦٦٥.
(٢) الامتلاء الشَّديد مِنْ الطَّعام، أَو الإسراف في الأكل.
(٣) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الحمية رأس كُلِّ دواء، والبطنة رأس كُلِّ داء». زبدة التفاسير: ٥/ ٣٠.
(٤) لم نتعرَّف على هذه الشخصيَّة.
(٥) البيت للشريف الرضيّ: ١/ ٦٥٤.

وَبَعْدَ أَن أَطارت صفقة الديك بجناحه ستًّا مِنَ الساعات، وكرَّ طائِر النُّعاس في عش الأَجفان، وَقَبَّلَت الوسائِد منِّا الخدود والوجنات، ثُمَّ إِنَّ النَّوْم بَعْدَ ذَلِكَ ملك مِنَّا الزمام، وحبسنا عن أَداء مَا افترضهُ علينا ربُّ الأَنام، فَمَا أَطلقنا إِلَّا والشَّمْس إِذَا نظر إِلَيْهَا الناظر، يجدها كما يَقُول الشَّاعِر[1]: [من السريع]

والشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ
لَيْسَ لَنَا مِنْ دونها حَاجِبُ[2]
كَأَنَّهَا بَوْتَقَةٌ أُحْمِيَتْ
يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبُ

وَبَعْدَ أَن أَطّرنا الكسل برشف صافيّة الزّجاج، وأَهجنا مَا كمن فِي الأَجفان مِنَ النّعاس بلثم فم الفنجان فهاج، دعانا المسير إِلَى أَن نجعل السفينة لأَسبابنا مزادًا، وأَلجأنا العبور [إِلى] أَن نصيِّر أَبداننا لبطن الفلك زادًا[3]، وَقَدْ ارتفع الريح الجنوبيّ كما يشتهي الملَّاح، فطارت بنا بَعْدَ أَن صنعت يد الرِّيح لها جناح، وَكَأَنَّ مِنْ غرائِب الاتفاق، مَا جَرَى بَيْنَ سفينتنا وسفينة بعض مَنْ نحب مِنَ المصافحة والاعتناق، حَتَّى بقينا عَلَى تَلِكَ الحالِ برهةً مِنَ الزَّمان، وسقونا فِي تَلِكَ الحال قهوة مزجت بالزعفران، تحكي بسواد لونها خال خد الحبيب وطول مكثهما عَلَى تَلِكَ الحال أَمرٌ عجيب: [من البسيط]

وَمَا أَظُنُّهُما طَالَ اعتناقهُما
إِلَّا لِمَا لَقِيَا مِنْ شِدَّةِ الشَّغَفِ[4]

(١) الشَّاعِر الوزير المهلَّبيّ.
(٢) في الديوان: «مُنيرةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ». ديوان مهلَّبيّ: ٢٥.
(٣) في الأصل: «زاد»، والصواب ما أثبتناه.
(٤) البيت لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة أبي مُحَمَّد، المعروف بـ(ذو القرنين ابن حمدان)، وهما بيتان، كان الأَوَّل:=

وَبَتِلـكَ الحـال أَنشـدنَا قُرَّة النُواظِر الشَّـيْخ مُحَمَّد عـلي برقيق صوتـهِ فِي مدح أَمير المؤمنين عليه السلام أَبياتًا، فكادت تطير فرحًا وَسُرُورًا مِنَّا النُّفُوس.

[المرور بقرية المنين والنزول قرب عشيرة الحيادر]

ثُـمَّ خرجنا وجعلنا نطرز أَديم الأَرض بالأَقـدام، وللأَرجل مَعْ تَلِكَ المفاوز نقض وإبـرام، حَتَّـى أَتينا مكانًا يُسـمَّى بالمنين[1]، فأردنـا أَن ننصب خِيامنا فِيْـهِ جهلاً مِنَّا بأن المكـث فيْهِ مُتعـذر فوجدنا أَقوامًـا كأَنهم لَمْ يروا أَحدًا مِـنْ بني آدم، وَمَا أَظـن أَحدًا مرَّ فِي مغانيهـم أَمحلها الله أَلم، وظنـي أَنَّهم أَبعدهم الله مِنْ يأجوج ومأجوج[2]؛ ولكن سـد ذي القرنين لَمْ يمنعهم عنْ الخُرُوج، فملنا عنْهُم ونزلنا فِي جزيرة قريبة مِنْ قوم يسـمون بالحيادر[3]، وللفرات محافظة لها وإِحاطة بها صونًا لنظارة خدها الناظر، وَبَعْدَ أَن ضربنا

إِنِّي لأحسُدُ (لا) في أسطرِ الصُّحُفِ إذا رأيـتُ اعـتـنـاقَ الـلامِ لألـفِ

يُنظر: يتيمة الدهر: ١/ ١١٨، وفيات الأعيان: ٢/ ٢٧٩.

(١) الظاهـر أَن هذا الاسـم يطلق على قريـة صغيرة توجد ضمن حدود منطقـة طويريج، وهو من الأسـماء المندرسـة حاليًا. وقد عبَّر ياقوت الحمويّ عن المنين ما نصُّهُ: منين: بالفتح ثمَّ الكسر ثمَّ ياء مثنَّاة، ونون أخرى، ومنين: قرية في جبل سنير من أَعمال الشام، وقيل من أَعمال دمشق، منها الشَّـيخ الصالح أَبو بكر محمَّد بن رزق الله بن عبيد الله، وقيل كنيته أَبو الحسـن، ويعرف بابن أَبي عمرو الأَسود المنينيّ المقرئ، إمام أَهل قرية منين. مُعجم البلدان: ٥/ ٢١٨.

(٢) اسمان يظهران خاصَّة في الكتب والتقاليد الدِّينيَّة اليهوديَّة والمسيحيَّة والإسلاميَّة، بالإضافة إلى أَعمال أَدبيَّة لاحقة. قد تأتي هاتان التسميَتان في سياق نسبيّ كما في سفر التكوين، أَو في أَمور متعلِّقة بالأَخرويَّات كما في سفر حزقيال والرؤية والقرآن. وتوصف هاتان التسميَتان بالغموض، فتارةً تأتي على هيأةِ أسماء لأشخاص أَو شعوب، وتارةً أخرى كتسمية لمنطقة جغرافيَّة. جاء ذكرهم في القـرآن الكريـم: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ سورة الكهف: الآية ٩٤. تفسير منهج الصادقين: ١٠٨.

(٣) قريـة صغيرة تقع ضمن حدود منطقة طويريج، سـكنها الكثير مـن آل الحيادر؛ فعُرِفت المنطقة باسمهم.

خيامنا فيْهَا وجدناها خير منزل، ووددنا أَن نُقيم فِيْهَا كُلّ الدّهْر ولا نرتحل، فَكَان العَيْش فِيْهَا رَغيدًا، وَكَان يومُنَا فِيْهَا مِنْ بَيْنِ الأَيَّام يَوْمَ عيد: [من المتقارب]

مَحَـــلٌّ إِذا لاح لي لَمْ أَقِـــفْ
بصَحْبي عَـلَى حَـوْمَـلٍ فـالـدَّخُـولْ[1]
قـطـعـتُ بـــهِ الـعَـيْـشَ مَـــعْ فِـتْـيَـةٍ
صِـبـاحِ الـوُجُـوه كِـرامِ الأُصُـــولْ![2]

وَبَعْـدَ أَن اعـترت الشَّـمْس صفرة الوجل، وكـرَّ جحفل اللَّيْل وَفَرَّ عسـكر النَّهار وارتحل، عطَّلنا مِنْ مآرب النُّفُوس كُلَّ المطالب، واشـتغلنا بأداء المُسـتحبِّ مِنَ الصَّلاة والواجب، وَبَعْدَ أَداء العتمة قُدِّمَ إِلينا الطعام، فأكلنا وحمدنا المفضل المنعام، ثُمَّ إِن الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ أَصابهُ داء التخمة فخاط أَجفانه بأُبَر النُّعاس، وسلب منهُ سَائِرَ الحواس، فقلنا حرمنـا في هذِهِ اللَّيْلة مِنْ نغمات صوته كأمس الذاهب، وَقَدْ كان عندنا ختام مجلسـنا في رثاء الحُسَـيْنِ [عليه السلام] مِنْ أَهم المطالب، فأخبرنا أَنَّهُ بتلك الحال غير مبالٍ، وإِن هذِهِ الحالة تعتريه في سَائِرِ اللَّيْالي.

ثُمَّ إِنَّهُ أَنشدنا في رثاء الشَّهيد أَبياتًا، فزجر القلوب بنار الزفرات، وسرح الدُّمُوع في ريـاض الوجنات، وَبَعْدَ أَن صاح الدِّيك مُحيِّيًا غُرَّة الصَّباح، ونادى مُنادي القوم بـ(حَيَّ عَلَى الفلاح)، داوينا داء الذنوب بدواء أَداء الواجب، وقبَّلت الجباه خدَّ التربة الحُسَـيْنيَّة رغـمًا عَلَى الحَاجب، وَبَعْدَ ذَلِكَ تفكَّهنا بأحسـن الحديث، وأَديرت بيننا أَكؤس الشَّـاي لا الخمر الخبيث.

(١) هـذا البيـت ليعقـوب ابـن أخـت نجـم الدِّيـن، المعـروف بشـهاب. مسـالك الأبصـار: ١/ ٣٩٠.

(٢) هذا البيت للقاضي الأعز. مسالك الأبصار ١/ ٣٩١.

[الطريق إلى القزوينيَّة]

ثُمَّ أَلجأنا المسير إلى أَن نطأ بأقدامنا هامات[1] نباتات الأرض، بمسمع مِن الشقيق وبمرأى مِنْ عيون النَّرْجِسِ الغضِّ، حَتَّى انتهى السير بنا إِلَى بساتين ضمَّها إِلَيْهِ شغفًا نهر الفرات، وقبَّلها حَتَّى ارتوى بريقه مِنْهَا عاطش الأَشْجَار والنّبات، واعتنقت أَغْصانُها حَتَّى لفَّت السَّاقُ بِالسَّاقِ[2]، واعتدالُ قوامِهَا اعتدال قوام غانية قامت الحرب بَيْنَ عشاقهَا عَلَى ساق، جرى بأصول تِلكَ الأَغْصان لجينُ الماء، وسقط مِنْ وريق فروعها مَا أَحالتهُ عسجدًا كيمياء الشِتَاء، فَهِيَ بها لبسته مِنَ الزهر تميس وتتيه، وَكَأَنَّهُ عني ذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ ابن النَّبيه[3]: [من الكامل]

وَالنَّهرُ خدٌّ بِالشُّعاعِ مُوَرَّدٌ
قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذارُ ظِلِّ البانِ
وَالماءُ فِي سُوقِ الغُصون خَلاخِلٌ
مِنْ فِضَّةٍ، وَالزَّهرُ كالتِّيجانِ[4]

فأين هذا الطريق المحتوي على هذِهِ الأَمكنة الأنيسة، المشتمل على هذِهِ النزهة النَّفيسة، مِنْ وعورة رمل الحماد، سيَّما في مثل هذِهِ السنة الجماد، ثُمَّ إنا لَمْ نزل ندخل في بستان ونخرج مِنْ بستان، ولكن أَربابها بعدوا عن خطَّة المعروف والإحسان؛ لأنَّهم

(١) في الأصل «فما مات»، والصواب ما أثبتناه.
(٢) إفادة من قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ القيامة: ٢٩.
(٣) عليّ بن محمَّد بن الحسن بن يوسف، أَبو الحسن، الملقَّب بـ(ابن النبيه المصريّ)، أَحد شعراء العصر العبَّاسيّ؛ عاش في مصر أثناء حكم الأيوبيِّين. مات ابن النبيه سنة ٦١٩ هجريَّة في نصيبين، وقال الملك الأشرف عند موته، وكان معجبًا بمحاسن شعره: مات ربُّ القريض. تُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٧/ ٣٤١، سير أَعلام النبلاء: ٣٣/ ٧٨١، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٢٨٤، فوات الوفيات: ٣/ ٦٦، الأعلام: ٤/ ٣٣١.
(٤) ديوانه: ٢٧٨.

أَنفوا- أَرغم الله أَنوفهم - أَن يقضوا حوائِجنا ولو بالدراهم، وَحَقّ لهم أَن تأبى نفوسهم عن المعروف؛ لأن مَنْ لَمْ ينطبع في مرآة فكره الجميل أَحرى بأن تجانب ساحته المكارم، مع أَن حاجتنا إِليهم حقيرة، وَقَدْ دفعنا لهم فوق أَجرة المثل أَضعافًا كثيرة.

ثُمَّ إِنا وجدنا امرأة تسجر النَّار في تنور تخبز فيْهِ، وَقَدْ خرج لسان النَّار مِنْ فيهِ، فدفعنا إليها عجينًا لتخبزه، وملنا عنها خوفًا مِنَ الهُمزة اللُّمزة[1]، وجلسنا نشوي بالقرب مِنْهَا لحمًا طريًّا، ولكن كيف يكُون مَا ساورته أَعين النَّاس هنيئًا مريًّا، وَقَدْ احتجنا إِذْ ذَاكَ إِلَى الحطب، فذهب الأَخ الأَغر الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ يحتطب، فما كَان بأسرع مِنْ أَن رجع إلينا مُنْهزمًا[2]، وَعَقد جيد وقاره غير منتظم، فسألناهُ عمَّا دهاه وأَراعه، وكانت إِذْ ذَاكَ درَّة حلمه مضاعه، فأخبرنا أَنَّهُ رأى دُوَيْن[3] شجرة صغيرة بالية شيئًا ظنَّ بِهِ خيرًا، وَبَعْدَ أن همَّ بتناولِهِ وجده تأَبَّط شرًّا[4]، وَهْيَ أَفعى عظيمة، وَلَمْ يُنجه مِنْهَا إِلَّا الهزيمة، فوثب إِلَيْهَا مَنْ لَمْ يزلْ مُفضلًا وَمُحْسِنًا، الأَخ الأَمجد السَّيِّد مُحْسِن[5]، فأدمى صماخها بقضيب خيزران، وَبَعْدَ قتلهَا وجدنا طولها قَدْ بلغ مِنَ الأَشبار ثمان، ثُمَّ إِنَا بَعْدَ فَراغنا اشتغلنا بقطع المسافة، واحتسينا مِنْ أَكؤس المنادمة أَلذ سلافة انتهينا إِلَى ظِلٍّ ظليل، وأَشجار ونخيل، تعبث بأصولهَا يدُّ أَمواج الفرات، فعقلنا هُناكَ مطايا

(١) افادة من قوله تعالى: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. الهمزة: ١.

(٢) في الأصل «منهزم».

(٣) دُوَيْن: تصغير (دون)، أَي أَسفل شجرة صغيرة، و(دون) الدال والواو والنون أَصل واحد يدلُّ على المداناة والمقاربة، يقال هذا دون ذاك أَي هو أقرب منه، وإِذا أَردت تحقيره قلت دوين. مُعجم مقاييس اللُّغة: ٢/ ٣١٧.

(٤) تأبطَّ الشيء: وضعه تحت إبطه. وبه سمِّي ثابت بن جابر الفهميّ تأَبَّط شرًّا؛ لأَنَّه- كما زعموا- كان لا يفارقه السَّيف، وقيل: لأَنَّ أمه بصرت به وقد تأَبَّط جفير سهام وأخذ قوسًا، فقالت: هذا تأبط شرًّا، وقيل غير ذلك. مُعجم المصطلحات: ١/ ٤٢.

(٥) السَّيِّد محسن الحكيم، مرَّ ذكرهُ.

الخطـوات، وأَرحنا الأَقدام، وروَّحنا النُّفُوس بصـرف المنادمة لا الخمر الحرام، وكَانَ بِهِ الوَقْت وقت الأَصيل، والفرات إِذْ ذاكَ إِذْا نظر إِليْهِ يجده كما قِيْل[1]: [من الكامل]

الـنَّـهـرُ قـدْ رَقـــتْ غـلالـةُ صـفـوه
وَعَـلـيْـهِ مِـنْ صِـبْغ الأَصـيـل طـرازُ[2]
تـــترَقـــرَقُ الأَمـــــواجُ فـيْـهِ كـأنَّـهـا
عُـكَـنُ الخـصـور تهـزُّهـا الأَعـجـازُ

فكنت لشـدَّة الأُنس في ذلك المكان، نسـيت عصا قَدِ اعتـدل قوامها اعتدال قوام غانيـة هيفاء مِنْ خيزران، وَقَدْ كُنت حريصًا عليها؛ لأَنَّهـا قليلة المثيل، وَمَا ذكرتها حتَّى تجاوزنـا ذَلِـكَ الموضع مقـدار مِيْل، فأراد الرجـوع الصَّفيّ النَّقـيّ، قُرَّة النَاظِر الشَّـيْخ تَقِيّ[3]، فقلت لهُ أَخطأ مَنْ ظنَّ أَنهَّا تمكث في ممرِّ الوارد والصادر، وأَنَّهُ تعالى عَلىَ رَجعِهَا لقادِر[4]، ثُمَّ عبرنا إِلى جزيرة صغيرة قَبَّل صدرها الفرات الأعظم، وَشُقَّ لنَّهر القزوينيَّة مِنْ عجزها فمٌ، فضـربنا فيْهَا خيامنا، وحمدنا بها مقامنا، وَبَعْدَ أَن جلسنا صَحبِنَا الانس، وأَديرت بيننا للشَّـاي أَكؤس، وَقَدْ تزينت الأَرض بالسُـنْدس الأَخـضر[5]، وازوَرَّ خدُّ الـكأس خجلًا وأَحمـر، إِذ صار الفنجان بأثمد القهوة ذا طـرف كحيل، وَقَدْ طَرز بالتبر وشي الماء شمْس الأَصيل، فكانت الأَرض والماء والوَقْت كما قِيْل: [من المتقارب]

وقـــدْ غَـــشِيَ الـنـبـتُ بـطـحـاءهُ،
كَـبـدوِ الـعـــذَارِ بـخـدٍّ أسـيـلِ

(١) البيتان لمحمَّد بن سارة المغربي. المستطرف: ٢/ ٧٣٥.
(٢) خصره بدل صفوه. المستطرف: ٢/ ٧٣٥.
(٣) الشَّيْخ تَقِيّ الطريحيّ، مرَّ ذكرهُ.
(٤) إفادة من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾. الطارق: ٨.
(٥) إفادة من قوله تعالى: ﴿سُندُسٍ خُضۡرٞ﴾. الإنسان: ٢١.

وَقــد ولَّـــتِ الـشَّــمــسُ، مُحْـتَـثَّـةً
إِلَى الـغـرب، تَـرْنُـو بـطَـرْفٍ كَحيلِ
كـــأنّ ســنــاهَــا، عــلى نهْـــرِهِ،
بَـقـايـا نَـجـيـعٍ بـسـيْـفٍ صَـقـيـلِ[1]

ثُـمَّ تزاورنا على العادة، وجـرت بيننا الـمداعبـات الَّتِي هي عِبـادَة، ولـمَّا ابتلعت الشَّـمْس حوت المغرب، وَأوشـكَ أَن يمتاز في السَّـماء كوكب عن كوكـب، قمنا لأَداء ما علينا وجب فصلينا بعد الأَذان والإقامة، راجين رحمة الرَّحمن يوم القيامة، ثُمَّ عدنا إلى مجلس يعدهُ[2] البدر أَحد هالاته، وتتمنَّى الثريا أَن تكون حَبًا لكاساته، نشرنا فيهِ بعض مطويات مُشكلات المسائِل العِلميَّة، وفتحنا فيهِ مغلقات معانيها الخفيَّة، ثُمَّ رقَّص الأَخ الأَعز الشَّـيْخ مُحَمَّد علي أَفئدتنا بنغمات أَوتار صوته، وأَحزننا بذكر مَا جرى على الحُسَيْنِ وَأَهْـلِ بيته [عليهم السلام]؛ فاقتدحت يد الأَحزان بزند الأَسـى نـارًا في الكبود، وأَطلق الطرف عنـان طرف الدَّمع في ميدان الخدود، وَبَعْدَ ذَلِكَ أُديرت بيننا كؤوس المنادمة، وَمَا طرق طارق مِنَ الهمّ إِلَّا وأَرقنا دمه: [من الطويل]

أَحَـاديـثُ تَستَدْعي الـوَقْـورَ إلى الصِّبَا
وَتَـكْـسُـو حَـليـمَ الـقَـوْمِ ثَـوْبَ عُـرَامِ
فَـنُـضْـحـي لهـا طَـرْبَـى بِـغَـيرِ تَـرَنُّـمٍ
ونُـمْـسِي لهـا سَـكْـرَى بِـغَـيرِ مُـدامِ[3]

ومـذ وكَّر طائِر النّعاس في عش الأَجفان، وطار مِنْ سـاعات اللَّيْل سـبع أَو ثمان، مهدنا المهاد، وتوسـدنا المخاد، وقبل أَن تبدو الغزالة مِنْ خدرها بعد أَن انشـقَّ جلباب

(١) الأبيات لابن خفاجة. ديوانه: ١٨٣.
(٢) في الأصل: «يوده»، والصواب ما أثبتناه؛ لاستقامة المعنى.
(٣) ديوان الشَّريف الرضّي: ١/ ٢٣٣.

تلكَ اللَّيْلة بفجرها، نبهونا مِنْ رقدة الكرى، وأَدينا ما فرضهُ ربّ الورى، واشتغلنا بطي الأَسباب، وعجلنا على الذَّهَاب، لأنَّ الرِّيح في ذلِكَ الوَقْت للملاح مريح، حَيْثُ أَصبح مريض الرِّيح الجنوبيّ صحِيحًا، وَقَدْ كسا السَّماء جلابيب[1] مِنَ السحاب، وصنع لوجه الشَّمْس مِنْ قطع الغيم برقعًا ونقابًا، واستقبلنا الفضاء بوجه لئيمٍ أَلـمَّ بهِ ضيف، وخفناهُ أَن يُبل مطارفنا بمنسجم دمعه أَشدَّ الخوف، أَلجأنا الأَقدام على الركوب دون المشي على الأَقدام.

[المسير إلى طويريج والمبيت بخان الوقف]

فركبنا السفينة بَعْدَ أَن ملأنا بالأَسباب حشاها، وتلونا قولَهُ تَعَالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[2]، فبينما نحن نستنشق مِنْ عرار اجتماعنا الأَريج، لَمْ نشعر بأنفسنا إلَّا ونحن في طويريج[3]، فوجدنا خان الوقف[4] قَدْ غصَّ بما ابتلع مِن النَّاس، ولكن الله بمنِّه سهَّل لنا مِنْ أَمكنته ما قضت العادة على مَنْ طمع فيهِ باليأس، في الساعة العاشرة مِنْ ذلِكَ اليوم ارتفعت غبرة في السَّماء واضطربت الأَمواج، وغرق مِنَ السفن الصغار

(١) في الأصل: «جلابيبًا»، والصواب ما أثبتناه.
(٢) هود: ٤١.
(٣) طويريج: هي إحدى مدن محافظة كربلاء العراقيَّة، وهي مركز قضاء طويريج، وكانت طويريج تتبع سابقًا محافظة بابل. وأمَّا موقعها الجغرافي، فإنَّها تبعد حوالي ٢٥ كم شرق مدينة كربلاء، والمسافة نفسها تقريبًا غرب مدينة الحِلَّة، أي إنَّها في منتصف المسافة ما بين الحِلَّة وكربلاء.
(٤) خان الوقف: يقع في مركز مدينة الهنديَّة على ضفاف نهر الفرات اليمنى جنوب المدينة، وقد شيِّد الخان لإيواء قوافل المسافرين، وتمَّ بناؤه بأبعاد ٥٠ إلى ٦٠ مترًا. كان قريبًا من مياه نهر الفرات فجرفت جزءًا منه، ثمَّ هدِّمت بقاياه وأُزيلت من الوجود عند منتصف العقد الثَّالث من القرن الماضي، ويُذكر أَن الَّذي شيَّد الخان هو (محمَّد حسين خان) في القرن الثامن عشر الميلاديّ. من تراث المسيَّب الشعبيّ: ١٢.

مَـا غرق ونجا مِنْهَا مَا هو ناجٍ، فسـجدنا لله شـكرًا، وحمدنا الله مرَّةً بَعْـدَ أُخرى، حَيْثُ رزقنـا الوصول عَـلَى العَاجل، وَلَمْ يجعلنَا للحـوادث أَكلة آكل، وَقَدْ قَـدِم علينا في ذلِكَ اليـوم بعض مَنْ كانت بيننا وبينهُ مودة في سـالف الأَزمـان، فصنعنا معهُ مَا طبعت عَلَيْهِ الكرام مِنَ المعروف والإحسان، ولكن الإناء ينضح بما فيهِ[1]، واللئِيم لا يفي وَلَوْ كانت يـدك بفيـه، فأضمر لنا البغـي وَأَظهر الابتهـاج؛ فَلَمْ يبرح حتَّى مَسـخهُ الله ابن آوى[2] وسرق واحـدة ممَّـا عندنا مِـنَ الدجاج، ولمـا اكتحلت عين الشَّـمْس بأثمـد الغروب، وجعلـت نفس بياض الفضا لفقد وصالها تذوب، أَدَّينا تمام ما وجب علينا مِنَ الصَّلاة، وبعض مَا استحب مِنَ الأَذكار والتسبيحات.

ثُـمَّ نظمنا الود في سـلك النادِي نظم القـلادة، ورد إِلينا شـارد الأُنس حتَّى ملكنا زمامـه وقياده، ووفانا الزَّمان بعض مَا لنَا عَلَيْهِ مِـنَ الديون، وفك قبل أَن يغلق بيد الهمِّ مِـنْ نفوسـنا مَا هُو مرهون، ثُـمَّ نثرتنا بَعْدَ النظـم زيارتنا لبعض الإخـوان، وفرَّقنا بَعْدَ الجمْـع قضاء حقـوق الجيران، فخلعنـا بقدومنا عليْهِم أَطـمار السُـرُور، وأَدّوا مَا كَان يجب مِنْ حقِّ الزائِر عَلَى المزور، ثُمَّ صدع الشَّـيْخ مُحَمَّد عليّ صفاة القلوب بذكر صفات مَا جرى في الطُّفُوف، وجرَّ بِهِ إِلى الأَفئدة نار الحزن وأَجرى مِن الآماق كُلَّ دمعٍ ذرُوف، وفي الساعة الخامسة قَهرَنا سلطان النعاس، فقطع علينا الحديث والاستيناس، وَبَعْدَ أَن فَضَحَ الفجر بعمود الصبح هامة الظلام؛ وفضح الصبح كُلَّ معتنقي شوق وغرام، قمنا لصلاة الغداة، ودعونا ربَّ الأَرض والسَّماوات.

---

(١) ورد هذا في شعر شهاب الدِّين أَبو الفوارس المعروف بـ(حيص بيص):

فـحسـبـكـمُ هـذا الـتـفـاوتُ بيـنـنَـا وَكُـلُّ إنـاءٍ بـالَّـذي فـيـهِ يـنـضـحُ

مُعجم الأُدباء: ٣/ ١٣٥٥.

(٢) نوع من أَنواع الكلاب.

[الوصول إلى مشارف كربلاء ومقبرتها القديمة]

وَبَعْـدَ أَن سـقط البرقع عن وجه الغزالة وأَبصر كُلُّ شـاخص ظلَّـه وخياله، تهيَّأنا للرحيـل، واسـتعنَّا عليْهِ بالملـك الجليل، فأودعنـا الخفيف مِنَ الأَسـباب [عَلَى] ظهور الـدواب، وتركنـا الثقيل في المكان أَمانة بيـد بعض الأَحباب، ثُمَّ اشـتغلنا بلطم خدود المفـاوز بالأَقدام، ودسـنا بالنعال جبهات الربـوات والآكام، وَبَعْـدَ أَن طوينا مِنْ ثوب الأَرض مـا يبلغ بذراع التخمـين ثلاثة أَميال، قبضـت عَلَى أَذيال أَرديتنـا أَكف التعب والـكلال، حتَّـى كادت تردّنـا إِلى ورا، وكأَننـا إِذْ ذَاكَ نرجع القهقرى، فقـدم علينا مِنَ الأَصحـاب، محافظين عَلَى مَا معنا مِنَ الأَسـبابِ، مَنْ رضع صفو درَّة المكارم والمفاخر، السَّـيِّد الأَمجد السَّـيِّد باقر[1]، وَمَنْ هُو في سـباق مَيدان الفضل جـواد، الرجل الأَوحد الشَّـيْخ جواد[2]، والكامل الأديب، مُحْسِـن نجل الحاجِّ حبيب[3]، ورضيعَ لبان المجد والمفاخر، الشَّـيْخ تَقِيّ[4] وأَخوه الشَّـيْخ باقر[5]، وَتَخلَّفتُ أَنَا وَعِقـد قِلادة جِيد الدهر، وَدرَّة تَاج رأس الفخر ذو الشـأن العَلـيِّ، الأَخَ الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ، وَقُطب دائِرة الفضل، وَمَنْ هُوَ لِلمكرماتِ محل وَأَهْل، الأَخَ المحسن، السَّيِّد محسن[6].

وَقَـدْ حكـم التعـب عَلينا حُكْـمَ الزمان عَـلَى الكامـل بالتأخـير، فجعلنا نجلس للاسـتراحة تَارةً وَأُخرى نسـير، وَكُنَّا فِي الحالَين نتلو صُحُف المنادمات، نَقرأ مِنْ فرقان

(١) لم نظفر بترجمته.
(٢) الشَّيْخ جواد محبوبة، مرَّ ذِكره.
(٣) لم نظفر بترجمته.
(٤) الشَّيْخ تقي الطريحيّ، مرَّ ذِكره.
(٥) الشَّـيْخ باقـر آل الطريحـيّ: هو الشَّـيْخ باقر ابن الشَّـيْخ راضي الطريحيّ، أَحـد فُضلاء النَّجف وخطبائِهـا، كـان مـن الأَعضاء النشـطاء في التجمـع الأَدبيّ النَّجفـيّ المعروف باسـم (العشرة المبشَّرة). بيوتات نجفيَّة: ٩٣.
(٦) مرَّ ذِكره.

المسرَّات سورًا وآيات، وَلَكنَّ الأَخَ الشَّيْخ مُحَمَّد عليّ إِن سَرنَا فَهُوَ نديم وَصَاحب وَإِنْ جَلسنا- وَلَا عجب- نَرى مِنْهُ العجائِب، لأَنَّهُ قَبل أَن نستقرَّ عَلَى الأَرض يضرب عَنا صفحًا، وَيطوي عَنْ عَالم الوجود كَشحًا، ويجعل بيد النَّوْم زمامهُ وقياده، وَيتخذ البيداء مهدًا لَهُ والتُّراب مهادهُ، النَّوْم عِنْدَهُ نِعْمَ الفاكهة والزاد، وَصم الجنادل عِنْدَهُ نِعْمَ الوساد، وَكَأَنَّهُ لَمْ يطرق سمعهُ، قَول مَنْ رقَّق الله طبعهُ: [من الوافر]

إِذا كثر المنام فأيقظوني

فإن العمر ينقصه المنام[1]

وَعَنْدَ اعتدال النَّهار، اتَّقد وَهج الشَّمْس اتِّقاد ضرام النَّار، فهُناكَ ناجى قلوبنا الظمأ، وَملأَ أفئدتنا غيظًا وأَلمًا. فَبْعُدَتْ عَلينَا هُناكَ الشقة، وَلَمْ تخط أَرجلنا إِلَّا بالمشقَّة، حَتَّى خيِّل إِلينا أَنْ أَرجلنا لَا تتخطَّى، أَوْ أَنْ الأَرض لبعد المدى تحت أَقدامنا تتمطَّى، وَبَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي وردنا المقبرة القديمة، فعانقنا الحزم وصافحتنَا العزيمة، واطمأنَّ الجأش، وودَّعنا التعب والاستيحاش، وأَلقينا عصا المسير، إِذْ لَمْ يَبق لنَا إِلَّا أَيسر يسير، فَحَمدْنا ربَّ البيت والمشَّاعِر، وَتَلونَا قَول الشَّاعِر: [من الطويل]

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيابِ الْمُسَافِرُ[2]

وَكَانَ هُناك بقاقيل[3] كَانَتَ بضاعتهم نومي، وَقَدْ عَلتْ وجههُ صفرة الوجل فَجعلت النُّفُوس مِنَا إِلَيْهِ تومي، وَتَقُول القلوب هُوَ فِي هَذَا الوَقْت أَهل وَمحل، فَابتعنا مِنْهُ الكفاية، وَجَدنَا حَلاوتهُ قَدْ بَلغت الغاية، فَكَان عَلَى شدَّة الظمأ، أَلذ مِنْ رِضَاب

(١) كشكول البهائيّ: ٢/ ٥٢٥. صدر البيت في الكشكول ورد هكذا: «إذا غلب المنام فنبِّهوني».

(٢) البيت لمعقر بن حمار البارقي. مُعجم الشُّعراء: ١/ ٣٠.

(٣) جمع بقَّال.

مَعسـول اللُّمَى، فَما كَانَ إِلَّا اليسـير، [حتَّى] صَار مـا كَانَ، [فـ]نَجِدُ كَأنْ لَمْ يَكُن شَـيْئًا مَّذْكُورًا[ا][1]، وَبَعْدَمَا صَحونَا مِنَ النشـوة براح الراحة، وَقضينا وَطرًا مِنْ مُعانقة غواني الاستراحة، كلمتنا النُّفُوس النَّفسـية بلسان العزم والهمم، فكملت قلوبنا علمًا مِنْهَا بأَنْ الدُّنُـو مِـنَ الراحة بُعْدٌ عَنْ خُطة المجـد والكرم فَقَالتْ أَيرضَى مِنْكُم الآبـاء، أَنْ تَكُونُوا مُتوانـيْنَ وَقَدْ نجد القرنـاء، فَأسرعنا فِي القِيام غَيظًا مِنْ هَذَا المقـال، وَجَعَلنا نُمزق أَديم وجـه الأَرض بالنعال، وَقَدْ حَاكت الرِّيح لنَـا إِذْ ذاكَ مِنْ عهن[2] الأَرض أَثوابًا، بَعْدَ أَن نقشته بأنامل أَقدامِهَا الإنام ودقَّتهُ بِقوُس حَوافِرهَا الدواب.

[الوصول إلى مشهد الإمام الحُسين عليه السلام]

وَبَعْـدَ أَنْ تخطتِ الشَّـمْسُ دائِرة نصف النَّهار، بلغت بِنَـا مطايا الخَطا غايَّة الأَنجاد والأَغوار، فَدخلنا ولله المنّ مشـهد إمامنا الحُسـين عليه السلام، وَكُلٌّ مِنَّا يتذكر مَا جَرى فِيْهِ عَلَى آل الرسـول[عليهم السلام] كئِيبًا حزينًا[3]، فَنِحْنَا لتذكر تَلِكَ المصائِب نَوْحَ الحَمام، وَلَوْلاَ التَّقدير الإلهيّ بتأخير المُدَّة لقـضى الوجد والزفير علينا بالحمام، فيا لهَا نِواح مَا أَوجعها للقلوب، ورزايا مَا أَجلبهَا لنار الأَسـى والكروب، وَكَيْـفَ لا تَكُون كَذلِكَ، وَقَدْ أَقرحت أَجفان علي وفاطمة [عليهما السلام]، وأَبت أَن تترك مباسم رسول الله صلى الله عليه وآله باسمة.

[الإقامة في كربلاء]

وَبَعْـدَ أَن أَذِنَ لنا حاجب النوى بدخول ذَلِكَ المشـهد، وكانت الحال علينا بالتعب والكلال تشـهد، وجدنا أَصحابنا الَّذِين تقدَّمونا مع الأَسـباب، قَدْ أَجلسـهم الانتظار

(١) إفادة من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ الإنسان: ١.
(٢) عهن: العِهْنُ: الصُّوفُ المَصْبُوغُ أَلوانًا. لسان العرب: ١٣/ ٢٩٧.
(٣) في الأصل: «كئيب حزين»، والصواب ما أثبتناه.

بقدومنا مِنْ ذَلِكَ المشهد عَلَى الباب، بَعْدَ أَن استأجروا لنا دارًا في المحلَّة الجديدة، وَكَان سبب اختيارهم لها وجود مزايا فيْهَا عديدة، فمنها سعة الساحة، حتَّى كادت أَن تكُون أَكبر دور البلد مساحة، وَمِنْهَا أَنَّها تشمل مِنَ النخيل والأَشجار، عَلَى مَا لَمْ تَكُنْ تشتمل عَلَى مثلهِ دار.

[زيارة ضريح الحسين عليه السلام]

ثُمَّ ذهبنَا نتعطَّر بمرقد سيِّد شباب أَهل الجنَّة، وضريح منْ بكت لمقتله الإنس والجِنَّة، ونجعل الدخول لذلكَ الحرم المُقدَّس عن وهج جهنم جُنَّة، فلمَّا وقفنا على الباب، وَشَرَّفْنَا الشِّفاه[1] بلثم الأعتاب، لاح لنَا ذَلِكَ الضريح المُقدَّس، وَفَاحَ لَهُ مِنَ الطِّيب مَا هُوَ مِنَ المِسكِ الأَذفر أَزكى وأَنفس، فكان الدخول لِذَلِكَ الحرم معانقة لغادة معطار، وَلَقَدَ أَحسنْ فِي ذَلِكَ وَأَجَاد ولله درُّه المِهيار[2]، حَيْثُ قَالَ: [من المتقارب]

أَنشرك مَا صحب الزائرين
أَم المسكُ خالط تُرب الطُفوفِ؟[3]
كأنَّ ضريحك نشرُ الربيعْ
يمرُّ عليه نسيمُ الخريفِ[4]

ولمَّا اكتحلت برؤية ذلِكَ الضريح مِنَّا النواظر، غرَّدت بلابل الأَحزان فرقصت

(١) في الأصل: «الشفاء»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) مهيار الديلميّ: هو مهيار بن مَرْزَوَيْه الديلميّ، كان فاضلًا في المعقول والمنقول، أَديبًا شاعرًا ساحرًا للعقول، كاتبًا متفنِّنًا، وُلِدَ في الديلم في جنوب جيلان، على بحر قزوين، كان مجوسيًّا، وأَسلم سنة ٣٩٤هـ على يد الشَّريف الرضيّ. تُوُفِّي سنة ٤٢٨هـ. تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧٦، المنتظم ٨/ ٩٤، الطليعة: ٢/ ٣٧٨-٣٧٢.

(٣) في الديوان: ما حمل الزائرون.

(٤) في الديوان: هبَّت عليه. ديوان مهيار الديلميّ: ٢/ ٢٦٤.

الدموع[1] المتكاثر، وهيم همي فؤادي في فيافي الأَسى، وخيَّم وجدي بساحة كبدي مقيمًا لمأتم خامس أَصحاب الكسا، ولطمت الدموع خدِّي لطم الثكول، وَأَنشأت نَائِحة فكري عِبري وهي تقُول: [من الطويل]

خليلَيَّ هَلْ مِنْ وقفةٍ لكما معي
عَلَى جَدَثٍ أسقيهِ صَيِّبَ أدمعي[2]

ثمَّ إنا بَعْدَ ما قضينا حقَّ الزيارة رحنا إِلى الدار، فطاب لنا المكث فِيْهَا والقرار، والحمد لله ولهُ المنَّة عَلَى إتمام هذِهِ النِعم، إِذ أَغنانا عن ظهور الحمير وبطون السفين بساعد العزم ومساعدة القدم، وَكَان ذلِكَ اليوم هو الثَّامن مِنْ ذي الحجَّة، وبهِ انقطعت مخاصمة الأَقدام مع تَلِكَ المفاوز وتمَّت الحجَّة.

[ظهور كرامة لأَبي الفضل العبَّاس عليه السلام]

وفي ثاني ورودنا وهو يوم عرفة وقت الأَصيل، ظهر لأَبي الفضل [عليه السلام] فضلٌ كثر فيهِ القال والقِيل، وذلكَ أَن غُلامًا مِنَ العلويِّين قَدْ أَنكر بعض النَّاس نسبهُ، ويقال إِنَّهُ بعد أَن نُسبَ[3] إِلى غير آل الرسول نسبهُ، سأل[4] مِنْ فرع دوحة الإِمامة، أَن يجعل لصحَّة نسبه علامَة، فسقط عليْهِ في حال السؤال ممَّا علِّق في حرمه المُقدَّس سيف وكشكول، فاستدلَّ بسقوطهما عليْهِ في تِلكَ الحال بتلقِّي نسبه بالقبول، فكبر صغير شأنه وسما، وارتفع مِنَ الحضيض إِلى السَّما، حتَّى خُشي عليْهِ مِنَ الازدحام، ممَّن عليْهِ مِنْ أَوباش النَّاس مِنْ رَفْرَفٍ وحام، فأضيف إِلى ارتفاع الشأن ارتفاعًا في المكان، لتحظى بلثم

(١) في الأصل: «الدمع»، والصواب ما أَثبتناه.
(٢) الأبيات للمؤلف، وهذا البيت مطلع لقصيدة ذكرناها في مقدِّمة الكتاب.
(٣) في الأصل (نسبه)، والصواب ما أثبتناه.
(٤) في الأصل (فسأل)، والصواب ما أثبتناه.

وجنتيه الأَعين وتحرم مِنْ مصافحتـه يدان، فَكَانُوا ينظرونهُ مِنْ بعيد، نظر الصائِمِيْن إِلى هلال العيد.

[العودة إِلَى النَّجَفِ الأَشرف]

وفي صبيحة يوم الحادي عشـر عزمنا عَلَى لبس أَطمار السـفر، واشتغلنا بمقدِّمات المسـير؛ ولكـن مِـنْ لَمْ يسـاعده التوفيـق الإلهي لَمْ يجـده التَّقدير، عـلى أَن عـادة الزَّمان الجـري على عكـس المقصود، وجواد مـراد أَولى النُهى جامـح شرود، حتَّى أَن بعضهم غالـط في مقصود الدَّهْـر، وخال أَن الدَّهْر بذلِـكَ يفتر، فقال العبَّاس بـن الأَحنف[1]: [من الطويل]

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدارِ عنكُمْ لِتَقْرُبُوا
وَتَسْكُبُ عيناي الدُّمـوعَ لِتَجْمُدا[2]

وقال الباخرزيّ[3]: [من الكامل]

(١) أَبو الفضل العبَّاس بن الأحنف الحنفيّ ابن الأسـود بن طلحة، اليماميّ النجديّ، شـاعر عربيّ عبَّاسيّ. وُلِد نحو ١٠٣ هـ في اليمامة بنجد، وعِندما مات والده انتقل من نجد إِلى بغداد ونشأ بِها، وعـاش مُتنقِّلًا ما بين بغداد وخراسـان، قال ابن خلِّكان أَنَّهُ مات سـنة ١٩٢ هـ تقريباً، في اليوم الَّذي مات فيه الكسائيّ النَّحويّ المعروف، وأَن الرشيد أَمر المأمون بالصَّلاة عليهما. تُنظر ترجمته في: الشِّعر والشُّعراء: ٥٠٠-٥٠٣، طبقات الشُّعراء: ١/ ٢٥٣، تاريخ بغداد: ١٢/ ١٢٧، مُعجم الأُدباء: ٤/ ١٤٨١، وفيات الأَعيان: ٣/ ٢٠، سير أَعلام النبلاء: ٩/ ٨٩، الأَعلام: ١/ ٤٥.

(٢) ديوان الأحنف: ١٠٦.

(٣) الباخَرْزيّ: أَبو الحسـن عليّ بن الحسـن بن عليّ بن أَبي الطيِّب الباخرزيّ، أَديب من الشُّعراء الكتَّاب. من أَهل باخرز (من نواحي نيسـابور) تعلَّم بها وبنيسـابور، وقام برحلة واسعة في بلاد فـارس والعراق، وقُتـل في مجلس أُنس بباخرز سـنة (٤٦٧ هـ)، كان من كتَّاب الرسـائل، ولهُ علـم بالفقه والحديث، اشـتهر بكتابه (دميـة القصر وعصرة أَهل العصر)، ولهُ (ديوان شـعر). تُنظـر ترجمتـه في: معجم الأُدبـاء: ٤/ ١٦٨٢، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٨٧، سـير أَعلام النبلاء:=

ولطالما اخترتُ الفِراق مُغالطًا
وأحللتُ في استثمار غرسِ وِدادي
ورغبت عن ذكر الوصال لأنَّهَا
تبنى الأَمور عَلَى خلاف مرادي[1]

وَبَعْدَ أَن أَوجبنا على أَنفسنا المسير، رخصها عنهُ غلاء البغال والحمير، فعزمنا بعد تلك المُقدِّمات على أَنا في ذلِكَ اليوم نُقيم، وَكَمْ مِنْ مُقدِّمات تكُون غير تامةٍ فيكُون شكلها عقيمًا[ـا]، وَبَعْدَ أَن عزمنا على البقاء ولا بقاء، لقينا مَنْ ارتدى مِنَ الفضل والكرم بأحسن رداء، المنزَّه عن كُلِّ عيبة وسُبَّة، السَّيِّد الأَجل السَّيِّد جبر سنبة[2]، فدعانا إِلى طعامه ليلًا، فما أَجبناه إِلَّا أَن أَبدى بعض مَنْ لا يسعنا رده مِنْ أَصحابنا إِلى ذلك ميلًا، وَبَعْدَ أَن ستر الفضاء جمال وجهه بِبَراقع الغياهب، وتزيَّنت السَّماء بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ[3]، حثنا ما سبق مِنَّا مِن الإجابة لهُ على الرواح إِلَيْهِ، فرأينا منهُ مَا أَوجب عليْهِ المدح لهُ والثناء عليْهِ، وَبَعْدَ أَن أَلقت الشَّمْسُ عن وجهها الخمار، وأَحمرَّ وجهها خجلًا لما أَطال النظر إِليها النظار.

صبيحة يوم الثَّاني عشر مِنْ ذي الحجَّة لَمْ يبق لنا عذر مِنَ المسير وانقطعت المحجة، فارتقينا ظهور المطيِّ، وطوينا ثوب الأَرض بحوافر الحمير طيًّا[ـا]، وسقنا أَحاديث الهوى، فرحين بصرم حبل وريد النوى، فَلَمْ نزلْ سائِرين بتلك السيرة، حتَّى وردنا طويريج قُبيل الظهيرة، فنزلنا حجرتنا الَّتِي سكناها في الذَّهَاب مِنْ ذلك الخان، وَمِنَ الغرائِب أَن الدَّهْر الخائِن وفانا مرادنا وَمَا خان؛ لأنَّ عادته

=١٨/ ٣٦٣، الأعلام: ٤/ ٢٧٢.
(١) ديوان الباخرزيّ: ١٢٠.
(٢) لم نظفر على ترجمته.
(٣) إفادة منقوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ الصافات: ٦.

أَن يـرد واردِيـه ظوامـي، وأَظـنُّ أَن هـذا منهُ رميـة مِـنْ غـير رامٍ، وَإِلَّا هُوَ كَـمَا يَقُولُ الشَّاعِر[1]: [من الكامل]

أَظْـمَـتْـنـيَ الـدُّنْـيـا فَـلَـمَّا جِـئْـتُـهَـا
مُسْتَسْقِيًا مَـطَـرَتْ عَـلـيَّ مَـصـائِبَـا[2]

وَبَعْـدَ أَن لَبِـسَ الأَفـق أَثواب الحـداد، وتجلببَ الفضـاء لفقد الشَّـمْسِ جلابيب السـواد، ركبنا في السـفينة عَلَى اسـتعجال، لأَنَّ جمُوحَ الرِّيح الشـماليّ عَلَى صَدر الفَضاء جَرى وَجَال.

فلمَّا نصب شَرِاعَهَا الملاح، حَيْثُ استيقن أَن في نصبهِ النجاح، انطبع في مرآة فكري، مَا أَنشدهُ الشَّاعِر العمريّ[3]: [من الطويل]

بنـا مِـنْ بـنـات المـاءِ لـلـكـوفـة الـغـرَّا
سبُوحٌ سَرَتْ ليلًا فَسُبحانَ مَنْ أَسْرَى
تمـدُّ جَـنـاحًـا مِـنْ قَـوادِمِـهِ الـصِّـبَـا
تَـرومُ بـأكـنـافِ الـغَـرِيِّ لـهَا وَكْـرَا[4]

فَلَمْ تزل تُسـمعنا أرعاد صدرها حين شرق بالماء، وتُرينا متباعد منازلنا في الذَّهَاب بسرعة جريها مكانًا سواء[5]، ونحن إِذ ذاك نطرد هوام الهمِّ بنغمة أَوتار المنادمة، ونعانق

(١) يُشير إلى المتنبِّي.
(٢) ديوان المتنبِّي: ١١٠.
(٣) عبد الباقي بن سليمان بن أَحمد العمريّ الفاروقيّ الموصلِّيّ، أَديب شاعر، مؤرِّخ، وُلِدَ بالموصل، وولي فيها ثمَّ ببغداد أعمالًا حكوميَّة، لهُ ديوان شـعر باسـم (التريـاق الفاروقيّ)، و(ديوان أهلَّة الأفكار)، وكتاب (نزهة الدهر) وغيرها. تُوُفِّي ببغداد سنة ١٢٧٨هـ، وقيل سنة ١٢٧٩هـ. تُنظر ترجمته في: تاريخ الأداب العربيَّة: ١/ ٩٩، الأَعلام: ٣/ ٢٧١.
(٤) الباقيات الصالحات: ١٩.
(٥) إفادة من قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ طه: ٥٨.

غـواني الأَنس، وَقَدْ سـفكنا مِنْ رقيب الكدر دمه، ونحتسـي كـؤوس البشر بقربنا مِنَ الأَهل والوطن، ونذود بالأَفراح عن العيون إبل الوسن، وكان القمر يتهلَّل وجهه فرحًا بصوته مُذ رأى عكسـها في مـرآة الماء، والأَغصان يعانق بعضهـا بعضًا، إذ هزَّها طربٌ مِـنْ مصافحة الهواء، فَلَمْ تزل نفوسـنا بحبِّ مَا نحن فِيْهِ مشـغوفةً، حَتَّى دخلنا بَعْدَ أَن انتصف اللَّيْل جسـر الكوفة، فحكم أَنس الاجتماع أَن لا نورد صوادي الأَجفان عذب الرقاد، ولا نسكب كأس الهنا بتوسُّد المخاد، فلمَّا أَزمع اللَّيْل على الرواح، وصاح الدِّيك محيِيًـا غرَّة الصَّباح، صلَّينا الفريضة، والأَجفان إذ ذاكَ مِنْ علَّة السـهر مريضة، وبعد أَن أَسفرت الشَّمْس عَنْ وجههَا الحسن، واستشرف للنظر إليْهِ مَنْ بحبِّه افتتن، صبيحة يوم الثَّالث عَشْرَ، ركِبنَا رواحل السفر، فَمَا كَانَ إِلَّا القَلِيل وردنا سالمين إِلَى [الـ]أَهَل سالمين، والحمد لله ربِّ العالمين[1].

[تـمَّت الرِّحلة الـحُسَيْنِيَّة]

(١) شعراء الحلَّة: ٤/ ٤٢١-٤٢٨.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة أو الباقيات الصالحات في تتميم روضات الجنّات، السَّيِّد مُحَمَّد مهدِيّ الموسويّ الأَصفهانيّ الكاظميّ، مؤسَّسة تراث الشيعة، قم، ط١، ٢٠١٥م.

٢. أدب الطفِّ أو شعراء الحُسين من القرن الأَوَّل الهجريّ حتَّى القرن الرَّابع عشر، جواد شبَّر، دار الطباعة، بيروت، ١٩٧٠-١٩٧٨م.

٣. أروع ما قيل في محمَّد وآل بيته عليهم السلام، محسن عقيل، دار المحجَّة البيضاء، بيروت، ١٩٩٩م.

٤. أعلام الشيعة، الشَّيْخ الدُّكتور جعفر المهاجر، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٥. الأَعلام، خير الدِّين الزِركليّ، ط٦، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦. أعيان الشيعة، السَّيِّد محسن الأَمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥، ١٩٩٨م.

٧. الأمالي، الشَّيْخ الطوسيّ، تحقيق، قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، ط١، ١٤١٤هـ.

٨. البابليَّات، الشَّيْخ مُحَمَّد عَليّ اليعقوبيّ، النَّجف الأَشرف، المطبعة العلميَّة، ١٩٥٤م-١٩٥٥م.

٩. بحار الأَنوار الجامعة لدرر الأَخبار الأَئِمَّة الأَطهار، العَلَّامة الشَّـيْخ مُحَمَّد باقر المجلسيّ، دار احياء التراث العربيّ، بيروت.
١٠. بدائِـع البدائـه، عليّ بـن ظافـر الأَزديّ، تحقيق محمَّـد أَبو الفضـل إِبراهيم، القاهرة، ١٩٧٠م.
١١. تاريخ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر والربع الأَوَّل من القرن العشرين، رزق الله ابن يوسـف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، دار المشرق، بيروت، ط٣.
١٢. تاريخ الحِلَّة، الشَّـيْخ يوسـف كركوش، النَّجـف الأَشرف، المطبعة الحيدريَّة، ١٩٦٥م.
١٣. تاريـخ الطبريّ، تاريخ الرسـل والملـوك، محمَّد بن جرير بـن يزيد بن كثير بن غالب الآماليّ، أَبو جعفر الطبريّ، دار التراث، بيروت،ط٢، ١٣٨٧هـ.
١٤. تاريـخ بغـداد أَو مدينـة السَّـلام، أَبي بكر أَحمد بـن علي الخطيـب البغداديّ، دراسـة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطـا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
١٥. تجار ب العُلماء في عصور الغيبة، كمال السَّيِّد، إيران، ط١، ٢٠٠٦م.
١٦. تفسـير كبـير منهـج الصادقين في الـزام المخالفـين (فـارسيّ)، المُـلَّا فتح الله الكاشانيّ، محمَّد حسن علمي، إيران، ١٣٣٣ش.
١٧. ثواب الأَعمال، الشَّـيْخ الصدوق، تحقيق السَّـيِّد محمَّد مهدي الخرسان، أمير، إيران، ط٢، ١٣٦٨ش.
١٨. جمهرة الأَمثال، أَبو هلال الحسـن بن عبد الله بن سـهل بن سـعيد بن يحيى ابن مهران العسكريّ، دار الفكر، بيروت.

١٩. ديوان ابن النبيه المصريّ، تحقيق عمر مُحَمَّد الأَسعد، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٠. ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. عمر فاروق الطبَّاع، دار القلم، بيروت.

٢١. ديوان الأَبيورديّ، المطبعة العثمانيَّة، لبنان، ١٣١٧هـ.

٢٢. ديوان الباخرزيّ، دار صادر، بيروت.

٢٣. ديوان الباقيات الصالحات، عبد الباقر العمريّ الفاروقيّ الموصلِّيّ، عني بتصحيحه وضبط أَبياته أَبو مصعب البصريّ، منشورات الشَّريف الرضيّ، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٤. ديوان الخليعيّ، عبد العزيز بن أَبي محمَّد الخلعيّ الموصلِّيّ الحِلِّيّ، تحقيق د. سعد الحدَّاد، دار الضياء، ط١، ٢٠١٠م.

٢٥. ديوان السَّيِّد حيدر الحِلِّيّ، تحقيق، د. مضر سُليمان الحِلِّيّ، الأَعلمي، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

٢٦. ديوان الشَّريف الرضيّ ﷺ، تحقيق د. محمود مصطفى حلَّاوي، دار الأَرقم ابن أَبي الأَرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٧. ديوان العبَّاس بن الأَحنف، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجيّ، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٨. ديوان المتنبِّي، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩. ديوان المهلَّبيّ، تحقيق شاكر العاشور، دار الصادر، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٣٠. ديوان النابغة الذبيانيّ، شرح وتعليق د. حنا نصر الحيتي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٣١. ديـوان قيس بن الملـوَّح، رواية أَبي بكر الوالبيّ، دراسـة وتعليق يُسـرى عبد الغنيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٣٢. ديـوان مهيـار الديلميّ، أَبو الحسـن مهيار بـن مرزويه الديلميّ، منشـورات الشَّريف الرضيّ، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٣. الذريعة إِلى تصانيف الشـيعة، العلَّامة الشَّـيْخ آغا بـزرك الطهرانيّ، دار إِحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٤. رجـال النجاشيّ، أَبـو العبَّاس أَحمـد بن عليّ بـن أَحمد ابن العبَّـاس النجاشيّ الأَسديّ الكوفيّ، شركة الأَعلميّ، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٣٥. زبدة التفاسير، المُلَّا فتح الله الكاشانيّ، مؤسَّسة المعارف، قم، ط١، ١٤٢٣هـ.
٣٦. سـير أَعلام النُّبلاء، الحافظ شمس الدِّين محمَّد بن أَحمد بن عثمان الذهبيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
٣٧. شرح ديوان أَبي تـمَّام بِشـرح الخطيب التبريزيّ، تحقيـق محمَّد عبده عزَّام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
٣٨. الشِّعر والشُّعراء، أَبو محمَّد عبد الله بن مُسلم بن قتيبة الدينوريّ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
٣٩. شُـعراء الحِلَّـة أَو البابليَّـات، الشَّـيْخ عليّ الخاقـانيّ، دار الأَندلـس، بيروت، ١٩٦٤م.
٤٠. شـعراء الغريّ أَو النَّجفيَّات، الشَّـيْخ عليّ الخاقانيّ، المطبعة الحيدريَّة، النَّجف الأَشرف، ط١، ١٩٥٤م.
٤١. شُـعراء عبَّاسـيُّون، د. داود سـلُّوم، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيَّة، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٢. الصِّحـاح، إسـماعيل بن حمَّاد الجوهـريّ، تحقيق أَحمد عبد الغفـور عطَّار، دار العلم، لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.
٤٣. طبقات الشُّـعراء، عبد الله بن محمَّد ابن المعتزِّ العبَّاسيّ، تحقيق عبد الستَّار أَحمد فرَّاج، دار المعارف، القاهرة، ط٣.
٤٤. الطليعة من شُـعراء الشـيعة، العلَّامة الشَّيْخ مُحَمَّد السـماوي، تحقيق د. كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٤٥. فقهـاء الفيحاء أَو تطـوُّر الحركة الفكريَّة في الحِلَّة، العلَّامة السَّـيِّد هادي كمال الدِّين الحِلِّيّ، ج٢، مطبعة الزين.
٤٦. فهرس التُّراث، السَّيِّد مُحَمَّد حسين الحُسينيّ الجلاليّ، دار الولاء، بيروت، ط٤، ١٤٣٦هـ.
٤٧. فوات الوفيات، محمَّد بن شاكر بن أَحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١.
٤٨. كامـل الزيـارات، جعفر بن محمَّد بن قولويه، تحقيق الشَّـيْخ جـواد القيُّوميّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، ١٤١٧هـ.
٤٩. كشـكول، محمَّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثيّ العامليّ المشهور بالبهائيّ، تحقيق السَّـيِّد محمَّد السَّيِّج حسـين المعلِّم، المكتبة الحيدريَّة، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٢٧هـ.
٥٠. الكُنـى والألقـاب، المحدِّث الشَّـيْخ عبَّـاس القمِّيّ، تحقيق مؤسَّسـة النَّشـرِ الإسلاميّ، ط٣، ١٤٣٤هـ.
٥١. لسان العرب، أَبو الفضل جمال الدِّين محمَّد ابن منظر الإفريقيّ المصـريّ، أَدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٥٢. ماضي النَّجف وحاضرها، الشَّـيْخ جعفر الشَّيْخ باقر آل محبوبة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
٥٣. مجالـس المؤمنـين، نـور الله بـن شريـف الشوشـتريّ، المكتبـة الإسـلاميَّة، طهران.
٥٤. مسـالك الأَبصار في ممالـك الأَمصار، لإبن فضـل الله العمـريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٥٥. المسـتطرف في كُلِّ فنٍّ مسـتظرف، شـهاب الدِّيـن مُحَمَّد بن أَحمد الأَبشـبهيّ، تحقيق، مُحَمَّد خير طعمة الحلبيّ، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٥٦. مشاهير المدفونين في الصَّحن العلوي الشَّريف، كاظم عبُّود الفتلاويّ، مكتبة الروضة الحيدريَّة، قم، ط٢، ٢٠٠٦م.
٥٧. معارف الرجال في تراجم العُلماء والأُدباء، الشَّـيْخ مُحَمَّد حسـين حرز الدِّين، ط١، منشورات المرعشي النَّجفيّ، إيران، ١٤٠٥هـ.
٥٨. مُعجـم الأُدباء (إرشـاد الأَريب إِلى معرفـة الأَديب)، شـهاب الدِّين أَبو عبد الله ياقـوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، تحقيق إحسـان عبَّـاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٣م.
٥٩. مُعجم البلدان، شهاب الدِّين أَبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
٦٠. مُعجـم الشُّـعراء، محمَّد بـن عمـران المرزبانيّ، تحقيـق وتتمَّـة د. عبَّاس هاني الچرَّاخ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م.
٦١. مُعجم المصطلحـات والأَلفاظ الفقهيَّـة، محمود عبد الرّحمن عبـد المنعم، دار الفضيلة، القاهرة.

٦٢. مُعجم المطبوعات النَّجفية مُنذ دخول الطباعة إلى النَّجف حتَّى الآن، مُحَمَّد هادي الأَمينيّ، مطبعة الآداب، النَّجف الأَشرف، ط١، ١٩٦٦م.
٦٣. مُعجم المؤلِّفين العراقيِّين، كوركيس عوَّاد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
٦٤. مُعجم رجال الفكر والأَدب في النَّجف خلال أَلف عام، د. مُحَمَّد هادي الأَمينيّ، ط٢، دار الكتاب الإسلاميِّ، بيروت، ١٩٩٢م.
٦٥. مُعجم مقايس اللُّغة، أَبو الحسين أَحمد بن فارس بن زكريَّا، تحقيق وضبط عبد السَّلام محمَّد هارون، مكتبة الأَعلام الإسلاميّ، طهران، ١٤٠٤هـ.
٦٦. مُعجم مؤلِّفي الشيعة، عليّ الفاضل القائينيّ النَّجفيّ، ط١، منشورات وزارة الإرشاد الإسلاميّ، ط١، ١٣٠٥هـ.
٦٧. من أَوراق الشَّيْخ مُحَمَّد رضا المظفر، إِعداد وتعليق مُحَمَّد رضا القاموسيّ، المكتبة العصريَّة، بغداد، ٢٠١٤ م.
٦٨. من تُراث المسيَّب الشعبيّ، جواد عبد الكاظم محسن، مكتب أَحمد الدبَّاغ، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م.
٦٩. المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك، جمال الدِّين أَبو الفرج عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ، تحقيق محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٧٠. موسوعة تاريخ القزوينيّ، د. جودت القزوينيّ، الخزائن لإحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
٧١. نشوة الشمول في السفر إِلى إسلامبول، شهاب الدِّين الالوسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٧م.

٧٢. نقباء البشر، آغا بُزرك الطهرانيّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
٧٣. الوافي بالوفيات، صلاح الدِّين خليل بن أَيبك الصَّفديّ، حقَّقه وعلَّق عليه أَبو عبد الله جلال الأَسيوطيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٧٤. وسائل الشيعة، الحرُّ العامليّ، تحقيق ونشر مؤسَّسة آل البيت لإِحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٧٥. وفيات الأَعيان وأنباء أبناء الزمان، أَحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د. إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠١٣م.
٧٦. يتمية الدهر في محاسن أَهل العصر، أَبي منصور عبد الملك الثعالبيّ النيسابوريّ، شرح وتحقيق د. مفيد مُحَمَّد قمية، دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٩٨٣م.

المصادر المخطوطة:

١. الروض النضير في شُعراء القرن المتأخر والأَخير، جعفر النقديّ.
٢. آل نظر عليّ التَّميميّ الحِلِّيّ، سيرهم، دروهم، آثارهم، مروان نظر عليّ الحِلِّيّ.
٣. الدار الفاطميَّة من تُراث الأُسرة القزوينيَّة في الحِلَّة الفيحاء، مروان نظر عليّ الحِلِّيّ.

الدوريات:

١. مجلَّة البيان، السنة الثَّانية، العدد ٣٢، ١٩٤٧م، النَّجف الأَشرف.
٢. مجلَّة الموسوم، بيوتات نجفيَّة وزعامات عراقيَّة، رئيس تحريرها محمَّد سعيد الطريحيّ، العدد ١٣٠.

نافذةُ التُّراثِ الحِلِّيّ

الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحلِّيّ (ت ٧٢٦هـ)

إصدار: مركز تراث الحِلَّة/العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

قراءة وتوصيف

م. د. محمَّد حليم حسن الكرويّ

مركز تراث الحِلَّة

The Mens' Encyclopedia of Allama Al-Hilli

(D. 726 AH.)

Issued by: Al-Hilla Heritage Center/Al-Abbas Holy Shrine

Read and Describe

Asst. Dr. Mohammed Halim Hassan Al-Karawi

Al-Hilla Heritage Center

في علم الرجال

كان لوفاة الرسول ﷺ أثر كبير في الحياة الإسلاميَّة، فظهرت كثير من المظاهر التي تحتاج إلى التوثيق والضبط، ومن أهمِّها أقوال الرسول ﷺ وأحاديثه، إذ نُقلت بألفاظٍ وأشكالٍ متعدِّدةٍ، إذ نقلهُ رواةٌ بألفاظٍ وأشكالٍ عُدَّ كذبًا على الرسول ﷺ، وبعضهم كان موضع ثقة لا يغيِّر، أو يغيِّر من دون إحداث خلل في مضمون النَّصِّ ومستواه؛ ولأجل ضبط أقوال الرسول ﷺ وتوثيقها، بدأت طائفة من العلماء بوضع قواعد تضبط هذا النوع من العلوم، فظهر علم الرِّجال علمًا مدوَّنًا، له رجالٌ وفرسانٌ قاموا بهذه المهمَّة الشَّاقَّة؛ و عرَّفوا علم الرِّجال بأنَّه: «علمٌ يبحث فيه عن أحوال الرواة من حيث اتِّصافهم بشرائط قبول أخبارهم وعدمه»[1].

وهو أيضًا: «العلم بأحوال رواة الخبر الواحد ذاتًا، ووصفًا، ومدحًا، وقدحًا، وما في حكمها»، هو: «ما وُضع لمعرفة الحديث المعتبر عن غيره»[2].

ويرى المحقِّق المامقانيّ: «إنَّه العلم الباحث عن رواة الأخبار الواردة عن رؤساء الدين، من حيث الأحوال التي لها مدخل في الردِّ والقبول، وتميُّز ذواتهم عند الاشتباه»[3].

(١) كلِّيَّاتٌ في علم الرِّجال: ١١.

(٢) توضيح المقال في علم الرجال: ٢٩-٣٢، رسائل في دراية الحديث: ٢/ ٨١-٨٢، كلِّيَّات في علم الرجال: ١١.

(٣) تنقيح المقال: ١/ ١٧٢-١٧٣.

فائدة علم الرجال

يسعى علم الرجال إلى التعرُّف إلى أحوال الرواة من حيث كونهم عدولًا أو غير عدولٍ، موثَّقين أو غير موثَّقين، ممدوحين أو مذمومين، أو مهمَلين، أو مجهولين، والاطِّلاع على مشايخهم وتلاميذهم، وحيواتهم، وأعصارهم، وطبقاتهم في الرواية؛ حتَّى يُعرف المرسل عن المسند، ويميَّز المشترك، إلى غير ذلك ممَّا يتوقَّف عليه قبول الخبر(١).

قال العلَّامة الحِلِّيّ في مقدِّمة خلاصة الأقوال: «إنَّ العلم بحال الرواة من أساس الأحكام الشرعيَّة، وعليه تُبْتنَى القواعد السَّمعيَّة، ويجب على كلِّ مجتهدٍ معرفتُه وعِلْمُه، ولا يسوغ له تركه وجهله؛ إذ أكثر الأحكام مُستفادة من الأخبار النبويَّة والروايات عن الأئمَّة المهديَّة- عليهم أفضل الصلوات وأكرم التحيَّات- فلا بدَّ من معرفة الطريق إليهم، إذ روى مشايخنا رحمهم الله عن الثقة وغيره، ومَن يُعمل بروايته، ومَن لا يجوز الاعتماد على نقله»(٢).

ومن بين الكتب المهمَّة في هذا الميدان، والذي ظهر لنا متكاملًا من ناحية التنظير والتطبيق، كتاب الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٧هـ)، والذي صدر عام (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م) عن مركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، وقد حقَّقه الشيخ محمَّد باقر ملكيان، بإشرافٍ مباشرٍ من وحدة التحقيق في مركز تراث الحِلَّة، وقد فاز الكتاب في مؤتمر (سال حوزة) سنة (٢٠١٩م)، وكُرِّم مركز تراث الحِلَّة عنه بوصفه أفضل موسوعة في المسابقة.

كان منهج المحقِّق يقوم على مقابلة النَّصِّ وتدقيقه وتصحيحه، ثمَّ تقديم تراجم

(١) كلِّيَّات في علم الرجال: ١١-١٢.
(٢) خلاصة الأقوال، مقدِّمة العلَّامة الحلِّيّ: ١/ ١٢٥، وما بعدها.

شـاملة للرجال والمصطلحات، وكلُّ ما يحتاجـه القارئ، وقد بيَّن مواقع القوَّة في رجال العلَّامـة الحِلِّيّ، ثمَّ بـيَّن المؤاخذات على هذه التآليف، ولم يكتـفِ بذلك، بل درس علم الرجـال وبعض قضاياه في جزءٍ خاصٍّ أسـماه المباني الرجاليَّة، وقد أُلـحِق بالموسـوعة؛ لتكـون الصـورة متكاملة لـدى القارئ في الميـدان الرجاليّ. وقد ذيِّلت هذه الموسـوعة بمجموعة كبيرة من الفهارس الفنيَّة، بما حوته نصوص العلَّامة الحلِّيّ، ممَّا يرشد القارئ إلى الشـخصيَّات والأبيات الشـعريَّة والآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة، وغيرها من الفهارس التي تسهِّل عمل القارئ.

تتكوَّن الموسـوعة من خمسة أجزاء، تنوَّعت فيها المضامين والمعطيات التي تُقدِّمها، لكن جميعها تعمل في ميدان علم الرجال، وهي:

١. كتاب إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة:

وهو كتابٌ مختصرٌ يبيِّن فيه العلَّامة الحِلِّيّ ضبط ألفاظ أسماء الرواة، ورجال الإسناد وأعلام الحديث، وضبط أسـماء آبائهم، ونَسَـبَهُم الذي عادةً يرجع إلى اسم البلاد التي يسكنونها، أو حِرفة يعملون بها، أو اسم جدٍّ يتلقَّبون به.

ثمَّ إنَّ الكتاب، وإن كان موضوعه ضبط أسـماء الرواة ونحوه من المباحث، إلَّا أنَّ العلَّامة الحلِّيّ رحمه الله قد يذكر في الكتاب ما لا يرتبط بالموضوع؛ كالبحث عن كتاب الراوي، ووثاقته أو ضعفه، ومذهبه... إلخ[1].

اتَّبـع العلَّامة الحلِّيّ الترتيب الهجائيّ في تنظيم عنوانات كتاب (إيضاح الاشـتباه)، إلَّا أنَّه رتَّب عناوين الكتاب بحسـب الحرف الأوَّل من الاسـم فقط، من دون الاهتمام بالثـاني والثالـث، فهو يذكر في حرف الباء من يبدأ اسـمه بهذا الحـرف، ولا يلتفت إلى

(١) الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ (إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة): ١/ ٧٤.

ما بعد الحرف الأوَّل، وهكذا لبقيَّة الحروف[١].

اعتمد الحِلِّيّ على مجموعة من المصادر في تأليفه لهذا الكتاب، صرَّح ببعضها، وضمر بعضٌ آخر، فممَّا صرَّح به نقله عن الشيخ الطوسيّ، والدار قطنيّ، والسيِّد صفيّ الدين محمَّد بن معد الموسويّ، وغيرهم، وأيضًا نقل عن الشيخ الطوسيّ من رجاله وفهرسته، لكنَّه لم يصرِّح بذلك، وكذا فعل مع النجاشيّ في رجاله؛ إذ ترد أسماء الرواة وآبائهم ونسبهم مشابهًا لما ورد في رجال النجاشيّ، على خلاف غيرها من المصادر الرجاليَّة[٢].

ونظرًا لأهميَّة هذا الكتاب في ضبط أسماء الرواة، وتصحيح المصحَّف والمزوَّر منها، نقل منه كثيرٌ من علماء الرجال، وهناك جماعة استندوا إليه كثيرًا، منهم (الشهيد الثاني، السيِّد مصطفى التفرشيّ، المحقِّق النراقيّ، السيِّد محسن الأمين)، وغيرهم[٣].

وقد فرغ من تأليفه في يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة سنة (٧٠٧هـ)، وبذلك تكون الخلاصة سابقة لهذا الكتاب بـ: أربع عشرة سنة[٤].

جاء هذا الجزء من الموسوعة الرجاليَّة في (٤١٦) صحيفة، وقد اعتمد على خمس نسخ في تحقيق هذا الجزء، الأمر الذي جعل الهامش حافلًا بالمداخلات التحقيقيَّة.

٢. كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال:

هو كتاب مختصر، ذكر فيه مصنِّفه العلَّامة الحلِّيّ خلاصة ما في المصادر الرجاليَّة من الجرح والتعديل حول الرواة، وقد جاء ضمن الموسوعة الرجاليَّة وبثلاثة أجزاء، ابتداء

(١) الموسوعة الرجاليَّة للعلَّامة الحِلِّيّ (إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة): ١/ ٧٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٨١-٨٣.
(٤) الموسوعة الرجاليَّة (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال): ٢/ ٧٦.

من (٢) إلى (٤)، وهو على قسمَين:

- في مـن يعتمد عليه العلَّامة الحِـلِّيّ ويوثِّقه، (وجاء هذا الـكلام في الجزء الثاني والثالث).
- في من لا يعتمد عليه ولا يوثِّقه، (وجاء في الجزء الرابع من الموسوعة).

قـال العلَّامة الحِـلِّيّ في مقدِّمة الكتاب مبيِّنًا سـبب تأليف هذا الكتـاب: «إنَّ العلم بحال الرواة من أساس الأحكام الشرعيَّة، وعليه تُبتنى القواعد السمعيَّة، يجب على كلِّ مجتهدٍ معرفته وعلمه، ولا يسـوَّغ له تركه وجهله؛ إذ أكثر الأحكام مستفادة من الأخبار النبويَّـة والروايات عـن الأئمَّة المهديَّـة- عليهم أفضـل الصلوات وأكـرم التحيَّات- فـلا بدَّ من معرفة الطريق إليهم، حيث روى مشـايخنا رحمهم الله عـن الثقة وغيره، ومَن يُعمل بروايته، ومَن لا يجوز الاعتماد على نقله.

فدعانـا ذلك إلى تصنيفٍ مختصرٍ في بيـان حال الرواة، ومن يُعتمد عليه، ومن تُترك روايته، مع أنَّ مشايخنا السابقين- رضوان الله عليهم أجمعين- صنَّفوا كتبًا متعدِّدة في هذا الفـنّ، إلَّا أنَّ بعضهم طوَّل غاية التطويل مع إهمـال الحال في ما نقله، وبعضهم اختصر غاية الاختصار، ولم يسـلك أحد النهج الذي سـلكناه في هذا الكتاب، ومن وقف عليه عرف منزلته وقدره، وتميُّزه عمَّا صنَّفه المتقدِّمون»[1].

ثـمَّ إنَّ الكتاب، وإن كان موضوعه الجرح والتعديـل، ونحوه من المباحث، إلَّا أنَّ العلَّامة الحلِّيّ قد يذكر في الكتاب ضبط أسماء الرواة؛ فعلى سبيل المثال لاحِظ:

* **إبراهيـم بـن نُعَيم**- بضمِّ النون وفتح العين غير المعجمة، وإسـكان الياء المنقَّطة تحتهـا نقطتـان- **العبـديّ الكنـانيّ**... يكنَّـى: أبـا الصَّبَّاح، بفتـح الصاد غـير المعجمة

(١) الموسوعة الرجاليَّة (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال)، مقدِّمة العلَّامة الحِلِّيّ: ٢/ ١٢٥.

وتشديدها، وتشديد الباء المنقَّطة تحتها نقطة[١].

رتَّب العلَّامة الحِلِّيّ الكتاب على قسمَين وخاتمة:

- **القسم الأوَّل**: في من اعتمد على روايته، أو يترجَّح عندي قبول قوله.
- **القسم الثاني**: في من تركتُ روايته، أو توقَّفت عليه[٢]، وقد رتَّب كلَّ قسمٍ على حروف المعجم، تقريبًا للمادَّة، وتسهيلًا للقارئ.

وقد التزم العلَّامة الحلِّيّ الترتيب الهجائيّ في تنظيم العناوين، إلَّا أنَّه رحمه الله رتَّب عناوين الكتاب بحسب الحرف الأوَّل من الاسم فقط، من دون الثاني والثالث، فهو يذكر في حرف الباء مثلًا من يبدأ اسمه بهذا الحرف، ولا يلتفت إلى ما بعد الحرف الأوَّل، وهكذا بالنسبة لبقيَّة الحروف[٣].

أمَّا مصادره في هذا الجزء من الموسوعة الرجالية، فهي: (كتب الشيخ الطوسيّ، رجال النجاشيّ، رجال البرقيّ، رجال الكشِّيّ، كتب الشيخ الصدوق، كتب الكُلينيّ، معالم العلماء لابن شهرآشوب، كتب ابن الغضائريّ)[٤]، وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها في تصنيف كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.

يشتمل كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال على خصائص ميَّزته بين سائر كتب الرجال، وهي:

أوَّلًا: إنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قام بالتفريق بين الرواة- بحسب جرحهم وتعديلهم- في

(١) الموسوعة الرجاليَّة (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال)، مقدِّمة العلَّامة الحِلِّيّ: ٢/ ١٣٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢/ ١٢٦.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٧.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٨، وما بعدها.

كتابٍ واحدٍ، ولكن ملاكه في التقسيم ليس ورود الجرح والتعديل في الراوي فحسب، وإلَّا كان عليه ذِكر الراوي بمجرَّد ورودِ مدح فيه في قسم الممدوحين، وذكره في الضعفاء بمجرَّد ورودِ ذمٍّ فيه، كما نلاحظ ذلك في بعض مصادر رجال العامَّة، مثل كتاب الثقات لابن حبَّان، وكتاب الضعفاء للعقيليّ، بل كذا الأمر في رجال ابن داوود؛ إذ إنَّ الجزء الأوَّل من كتاب ابن داوود في من وردَ فيه أدنى مدح، ولو مع ورودِ ذمومٍ كثيرة أيضًا فيه ولم يُعمَل بخبره، والجزء الثاني من كتابه في مَن وردَ فيه أدنى ذمٍّ، ولو كان أوثق الثقات وعُمِل بخبره؛ ولأجل ذلك ذَكر بُريدًا العجليّ- مع جلالته- في الثاني، كما ذكر هشام بن الحكم فيه أيضًا؛ لأجل ورود ذمٍّ ما فيه، وهو كونه من تلاميذ أبي شاكر الزنديق[1].

ولكن العلَّامة الحلِّيّ قام- كما هو شأن المحقِّق الفقيه- بالجمع بين النصوص والتعديل، فإن رجَّح المدح يذكره في الأوَّل، وإن رجَّح الذمَّ أو توقَّف يذكره في الثاني، وهذا أمر لم يسبق العلَّامة الحِلِّيّ فيه أحد من علمائنا، بل علماء الفريقَين.

وثانيًا: إنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قام بعمليَّة التجميع بين النصوص الرجاليَّة، ومقصوده في ذلك- كما قال في مقدِّمة الكتاب- ليس إلَّا تسهيل الأمر على الذي اشتغل بالفقه، وعمليَّة استنباط الأحكام الشرعيَّة، مستندًا إلى الروايات، فهو يريد التعرُّف- في زمانٍ قليلٍ- إلى ما وردَ في الراويمن جرحٍ وتعديلٍ، وهل يُعمل برواياته أم لا؟.

فهذا أمر لا يتيسَّر بسهولة لمن يريد مراجعة المصادر الرجاليَّة، أعني رجال النجاشيّ، ورجال الشيخ وفهرسته، ورجال الكشِّيّ، ورجال ابن الغضائريّ[2].

(١) كليَّات في علم الرجال: ١٢٠-١٢١.

(٢) الموسوعة الرجاليَّة (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال): ٢/ ٣٥.

ألَّف العلَّامةُ الكتابَ سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجريَّة، وهو أوسط كتبه في علم الرجال، إذ إنَّه ألَّف إيضاح الاشتباه بعده بأربع عشرة سنة تقريبًا[١].

جاء كتاب خلاصة الأقوال في ثلاثة أجزاء ضمن الموسوعة الرجاليَّة، وهي (٢، ٣، ٤)، وبما يقارب في مجموعه من (١٦٩٣) صحيفة، وقد اعتُمد في تحقيقه على (١١) نسخة.

٣. كتاب المباني الرجاليَّة:

هذا هو الجزء الأخير من الموسوعة الرجاليَّة (الجزء الخامس)، وجاء في (٤٣٢) صحيفة، وهو ليس من كلام العلَّامة الحِلِّيّ، بل هو من تأليف (محمَّد باقر ملكيان)، إذ درس فيه علم الرجال وكتبه وبصورةٍ تفصيليَّةٍ، فهو كتابٌ عن علم الرجال وبحوثه، لكن بشكلٍ مستقلٍّ بعيدًا عن الرجال ومراتبهم في كتب الرجال، هو أشبه بالدراسة الوصفيَّة لعلم الرجال عند علمائنا، فيقول: «فرأيت من الجدير انتقاء هذه المباحث من كتبه القيِّمة وإفرادها في رسالة مستقلَّة؛ حتَّى ينتهل الفضلاء من نمير عِلْمه، ومن فيوضاته الواسعة، فشمَّرت عن ساق الاجتهاد، مستمدًّا من الله التوفيق والسَّداد»[٢].

فقدَّم لنا إحاطة برجال علم الرجال، فذكر رجال الطوسيّ، ومصنَّفات العلَّامة الحِلِّيّ، وفهرس النجاشيّ، ورجال الكشِّيّ، ورجال البرقيّ، ورجال ابن عقدة، ورجال العقيقيّ.

(١) ألف العلَّامة الحِلِّيّ خلاصة الأقوال سنة (٦٩٣هـ)، بينما انتهى من تأليف إيضاح الاشتباه سنة (٧٠٧هـ)، فلاحِظ.

(٢) الموسوعة الرجاليَّة (المباني الرجاليَّة): ٥/ ١١.

إذ يذكر جميع ما يتعلَّق بالمؤلِّف ومنهجه وكتابه ممَّا توفَّر له من الكتب التي ألَّفوها، والتي تكلَّمت عنهم[1].

ثمَّ تناول مجموعة من المسائل التي تدخل في ميدان علم الرجال منها:

- تنويع الحديث، والمعتبر منه.
- ما يثبت وثاقة الراوي.
- المفردات الرجاليَّة في مصنَّفات العلَّامة الحِلِّيّ الفقهيَّة[2].

٣. صورة الكتاب من جهة اللوحة.

(١) ينظر: الموسوعة الرجاليَّة (المباني الرجاليَّة): ٥/ ٨٥، ١١٧، ١٣٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ١٩١، ٢٠٩، ٣١٣.

المصادر والمراجع

١. توضيح المقال في علم الرجال: الملَّا عليّ كنِّي (١٣٠٦هـ)، تحقيق محمَّد حسين مولويّ، مركز بحوث دار الحديث، قم، ١٤٢١هـ.

٢. رسائل في علم دراية الحديث: مجموعة مؤلِّفين، قم، دار الحديث، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣. كلِّيَّات في علم الرجال: الشيخ السبحانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٦، ١٤٢٥هـ.

٤. الموسوعة الرجالية للعلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق محمَّد باقر ملكيان، دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

Directing Quranic Readings by Ibn Idris Al-Hilli (D. 598 A.H)	Dr. Ali Saeed Jassim Babylon Education Directorate Dr. Reyadh Raheem Thuban Al-Mansoori Babylon University/College of Islamic Sciences	183
Al-Khalia'i's Poetry in Ahl Al-Bayt (PBUT) A Study in the Subject and Art	Prof. Dr. Adnan Kadhem Mahdi University of Kufa/College of Arts Prof. Dr. Sadeq Fawzy Dabbas University of Kufa/College of Basic Education	213
Humanism in the Poetry of Sayyid Haider Al-Hilli	Ayad Neissi A PhD. Student of Arabic Language and Literature major at Persian Gulf University of Bushehr/Iran Islamic Republic	241
Husseini Journey Written by: Sheikh Muhammad Husayn Hamad Al-Jabawi Al-Hilli (1285 AH-1352 AH)	Asst. Lect. Marawan Nazar Ali Al-Hilli	293
Turath Al-Hillah Window		
The Mens' Encyclopedia of Allama Al-Hilli (D. 726 AH.) Issued by: Al-Hilla Heritage Center	Asst. Dr. Mohammed Halim Hassan Al-Karawi Al-Hilla Heritage Center	361

Contents

Researchs		
Al-Alama Al-Hilli (Jamal Al-Din Al-Husayn ibn Yusuf, D. 726 A.H) and Protesting the Qur'anic text- A Study in his book (Kashf Al-Yaqin fi fe'dael Amir Al-mu'minin)	Prof. Dr Rahim Jabr Al-Hasnawi University of Babylon/ College of Education for Human Sciences	25
The Interpretive Method of Allama Al-Hilli in (Aidah Mukhalft Al-Sunnah lens Al-Kitab wa Al-Sunnah)	Dr. B.B Sadat Radhi Bhabadi University of Al-Zahr'a (PBUH) Translated By: Ayoub Nasir Nima Reviewed By: Ali Abbas Al-Araji	73
Allama Al-Hilli in Orientalists Thought	Asst. Lect. Karim Jihad Al-Hassani University of Baghdad/ College of Islamic Sciences	109
The Argumentative Question in the Debate of Allama Al-Hilli with the four doctrines Scholars in the presence of Shah Khadabandeh	Prof. Dr. Abd Al-Ilah Abd Al-Wahhab Hadi Al-Ardawi University of Kufa/College of Basic Education	143

TURATH AL-HILLAH

Quarterly Authorized Journal

Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Division of Islamic and Human Knowledge Affairs

Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Sixth Year, Volume No. 6, Issue No. 18

Ramadhan 1443 A.H./April 2022 A.D.

Arabic Text Proofreading

Asst. Prof. Dr. Idris Hamad H. Al-Mussawi

University of Babylon

English Test Proofreading

Lect. Dr. Abbas Hassan Obaiss Al-Juboori

Website administrator

Haidar Abdul-Aziz Al-Einzi

Directing and Design

Ahmed Abdul-A'ali Al-Kaabi

Financial Management

Laith Mahdi Mahmoud Al-Amri

ISSN

2226-5228

Deposit Number in N.L.& D.H.

(2158), Year 2016

Address Location

Al-Tahmaziah Street - opposite the Turkish Hospital - Babylon Governorate - Republic of Iraq

Correspondence addresses to the editor-in-chief

07827753770

E.Mail

turathhi@gmail.com

Website

http://mk.iq/hillah_heritage/

Editor–in–Chief

Prof. Dr. Ali Abbas Al–Araji

Kufa University

Editorial Manager

Asst. Prof. Dr. Ahmad Rasheed Wahab Al–Dadah

Babylon University

Editorial Board

Prof. Dr. Sabah Otaiwi Al–Zubeidy (Babylon University)

Prof. Dr. Yussif Kadhim Jgheel (Babylon University)

Prof. Dr. Hashim Jafar Hussein Al–Musawi (Babylon University)

Prof. Dr. Aasim Hakim Abbas Al–Jobouri (Al–Qadisiya University)

Prof. Dr. Sattar Abdul Hassan Jabbar (Al–Qadisiya University)

Prof. Dr. Hazem Karim Abbas (Kufa University)

Prof. Dr. Hassan Kadom Assad Al–Khafaji (Kufa University)

Asst. Prof. Dr. Hussein Ali Hussein Al–Fattly (Ministry of Education)

Prof. Dr. Saeed Jassim Al–Zubaidi /University of Nizwa /Sultanate of Oman

Prof. Dr. Abdul–Kader Miloud Salami /Tilmasan University /Algeria

Prof. Dr. Jassam Mohamed Nady Ahmed /Fayoum University /Egypt

Prof. Dr. Kobra Roshanfekr /Tehran University (Tarbiat Mudarris) / Iran

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.: الرقم: ب ت/ ٤٦٦٦/٤
Date: التاريخ: ٢٠٢٢/٧/٤

ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث الحلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٥٢٣٦ بتاريخ ٢٠٢٢/٣/١٥ بشأن مجلتكم واعتمادها لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٢/٧/٣ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد السادس - العدد الثامن عشر- ٢٠٢٢ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٢/ ٧ /٤

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت ع/٤٠٠٦/٤ في ٢٠٢٢/٦/٢٩
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر... مع الاوليات
- الصفره

مهند ابراهيم
٤/ تموز

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

﴿O'mankind! We created you from a single (pair) of a maleand a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other, Verly the most honoured of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full knowledge and is well acquainted (with all things)﴾

Hujurat: 13

Al-Abbas Holy Shrine. Division of Islamic and Human Knowledge Affairs.
Al-Hillah Heritage Center.

Turath Al-Hillah = Heritage of Hilla : Quarterly Authorized Journal Specialized in Hillah Heritage \ Issued by Al-Abbas Holy Shrine Division of Islamic and Human Knowledge Affairs Al-Hillah Heritage Center. - Hillah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Division of Islamic And Human Knowledge Affairs, Al-Hillah Heritage Center, 2014-

Volume : illustrations ; 24 cm

Quarterly.- Sixth Year, Volume No. 6, Issue No. 18 (April 2022)-

ISSN : 2412-9615

Includes bibliographical references.

Text in Arabic ; Abstracts in Arabic and English.

1. Hillah (Iraq)--history--periodicals. 2. Hillah (Iraq)-- Intellectual life -- periodicals. A.Title.

LCC : DS79.9.H55 A8374 2022 VOL.6 NO. 18

DDC : 956.747

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

Republic of Iraq

Shiite Endowment

Al-Abbas Holy Shrine

Turath Al-Hillah

«Heritage of Hillah»

Quarterly Authorized Journal

Specialized in Hillah Heritage

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

Division of Islamic and Human Knowledge Affairs

Al-Hillah Heritage Center

Reliable for Scientific Promotion

Sixth Year, Volume No. 6, Issue No. 18

Ramadhan 1443 A.H./April 2022 A.D.

Turath Al-Hillah

«Heritage Of Hillah»